الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السانية وهران

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية

أطروحة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير

أثر التنوعات الصرفية للقرآن الكريم في إنتاج الدلالة

من إعداد الطالب:

رابــح ابراهيم

تحت إشراف:

أ. د بوعزة عبد القادر.

لجنة المناقشة 2015/06/24

أ. د باي عز الدين	جامعة وهران	رئيــسا.
أ. د بوعزة عبد القادر	جامعة وهران	مشرفا ومقررا.
د. زرادي نور الدين	جامعة وهران	مناقشا.
د. زحماني فاطمة الزهراء	جامعة وهران	مناقشا.

السنة الجامعية :2015/2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

اللهم إنا نسألك إيمانا دائما وقلبا خاشعا ويقينا صادقا ودينا قيما، ونسألك دوام النجاة من كل بلية، ونسألك دوام العافية وحسن الخاتمة يا رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله القدير العليم الذي وفقني لإتمام هذا العمل، وبعد فإنه لا يسعني إلا أن أعبر عن أسمى معاني الإحترام والتقدير للأستاذ المشرف "بوعزة عبد القادر" الذي كان لي مرشدا وموجها ولم يبخل بمدّ يد العون لي، وقد جهد نفسه بالوقوف على هذا البحث في كل مراحله وأطواره، فجعل بذلك معالمه ترتسم أكثر للوصول إلى هذه الصورة الأخيرة.

كما أقدم شكري الخالص إلى كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا البحث.

إهـداء

إلى أطيب صدر ضمّني،

إلى أعذب كلمـة نطقتها،

إلى أمّي الغالية طيّب الله ثراها،

إليك منّي هذا العمل الذي أشرفت عليه بدعواتك،

وإلى من حماني دروب الحياة القاسية،

أنت يا والدي أطال الله من عمرك في طاعته،

وأنتم يا إخوتي أهديكم باقة دعائكم لي

وإلى كل الصحب والأصدقاء

وشكرا.

مقدمة

مقدمـــــــة:

الحمد لله الذي أودع في كتابه أسرار البيان وجعله علما على معالم الهدى ورسالة خالدة على مرّ الزمان وتعاقب الملوان، متحديا به الناس على اختلاف ملكاتهم وتعدّد قدراتهم ليظل آيته الخالدة، وهداه المحكم، ونوره الساطع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أما بعد: فإن الاطمئنان كل الاطمئنان أن الذي يتدبر آياته وبمعن فيها ببصره وبصيرته وبقلب مؤمن يجد فيها مطلبه ومبتغاه المقصود، وأمره المنشود، بل أنه يصير أول وآخر ما يطلبه إذا ظمأ صدره وضاقت روحه، أو جاء سائلا منه علما نافعا يزيده تعلقا به سبحانه.

إن تلاوة القرآن والتلذذ بسماعه تشرح الصدور وتزيد آفاق التدبر، وتكثر له الطلب حتى إن غابت عنا أسرار معانيه وأغوار دلالاته، فكيف لمن يتلوه وهو يعلم معانيه، ويحسن ضبط علومه، فلا شك أننا نجده منغمسا في سحر بيانه، وروعة فصاحته، ومتفاعلا مع قوة أجراسه وأنغامه، فنراه ينقبض تارة وينبسط في أخرى، وينبهج هنا وينزعج هناك .

وطالما كنت أقرأ القرآن وأتلوه ولست أفرّق بين ما يكتنفني فيه من ألفاظ متشابهة، أو ما كنت أحسبها كذلك، أو تراني أستمع إلى مقرئ ندي الصوت، جميل التلاوة حتى يجهش بالبكاء عند آيات أصح ما يقال أنّه استيقنها بقلبه وأنه تصورها على حقيقة معانيها، وهنالك كنت أزداد تعلقا بسماع التلاوات التي نحسّ بها دفء المعاني في كل حرف وآية وسورة تتلى..، وتأثرا بهذا أحببت أن تكون رسالتي تدور في جانب منها حتى أكون على مقربة من بلاغتها التي هي محور التدبر والتفكر فيه، أما مشيئة القادر فرسمت لي طريقا آخر هو أكثر ما يحتاجه الدارس في كتاب الله، فوقع الاختيار

على الموضوع الذي درست وهو "أثر التنوعات الصرفية للقرآن الكريم في إنتاج الدلالة"، والذي اخترته لاعتبارين هما:

الأول: ضبط معاني الأبنية المتشابهة والتفريق بينها دلاليا، ومن ثم محاولة استنباط العلل التي تقف وراء إلزامية التعبير بكل منها في سياق دون آخر، وأن ما صحّ به المعنى بهذا اللفظ هنا قد يسقط معناه هناك...

الثاني: أن هذا الموضوع يجمع بين الجانب الديني واللغوي في آن واحد، وكلتاهما تحصل منه الفائدة، فكون ضبط معاني الأبنية الصرفية يرسخ معاني المفردات فذلك ما جعلني أبحث على التفصيلات والجزيئات التي من شأنها صناعة الفارق بين الأبنية المشتركة في الأصل الواحد للمفردة القرآنية.

وبعد أن وقفت على كتب الصرف، وكتب معاني القرآن والتفسير، وجدت أنّ هذه الرغبة قد نمت أكثر في داخلي، حتى صرت أطلبها حثيثا بعد أن ازداد تعلقي بها، فجعلت أرسم خطة تتماشى مع موضوع البحث، وقد كانت معالمها تتضح شيئا فشيئا..، فكان أول ما خطوت هو إحصاء مجموعة من المفردات التي يعود أصلها إلى جذر لغوي واحد وتختلف الأبنية المشتقة عنه بحسب كل سياق، ثم ضبط معاني هذه الأبنيته من خلال ما ورد في كتب الصرف ككتاب "شذا العرف لـ(الحملاوي)، و"وشاح الحرة" لـ(محفوظ الشنقيطي)، و"الشافية" لـ(ابن الحاجب)، و"أسرار العربية" لـ(أبي بركات الأنباري)، وعلى رأسهم "كتاب" (سيبويه).

ومن ثم أخذت بالبحث عن معاني هذه الألفاظ في كتب "معاني القرآن" و"كتب التفسير"، كـ"معاني القرآن" لـ(لفراء)، و(الأخفش)، و(ثعلب الكوفي) و(الزجاج)، وتفسير (الطبري)، و"صفوة التفاسير" لصاحبه (محمد علي الصابوني)، وبدرجة أكثر على كتاب "التحرير والتنوير" لـ(محمد الطاهر بن عاشور) وذلك باعتباره من أئمة اللغة وأكثرهم تناولا لدلالاتها من زواياها المتعددة. كما استعنت بكتب في مجال الدراسات القرآنية والبلاغية الأكثر علاقة بموضوع البحث، ككتب (السامرائي) نحو: "من أسرار البياني القرآني"، و"بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"، وكتاب "الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم" لـ(أحمد عمر مختار)، و"جمالية المفردة القرآنية" لـ(أحمد ياسوف)، و"سر الإعجاز في تنوع الصيغ" لـ(منيع القيسي)، وغيرها من الكتب والرسائل .

وبعد استقرائي للصيغ المختارة من هذه الكتب، والوقوف على ما ذكره أعلامها أخذت بمعالجتها وتصنيفها بحسب الأصول الواحدة، حتى أني كنت أجد للأصل الواحد أكثر من صيغتين، ففي الجموع مثلا نجد :(الموتى) و(الأموات) و(الميتين) وكلها تعود للأصل (مات)، وهذا ما جعلني أربط بين تنوع أبنيتها الصرفية وبين تفرّد كل منها بسياق خاص، كما كنت أحدث مقاربة في آخر التحليل ربطا بالسياق وليس بصورة منقطعة عنه، لأنه الحجر الأساس الذي بنيت عليه الرسالة.

أما طبيعة الصيغ المدروسة فقد أردت أن تكون لافتة للانتباه، كأن تكون معانيها متقاربة حسب ظن الكثير نحو:(صَوْم) و(صِيام)،و(عسر) و(عسير)، أو تكون أقل دورانا في التعبير القرآني نحو:(الصدّ) و(الصّدود) و(عجيب) و(عجاب) و(اسطاعوا) و(استطاعوا)..، فلاشك أن تكون

لكل صيغة دلالة خاصة ومعنى معين تَطَلَّبه السياق، وهذا هو الجزء الكبير الذي تقف عند حده هذه الدراسة .

ومن هنا كان التقيد بالمنهج الاستقرائي التحليلي بينا، فأخذ المادة من السياق وذكر الفروق التي تميزها عن شبيهاتها من خلال المبنى والمعنى أوجب علي تبني هذا المنهج، وذلك للخروج بنتيجة أكثر إقناعا في النهاية دون نقد أو إبداء رأي شخصي، أي: وقوفا على العلاقة بين اللفظ والبناء داخل السياق.

وكون "الميزان الصرفي" يشمل "الاسم المتمكن" و"الفعل المتصرف"، فذلك جعلني أقسّم البحث إلى فصول متعلقة بهما، فجعلت أولها خاصا بأبنية الأسماء، أما الآخر فخصصته لأبنية الأفعال، في حين كان آخرهم يشمل الأسماء والأفعال معا، غير أنّ هذا الأخير اعتمدت فيه دراسة التنوعات الصرفية للأصل الواحد من زاوية أخرى تقوم على الحذف والزيادة من البناء، وكذلك "الإبدال اللغوي والإدغام" في بعض الصيغ. وذلك خلافا للفصلين الأولين الذان كان التقيد فيهما بالزيادة المضبوطة صرفيا والمجموعة في كلمة (سألتمونيها)، أي: أن تحليل الصيغ يقوم على أساس الزيادة الداخلة بأحد هذه الأحرف.

وكأي بحث علمي..فقد جعلت لكل فصل نصيبه من المباحث، ولكل مبحث نصيبه من العناوين الفرعية (مطالب)، وقد حاولت جاهدا أن تكون متناسقة ومترابطة بينها، ومتماشية مع خطة البحث، فعنونت الفصل الأول بـ"الأسماء وأثر تنوعاتها في إنتاج الدلالة"، وجعلت مباحثه ثلاثا وهي: "التنوعات الدلالية للمصادر"، و"المشتقات ومعاني أبنيتها"، وآخرها كان يدور حول "دلالة الجموع

في الخطاب القرآني"، فكان المبحث الأول ينصب حول دراسة "أسماء المصادر"، و"المصادر الميمية"، و"دور الصوائت في التفريق بين معاني المصادر ذات الرسم الواحد" نحو: (ضُرّ) و(ضَرّ)، أما المبحث الثاني فجعلته خاصا بالمشتقات وهي "اسم الفاعل"، و"إسم المفعول"، و"صيغ المبالغة" ثم أنهيت الفصل بأبنية الجموع ودلالاتها بين العدد والمعنى نحو:"جموع الكثرة والقلة"، و"جموع التكسير"، وانتهاءا بـ"جموع الصفات" .

أما الفصل الثاني فقد خصصت الحديث فيه عن دلالة أبنية الأفعال في حالتي التجريد والزيادة، وقد اخترت تسميته بـ"الأفعال بين تنوع الأبنية وتعدد الدلالات"، وقد تناولت فيه أبنية الثلاثي بين المجرد والمزيد في ثلاثة محاور، حيث جعلت كل منها في موضوع خاص تتوزع عناوينه على الأصل الثلاثي وما يزيد بحرف، أو حرفين، أو بثلاثة أحرف كأقصى حد للزيادة في الأفعال الثلاثية للقرآن الكريم، وقد تطرقت فيه إلى الصيغ التي تتقارب سياقاتها، أو ما يتبادر إلى الأذهان أنها ذات معنى جد متقارب، فكان الهدف هو إيجاد تحليل فكري مقنع يقوم على أساس هذه الاختلافات نحو:(نجّى) و(أنجى)، و(كذب) و(كذّب) وغيرها...

أما الجزء الثاني من الفصل فإنه يدور حول "أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف" والتي وردت على بناءين مختلفين نحو: (نزّل) و(أنزل)..، وكذلك "أبنية الثلاثي المزيد بحرف والمزيد بحرفين"، وفي الأخير أنهيته بذكر نماذج من "أبنية الثلاثي المزيد بحرف وما يقابله من المزيد بثلاثة أحرف" نحو: (أشهد) و(استشهد) و(أوقد) و(استوقد).

وآخر مباحث هذا الفصل جعلتها مخصصة لصيغ الرباعي المجرد المضاعف، وقد حاولت دراستها بحسب تقسيمات الصرفيين والبلاغيين إلى "أثر التضعيف في تصوير المعنى"، و"أثره في تصوير الحركة ومضاعفتها "، فمن الأول نجد مثلا: (حصحص) و(عسعس) ومن الآخر نجد لفظ (كُبْكِبُوا) و(زُلْزِلُوا)، وهنا وقع الاستنجاد "بعلم الأصوات" لما له من علاقة بالمعنى المرسوم في هذه الصيغ، ولحاجة "علم الصرف" له في مثل هذه المسائل (التكرار الصوتي) .

أما آخر الفصول فقد حاولت أن أبرز فيه ألوان صرفية من زاوية أخرى تشترك فيها الأسماء والأفعال معا، كالزيادة والحذف والإبدال، فهي أوجه أخرى "تعدد تحتها الألوان الصرفية والدلالية للأصل اللغوي الواحد"، وقد كان ذلك عنوانا لهذا الفصل .

وانطلاقا من العنوان خصصت الألوان المقصودة فيه وهي الزيادة والحذف في الأصل الواحد نحو: "يصرخ" و"يصطرخ"، و"توّلوا" و"تتوَلّوا" وغيرها..، فوجود حروف مزيدة في الصيغة أو حذفها من أخرى مع وجود صيغة بقالبها المألوف بيننا يؤكد حتمية وجود فوارق دلالية تختلف من سياق لآخر، وأن هذه الصيغ المختلفة وجدت في مكانها المطلوب والموفي للغرض .

وأنهيت هذا الفصل بذكر مسائل صرفية تدور حيثياتها حول "الإبدال اللغوي"، وذلك بتتبع أثرها الدلالي في النص القرآني، فإدغام حرف في حرف يجانسه نحو: (ادّارك) و(يخصّمون) و(يذّكّر) مع وجود صيغ أخرى تشاركها في الأصل نحو:"(تدارك) و(يختصمون) و(يتذكّر) يفتح باب التدبر والتمعن أكثر في ضبط أسرار هذه التنوعات..، فتعدد طرق التعبير تمضي حتما إلى تنوعات دلالية، لأنه لا يختلف بناءان والمعنى منهما واحد كما ذكروا .

فالذي ذكرت هو كل ما جاء في الرسالة، والتي أحسب أني استفرغت فيها كل جهدي؛ لا لبلوغ درجة الكمال، وإنما لتعلم طريقة البحث والاستقراء في كتب كان لها الشرف في حمل راية لغة القرآن، ولست أعد هذا إلا تهيئة واستعدادا للقادم بمشيئته سبحانه وتعالى، فما كان من صواب فهو من توفيق ربي جلّ وعلا، وما كان من خطإ وزلل فهو من عندي، وأرجوه أن يعفو عني ويغفر لي.

مدخل

- تعريف علم الصرف
- مباحث علم الصرف
- علاقة علم الأصوات بعلم الصرف
- علم الدلالة

مدخــل:

لا يزال القرآن الكريم منذ نزوله بحرا زاخرا بأنواع العلوم والمعارف، يتحدى سحر بيانه أساطين البلغاء ومصاقيع العلماء، بأنه الكتاب المعجز المنزل على النبي الأمي شاهدا بصدقه، وحاملا بين دفتيه برهان كماله، وآيات إعجازه، وقوة التحدي فيه، ليكون رسالة خالدة على مرّ الزمان .

وعلى كثرة ما كتب العلماء وألّفوا، وعلى كثرة ما تحتويه المكتبة الإسلامية من أسفار ضخمة ومؤلفات نفيسة خدم بها العلماء كتاب الله إلا أنه يبقى فياضا بالعجائب، ومملوءا بالدرر والجواهر التي تحتاج من يغوص في أعماقه ليطالعنا بها؛ فيبهر العقول ويحير الألباب بنورها وإشراقاتها الإلهية، فهو لا يزال بحرا لجيا يقف العلماء عند ساحله يرتشفون من معينه الصافي ولا يرتوون، فما أخذ منه ليس إلا كالأخذ بحبة رمل من وسط صحراء شاسعة .

كما شهد التاريخ ميلاد عمالقة غاصوا في كتاب الله المنير ليأخذوا من ريحه وريحانه، فلا هم اكتفوا بما أخذوا ولا هم ملّوا من ذلك؛ بل نراهم تقاسموا جوانبه للتفنن فيها، فأخذوا يصوّغون القواعد، ويسنّون القوانين، وكل في مجاله، فقسّموا حروفه وكلماته وجمله بحسب ما رأوا لها من معان؛ حتى بدت لهم تلك العلوم المشرقة منه في أجمل صورة وأبهى حلة، ولعل الأجمل في هذا أنهم راحوا يصحّحون أخطاءهم وألحانهم اللغوية منه.

ومن ثمّ تظافرت الجهود أكثر لتتبع الظواهر اللغوية في القرآن الكريم تطلعا في كشف بعض أسرار هذا الإحكام الرباني المعجز، فتجلت في الأفق علوم كثيرة متكاملة الأجزاء الأركان ومتمّمة لبعضها كـ"البلاغة والفصاحة"، و"النحو والصرف" وغيرها..، وهذا ما جعل دلالة الألفاظ في القرآن

الكريم تحمل على جوانب عدة، فتقارب هذه العلوم من بعضها جعل إشعاعها النوراني يسطع من كل زاوية يصيبها المتدبر والمتأمل في معانيه الدقيقة .

وإنه لم يمض زمان إلا وكان الإتفاق إجماعا أن أول أوجه الإعجاز في القرآن الكريم هو سحر بلاغته، وذلك لأنها أعلى قمم التأثير في خطاباته، ووجه التحدي الأول للعرب، فهم أهلها وفرسانها..، وقد جاءنا من أنباءهم في الجاهلية من أشعار ومعلقات يطيب سماعها دون ملل أو كلل، وكيف أنهم اختلقوا بينهم حروبا لمجرد أبيات شعرية يهجون بعضهم بها، فتنتهي غالبا برفع أقوام وحطّ آخرين، أما كتب التاريخ والنقد فلا زالت تدوّن ما جاء في مسابقاتهم البيانية التي كانوا يعقدونها في الأسواق مواسم الحج، كسوق عكاظ ومجنة وذي الحجاز وغيرها، فإلى جانب تجارة المادة وجدت تجارة البيان أيضا"[1]، فكانوا يتبارون بأجود أشعارهم، فيمدحون ويقدحون، ويصفون ويرثون، حتى تبدوا كلماتهم أجمل من نصاع الحلي وبريق اللآلئ .

كما أنّ الكلام عن ميلاد العلوم الجديدة يخص البلاغة بصورة كاملة، فهي أجزاء منها اكتسبوها فطرة وفطنة، ثم ازداد إجتهادهم فيها بالتقعيد انطلاقا من النص المقدس، ومن هذه العلوم نجد علمي "النحو والصرف"، فهما الأكثر تقريبا للمعنى المقصود من مفردات القرآن الكريم .

إن ضبط صورة المفردة القرآنية نحويا قد يكون سببا أوليا في شمولية "علم النحو" على "علم الصرف"، فهو لا يدرس معاني المفردات من حيث أبنيتها ، وإنما يعنى بالنظر في أواخر الكلم وما يعتريها من إعراب وبناء، كما يعنى بأمور أخرى على جانب كبير من الأهمية ، ك"الذكر والحذف"،

[1]– (محمد أبو زهرة) ، المعجزة الكبرى/ دار الفكر العربي (القاهرة) / (لا توجد سنة الطبع)/ ص 62.

و"التقديم والتأخير"، غير أنه يولي العناية الأولى للإعراب"[1]،كما أنه ينبني على أسس أهمها :

* طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.

* مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية.

* مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها كالإسناد والتخصيص"[2].

وكل هذه الأسس لا نجده يتخذ لمعانيه منها مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف، وهذا السبب جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب الفصل بين الصرف والنحو، ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك.."[3].

وعلة ذلك أنّ النحو لا يهتم بالمبنى، وأن لغة القرآن أكثر مزاياها اتساع أبنيتها وكثرة الصيغ استيعابا لمعانيها التي يمكن أن تجيش بها نفس الإنسان في أي وقت من الأوقات، فكان لـ"علم الصرف" عظيم الأمر في وصوله إلى معاني المفردات من زاوية المبنى، فقالوا:" أما التصريف فإن من فاته علمه فاته المعظم"[4]، وهذا تأكيدا لدقته في الكشف عن الحدود الدلالية بين المفردات في السياق القرآني، ومن ثمّ التمييز بينها في المعنى .

فإذا كان "علم الصرف" وجها مكمّلا لـ"علم النحو" في ضبط معاني المفردات، فما القصد بالصرف ؟ وما هي المباحث التي يقوم عليها ؟ .

---

[1]– (السامرائي فاضل صالح) معاني النحو / دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع / ال طبعة الأولى سنة 2000 ج1، ص 05.

[2]– (تمام حسان) اللغة العربية معناها ومبناها / دار الثقافة (المغرب)/سنة الطبع 1994 / ص 178.

[3]– نفس المرجع ، ص 178.

[4]– (أنظر) (هنداوي أحمد يوسف) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم /المكتبة العصرية (بيروت) سنة الطبع /2008 ص 07.

تعريف علم الصرف:

الصرف لغة: هو بمعنى التغيير والتحويل، يقول ابن فارس "الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء. من ذلك صرفت القوم صرفا، وانصرفوا إذا رجعتهم فرجعوا "[1]. ومنه قوله تعالى: "وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ "[2].

الصرف اصطلاحا: هو علم تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية وأحوال هذه الأبنية التي ليست بإعراب ولا بناء"[2]، أوكما يقول (ابن عصفور): هو"ميزان العربية لأن جزءا منها يؤخذ بالقياس، وبه نتوصل إلى معرفة الاشتقاق، فهو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب..، ومعرفة أحواله بعد التركيب؛ وهو قسمان:

1- أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب المعاني.

2- والآخر تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالا على معنى طارئ على الكلمة "[3].

فالصرف إذا هو تحديد هيأة الكلمة وما يطرأ عليها من تغيير في ترتيب أحرفها أو في حركاتها أو في لفظها، لكنه لا يدخل في إطار تحديد وظيفة الكلمة في الجملة أو في التركيب، كالتعريف والتنكير والتذكير والتأنيث..."[1]

---

[1]- (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) معجم مقاييس اللغة / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع 1979/ج03، ص 343.

[2]-(الشنقيطي محمد محفوظ بن الشيخ)، وشاح الحرة بإبراز اللامية و توشيحها/ إتحاد الناشرين الموريتانيين/ الطبعة الأولى سنة 2003 /ص 05.

[3]- (سقال دزيره) الصرف وعلم الأصوات/دار الصداقة العربية (بيروت) /الطبعة الأولى سنة 1992/ ص 10.

2 – علم الصرف بالمعنى العملي:

هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها كاسمي الفاعل والمفعول واسم التفضيل والتثنية والجمع إلى غير ذلك"[2]، ومن هذا النحو اختلاف أبنية اللفظ باختلاف المعاني التي تعتوره بحسب كل سياق .

وما يأخذ من مفهوم الجانب العملي أنّ توليد المعاني الكثيرة والمختلفة من الأصل اللغوي الواحد هو ما يمكن تسميته بالدلالة الصناعية أو الاشتقاقية "[3]، وهذا تلميح بأن الصيغة المتصرفة دالة على أصل اشتقاقي صيغت منه، لأن اللغة العربية لغة اشتقاقية..."[4] وهذه الميزة جعلت التوليدات هدفا حيويا في اتساع الدلالة ووفرة المعاني وثراء علم البلاغة على وجه العموم، وليس فيها ما هو من باب الترف الفكري أو تنويع أدرب الكلام فقط.

وتبقى كثرة التنوعات الصرفية أهم الروافد التي تعمّق البحث عن أسرار المعاني التي تقف وراء قوالبها، وتميّز المفردة عن شبيبهاتها في الخطاب القرآني، فهي بذلك تعطي كل مفردة حقها من المعنى المراد حتى يجدها الناظر أو الدارس فيها مختارة، بحيث لو أراد وضع مفردة مكان أخرى لا يستطيع لتغير المعاني بذلك، وهذا ما يدل على تمام القدرة والحكمة، وهنا يمكن الإعجاز"[5].

---

[1]– نفس المرجع ، ص 10.

[2]– (أحمد الحملاوي) شذا العرف في فن الصرف/ المكتبة العصرية (بيروت) /سنة الطبع 2012/ ص 23.

[3]– (أنظر): (الزهراني مشرف بن أحمد) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر عاشور/ مؤسسة الريان (بيروت)/الطبعة الأولى سنة2009 / ص 430.

[4]– (عبد القادر الجليل) علم الصرف الصوتي /شركة الشرق الأوسط للطباعة (عمان)/ الطبعة الأولى سنة 1998 / ص 37.

[5]– (يوسف المرعشلي) إعجاز القرآن والدلالات الصرفية / دار ابن حزم (بيروت) /الطبعة الأولى سنة 2011 / ص 14.

والألوان الصرفية لا تثبت على حال في التعبير القرآني ، فهي تصيب المفردة فيتغيّر معناها إما بتغيير الحروف (الصوامت) نحو: مشتبه ومتشابه، أو(الزيادة) في البناء نحو: ضَرَبَ يَضْرِب ضَارِب مَضْرِب، أو بمجرد تغيير في الحركات (الصوائت) نحو: حُلْم وحِلْم وحَلْم، وقولنا: عُرْف وعِرْف وغير ذلك...

ومنه يمكن القول: إذا كانت هذه التغييرات تستظل تحت مسمى "علم الصرف" فهل هذا يعني شموليته لكل الألفاظ العربية ؟.

إن كون "القالب الصرفي" هو الهيأة التي توضع عليها المادة اللغوية فهذا لا يعني وجود أبنية لكل مادة لغوية؛ بل هناك مستثنيات تسقط من دراساته، فهو لا يدرس الحرف، ولا الإسم المبني، ولا الفعل الجامد، وإنما حدّد ميدانه لدراسة نوعين من الكلمة فقط وهما:

1-" الاسم المتمكن .

2-والفعل المتصرف "[1].

ومنه نقول: ماذا يقصد بالاسم المتمكن والفعل المتصرف ؟.

الاسم المتمكن:

تعريف الاسم : هو كل "ما وضع ليدل على معنى مستقل بالفهم، وليس الزمن جزءا منه" [2]

وهو نوعان: جامد ومشتق :

---

[1]– عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي/ دار الميسرة للنشر والتوزيع (عمان)/ الطبعة الأولى سنة 2008 /ص 18-19.

2 –الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، ص25

1–الاسـم الجامد: هو "الاسم الذي لم يؤخذ من غيره، ويدلّ على حدث أو معنى من غير ملاحظة صفة، وهو بذاته ينقسم إلى قسمين:

أ–" اسم الذات: هو الاسم الذي يقع ضمن الأجناس المحسوسة مثل: رجل وشجر، أي: ما يمكن أن نتعرف إليها بواسطة الحواس الخمس .

ب– اسم المعنى: هو الاسم الذي يقع ضمن الأجناس المعنوية التي يدل معناها عليها، دون حاجة للحواس الخمس"[1].

2– الاسم المشتق: "هو الاسم الذي يؤخذ (يشتق) من غيره للدلالة على صفة أو حدث"[2]، وينسب للمأخذ (الأصل) نحو: كاتب، مكتوب، كتابة، فهي أسماء تدل على حدث أو صفة اشتقت من الأصل (كَتَبَ).

أما كونه متمكنا (الاسم)، "فذلك أن عدد أحرفه الأصلية لا تقل عن ثلاثة أحرف ولا تزيد عن خمسة، وكلها أصلية فيه، والتنوين الذي يلحق آخره هو دليل تمكنه من باب الاسمية"[3] ، وبناء على هذا فالتجريد فيه ثلاثة أقسام:

ثلاثي مجرد نحو: رجل، بيت.

رباعي مجرد نحو: برزخ، عالم.

خماسي مجرد نحو: سفرجل "[1].

---

[1]– (عائشة محمد قشوع) الأبنية الصرفية في السور المدنية –دراسة لغوية دلالية– ص 181.

[2]– (أنظر): عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 73.

[3]– عبد القادر عبد الجليل ، علم الصرف الصوتي ص 36.

تعريف الفعل المتصرف:

تعريف الفعل:" هو ما وضع ليدل على معنى مستقل بالفهم والزمن جزء منه، مثل: كتب، يقرأ، إحفظ "[2]، هو نوعان : مجرد ومزيد :

1–المجرد :" وهو ما كانت جميع حروفه أصلية ولا يكون له معنى إذا سقط منه حرف واحد في صيغة الماضي نحو: عَلِم، سأل، بعثر، دحرج و غيرها.

2–المزيد : وهو ما زيد بناءه بحروف أخرى فوق الحروف الأصل نحو: (خرج وأخرج)، و(غلق وغلّق)، و(زحزح وتزحزح)..، وكل هذه الزيادات تلعب دورا هاما في اختلاف المعاني مما كانت عليه مجردة "[3].

أما كون الزمن جزءا من الفعل فله ثلاث تقسيمات هي:

أ– الماضـــي : وهو ما دل على حدوث شيء قبل زمن التكلم ، نحو: قام، وصلّى ، وأكل .

ب–المضارع : هو ما دل على حدوث شيء في زمن التكلم أو بعده، نحو : يقرأ، ويكتب ، ويلعب..، فهو صالح للحال والاستقبال ، وله أربعة أحرف تدل عليه وهي:(أ ن ي ت).

جـ–الأمـــر: هو ما يطلب به حصول شيء بعد زمن التكلم نحو:إجتهد، وإلْعَب، وكُلْ وغيرها.."[4].فكل هذه الأفعال تقبل الزيادة أو الحذف في أبنيتها، وإنما الزمن هو جوهر اختلافاتها.

---

[1]– بتصرف (محيسن محمد سالم)، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن ص 232.

[2]– الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف، ص 25.

[3] –بتصرف– عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي– ص 34–35.

[4]– الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، ص 33–34 .

أما قول الدكتور(الراجحي)" أن القالب الصرفي يدرس (الأفعال المتصرفة) راجع لكون الأفعال تشمل الجامد والمشتق أيضا، فالأول "ما لازم صورة واحدة ولم يأت منه غيرها، ويشبه الحرف بتأدية معنى مجردا عن الزمن والحدث المعتبرين في الأفعال، أما الآخر (المتصرف) فهو ما تعددت صور أبنيته وأزمنته "[1]، وهو ما ينطوي تحت الدراسة الصرفية .

وللتحديد أكثر بين ما هو جزء من المحطة الصرفية وما يعفى منها نقول: هل أن الميزان الصرفي أسقط من اهتماماته الاسم المبني والأفعال الجامدة فقط ؟ أم هناك مستثنيات أخرى ؟.

الممنوع من الصرف:

إذا كان التصريف يذهب إلى معنى التحويل والتغيير في بنية الكلمة، فهذا لا يعني أن المادة اللغوية الواحدة لها أبنية كثيرة يتنوع التحصيل الدلالي فيها دائما، لأنه لا يدخل حرمه إلا من بوابة الوحدات التي يسمح لها بالدخول، وقد طالعنا (ابن عصفور) في هذا المنحى قائلا: "اعلم أن التصريف لا يدخل في أربعة أشياء وهي: الأسماء المعجمية التي عجمتها شخصية، كإبراهيم وإسماعيل ويوسف ونحوهم..، هذا لأنها نقلت من لغة قوم ليس حكمها كحكم هذه اللغة، كما أسقط من ميزانه أيضا الحروف وما شبّه بها من الأسماء المتوغلة في البناء نحو: من، وما ، وربّ ، وسوف، وكيف، وحيث..، وهذا لافتقارها منزلة جزء من الكلمة التي تدخل عليها، فكون جزء الكلمة (الحرف) لا يدخله التصريف فكذلك ما هو بمنزلته. ومما لا يدخل حيّز التصريف أسماء الإشارة نحو: هذا، وذاك، وهؤلاء، وأولئك، وأسماء الاستفهام والوصل وغيرها.

[1]–(أنظر): التطبيق الصرفي ، ص 54.

أما الأفعال.. فلا يسقط منها إلا الجامد كما سبق الذكر، نحو: عسى، وليس، وحلا، وحاشا، ونعم وبئس، وحبذا، وقلّما، وهب، وشدّما، وماأكرمه، وما أكرم به، وذات الحال مع أسماءها كصه، وأفّ، وإيه، وبله، ورويد، وهيت، وهيهات، وشتان وغيرها "[1].

فهذا الذي ذكر (ابن عصفور) لم يكن محض اختلاف، وإنما انتهى بذكر أحسن التعريفات التي تسهّل المآخذ على الطالب وتيّسر له أوجه الاجتهاد دون خبط أو خلط، حتى يكون في أوجّ عطاءه لهذا البحر الذي "من فاته علمه فاته المعظم".

وبهذا نقرب صورة القالب أو الميزان الصرفي لكل لفظ جاز له؛ والذي لا يحتاج إلى بناء جديد ليؤدي معناه من وراء الحذف أو الزيادة على أصله المتعارف (الجذر)، أو في اختلاف ترتيب حروفه عند التغيير، فقد نجد للفظ الواحد معان عدة تقف وراء تغيير حركاته (الصوائت) دون أي مساس بحروفه (الصوامت)، أو بإظهار حرف مدغم في لفظ وفكه في آخر نحو:(قتل) و(قتّل)، وهذا ما يؤكد أن "علم الصرف" يحتاج إلى جانب آخر للوصول إلى المبتغى من هذه التنوعات التي تصيب جزءا من أبنيته أحيانا.

ومن هنا يمكن طرح التساؤل التالي: ماهي المقدمات اللغوية المكمّلة لعلم الصرف ؟.

العلوم اللغوية المساعدة في ضبط بعض المسائل الصرفية:

[1]– بتصرف – عبد القادر عبد الجليل ، علم الصرف الصوتي– ص 39–40.

سبقت الإشارة أن "القالب الصرفي "هو الهيأة التي توضع على مقامها المادة اللغوية لتمس بنيتها الأصلية من خلال الزيادة أو الحذف أو الترتيب أو الإثبات أو الضبط أو الأصالة، وهي العناصر الأساسية المكونة لهذا القالب. فهذا التقعيد الذي جاء به اللغويون القدامى هو دليل ضبطهم التام لهذا العلم، وجعله في الإطار العام للدرس اللغوي دون أي لبس فيه .

ويرى الكثير من المحدثين أن كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة فهذه الدراسة ينتمي لها الصرف"[1]، فكلما كانت الدراسة متعلقة ببنية العبارة فهي للصرف أقرب، أما التكملة التي يحتاجها فهي في أحد أوجه هذا القالب، وهو"الضبط"، والذي لا يعد بنية لذاته، وإنما هو جزء منها ورقم صعب في "علم الأصوات"، وهذا ما يجعل "التصريف" أكثر ترابطا مع "الصوت" كما كان للنحو معه، ومن هنا يمكن تحديد علاقة هذه العلوم بأن :

1- علم (الأصوات اللغوية) يدرس (العنصر) الذي تتكون منه اللغة.

2- علم (الصرف) يدرس (الكلمة).

3- علم (النحو) يدرس (الجملة)"[2].

إذا.. فالوقوف على بنية الكلمة هو سبيل الوقوف على التبدلات الصوتية "[3] لكل عناصرها وأنه لا يمكن إدراك الكثير من المسائل الصرفية دون دراسة بعض الجوانب الصوتية كـ(الصوائت)، فهي تشغل الحيز الأكبر في ذلك، إلى جانب مواضيع أخرى منه كالإبدال والإعلال"[4].

---

[1]- بتصرف – عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي- ص 17.

[2]- نفس المرجع ، ص 17.

[3]- (أنظر) عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي ص 40.

[4]- (أنظر): عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 17.

الخدمة الصوتية لعلم الصرف:

إن علاقة "الصوت بالصرف" علاقة متكاملة، وذلك كون الكثير من الموضوعات التي يدور حولها الصرف تبنى على قوانين صوتية؛ يرجع الأمر فيها إلى ذلك التأثير المتبادل بين الحروف الملائمة صوتيا مع بعضها، لكن محدودية هذا التآلف جعلته لا يختص بكل المسائل، لأنه ليس النظام هو الذي يتغير؛ وإنما يتغير عنصر من عناصر هذا النظام فحسب.

وإذا كان "النظام الصرفي" لا يثبت على حال، فكذلك الأمر في النظام الصوتي، لكن بنظام تغيير مختلف، هو من يحدّد وجه العلاقة بينهما، ويقلل مجال الاعتماد إلى حد كبير، وهذا يجعلنا نستنج أن التغيرات الصوتية تصيب الأبنية التي تتكون منها المفردة بصورة مستقلة"[1]، فمثلا نقول: (مُدْخِل) -بكسر الخاء- إذا أردنا (اسم الفاعل)، في حين نقول: (مُدْخَل)-بفتح الخاء- مع الإبقاء على البناء كما هو، حينما نريد (اسم المفعول) .

كما لا يمكن التعامل ببساطة مع هذه التغيرات الصوتية التي تصيب الأبنية، فهي تحمل أخطر المهام، لأن الخطأ فيها يحوّل المعنى من الضد إلى الضد"[2]، فيأتي المعنى محمولا على ذلك الضبط، ويجعله أكثر لبسا داخل السياق، وبالتالي الخروج بشروح خاطئة تؤدي إلى ما هو أخطر.

وخلاصة هذا كلّه أن دراسة الأصوات مقدمة لابدّ منها لدراسة اللغة عموما، ولدراسة النظام الصرفي خصوصا، فالنظام الصوتي يبقى جزءا لاحقا من دراسة الصرف نفسها كما ذكر (سيبويه)"[3].

---

[1]– (عباس تحسين فاضل)، الانسجام الصوتي في النص القرآني / عالم الكتب الحديث (عمّان)/ الطبعة الأولى سنة 2013/ ص 83–84.

[2]– نفس المرجع، ص 85.

[3]–(أنظر): نفس المرجع ، ص 84–85.

وباكتمال "الصورة الصرفية " نستطيع الوقوف على معالمها الهادية ومسالكها النيرة التي أقيمت على شرف مفردات القرآن الكريم، والتي فتحت آفاقا واسعة لتقريب معانيها داخل السياق العام الذي وظفت لأجله، ومن ثم التمييز بين ملامحها ودلالاتها الأولية بعد تفرعها عن الأصل الواحد.

تلك إذا هي أهم وجوه الإعجاز التي انفردت بها الكلمة في القرآن الكريم، "فهي لا تعني في متنها المعجمي قولا منطوقا فقط؛ بل استعملت لمعان فريدة مسّت صميم التحادث البشري العادي فأسقطت رونقه وأذهبت حلاوته وأنقصت مطلبه..، لأنه الخطاب الإلهي الذي كلم القلوب والعقول بكل أصناف القول وفنونه، فنراه يفرق بين لفظ ولفظ شبيهه، ويميّز بين قول وقول"[1]، وليس القصد الأول في ذلك إلا المعنى .

ونستشف دقة التنوع الصرفي لمفردات القرآن الكريم في تركيبها داخل السياق العام، فهو يجعلها ذات طابع (دلالي) خاص"[2] يستوعب ألفاظا معينة تتلاءم والمعنى فيصبحان جسدان بروح واحدة ، يقفان به وراء دلالة كثيرا ما تتعدى الحد الواحد "[3].

فإذا كانت الدلالة هي لبّ التنوعات الصرفية، فما هو المفهوم اللغوي والاصطلاحي لها ؟ وماهي المفاهيم التي تتبلور تحتها ؟.

تعريف علم الدلالة:

الدلالة لغة : هي من الفعل (دلّ)، "ومنها الدال والدلولة ، أي: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء

---

[1]– –بتصرف–(جاب الله أسامة عبد العزيز) جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم/ عالم الكتب الحديث (إربد–الأردن) /الطبعة الأولى سنة 2013 / ص 110.

[2]– (أنظر): نفس المرجع ص 110.

[3]– إنما القصد هو تعدد دلالة الصيغة غالبا نحو: (يَصَعَّدُ).و(يَسْطعُ).فهي تحمل أكثر من دلالة واحدة.

كدلالة الألفاظ على المعاني، ودلالة الرموز والإشارات والكتابة والعقود في الحساب...، و(الدليل): هو من حصلت منه الدّلالة "[1].

الدلالة اصطلاحا: كثرت التعريفات الاصطلاحية لعلم الدلالة، فقال بعضهم بأنه دراسة المعنى، أو بالمعنى الآخر العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى"[2].

وإن كثرت هذه التعريفات فهي تتفق على أنه "علم لغوي يبحث في الدلالة اللغوية ويلتزم فيها حدود النظام اللغوي والعلامات اللغوية من دون سواها، ويكون مجاله على صعيد المفردات والتراكيب"[3]، فهو يركز اهتمامه عليها (اللغة) لكونها أكثر الأنشطة الاجتماعية أثرا في حياة الفرد، ولأن موضوعها الأساس هو المعنى، فقد بلغ بهذا العلم أقصى غاياته في جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية "[4]، أما الصور الأخرى التي تبلورت مفاهيمها تحت هذا العلم فهي ليست إلا نتاجا للدراسة اللغوية المتخصصة"[5].

واستشرافا لمنزلة اللغة القرآنية ، فإن علومه تحمل على دلالات لغوية كثيرة تنير سبيل الرشاد إلى مقاصد آياته، وهنا نجد الكلام عن أعلى العلوم وأجلّها؛ وهو (التفسير)، الذي يقرب الألفاظ إلى

---

[1]– (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي) بصائر ذوي التمييز / المكتبة العلمية (بيروت)/ (لا توجد سنة الطبع)/ ج02 ، ص 605.

[2]– (عمر أحمد مختار) ، علم الدلالة / عالم الكتب (القاهرة) /الطبعة الخامسة سنة 1998 / ص 11.

[3]– (علاء عبد الأمير شهيد) الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن/ مؤسسة دار الصادق الثقافية (العراق)/ الطبعة الأولى سنة 2013 / ص 102.

[4]– بتصرف – نفس المرجع ، ص 104–105.

[5]– (منقور عبد الجليل)، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي/ منشورات إتحاد الكتّاب العرب (دمشق) / سنة الطبع 2001 ص41.

أشرف المعاني ويغمر الدارس بفوائد علمية رفيعة، وهذا ما جعل علم الدلالة اللغوية وأدواتها تحتل منزلة رفيعة عند المفسرين، فهي التي تستنبط أسرار القرآن الكريم وتسبر أغوار معانيه، وتومئ إلى أوجه إعجازه التي لم تتوقف عند حد واحد؛ بل هي قائمة فيه تخاطب كل الأجيال "[1].

يبقى اللفظ في القرآن الكريم ذو دلالة أصلية ولغوية واحدة"[2]، وإنما تكون الدلالات الأخرى ثانوية أو فرعية زائدة تحمل عليه، فقولنا بالإعجاز العلمي فيه يقتضي وجود دلالة سابقة مشى عليها المفسرون واللغويون الأوائل، وصولا إلى الإجتهادات العصرية المتعددة، ولهذا نقول أنّ القرآن الكريم لم يمنع واحدا منهم ورده، كما لم يقف عند حدّ أحد منهم؛ بل أضحى متجدد المعاني والدلالات مع تجدّد الزمن.

ولهذا وقع الاختيار على دراسة إحدى الجوانب اللغوية والبلاغية للقرآن الكريم تحت سقف "علم الصرف"، وذلك كمحاولة للبحث عن مكنوناته الدلالية التي خصّ بها كل بناء فيه، فأنت ترى لفظا يصحّ هنا ولا يصحّ هناك حتى وإن كانا في سياق واحد أو مماثل نحو: (يَذَّكّر) و(يتذكّر) و(أوصى) و(وصّى) وحينها تعلم أن ذلك مردّه دلالي، وأن ما قصد بهذا البناء لا يستوي معه معنى البناء المقارب له، فالدقة الدلالية المعمّقة هي الأولى في هذا النظم العجيب.

وإنه لا يعني كشف دلالة الأبنية الصرفية في الخطاب القرآني والاجتهاد في تقريب المفارقة بينها هو تفسير آخر لها؛ وإنما هو محاولة لتتبع آثارها الدلالية أخذا بمعانيها الأصلية الموجودة في كتب

[1]– بتصرف– أحمد الزهراني ، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور– ص 6–7.

[2]– أسامة عبد العزيز، جمالية التلوين الصوتي في القرآن الكريم، ص 111.

التفسير وكتب معاني القرآن، استنادا بذلك على "كتب الصرف" في ضبط معاني الأبنية حتى تكتمل في النهاية صورة الفوارق الدلالية بين الصيغ المدروسة بعونه تعالى.

الأسماء والأفعال في القرآن الكريم:

يقول الكثير من اللغويين والنحاة إنّ "الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث، فإذا قلت (خالد مجتهد) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد، في حين أنك إذا قلت: (يجتهد خالد) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد أن لم يكن، وكذا إذا قلت: (هو حافظ) أو (يحفظ)، فـ(حافظ) يدل على الحدوث والتجدد ونحوه "[1].

والخطاب القرآني منسوج ممزوج من الاسماء والأفعال، فتارة نجده يعبر عن أمر بالفعل وتارة يعبر عنه بالاسم، فيبدو لمن يجهل صنيع البلاغة القرآنية بالألفاظ الجامدة أن المعنى فيهما واحد، أما علماء اللغة والبلاغة فقد استوقفتهم مثل هذه التعبيرات، فمثلا في قوله تعالى:" سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ "[2]، ذكروا أنه "فرّق بين طرفي التسوية فقال: (أَدَعَوۡتُمُوهُم) بالفعل، ثمّ قال: (أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ) بالاسم ولم يسوّ بينهما، فلم يقل (أأنتم داعوهم أم أنتم صامتون)، وذلك لأنّ الحال الثابتة للإنسان هي الصمت، وإنّما يتكلم لسبب يعرض له، ولو رأيت إنسانا يكلّم نفسه لاتهمته في عقله..،ولذا لم يسوّ بينهما، فجاء للدلالة على الحال الثابتة بالاسم (صامتون)، وجاء للدلالة على الحال الطارئة بالفعل (دَعَوۡتُمُوهُم)"[3]، وذلك أنّ الحالة الثابتة فيهم "أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل: (إن دعوتموهم) لم تفترق الحال بين إحداثهم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة

---

[1]– فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 9.

[2]– سورة الأعراف الآية 193.

[3]– فاضل السامرائي، المرجع نفسه ص 11.

عادة صمتكم عن دعائكم"[1].

ويظهر جليّا أنّ الإخبار بالاسم أقرب للتعميم والتبوث في الشيء وإن كان بالفعل أكمل وأتم، ذلك "لأن الإخبار بالفعل مقتصر على الزمانيات أو ما يقدر فيه ذلك، والإخبار بالاسم لا يقتضي ذلك"[2].

وعلى هذا النحو جاء قوله تعالى في سورة الملك: "أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ"[3]. فوضع حدّا بين الاسم (صافات) و(يقبضن) ولم يجمع بينهما بالفعلية أو الاسمية نحو (صافات وقابضات)، أو (يصففن ويقبضن)، وذلك لكون "الأصل في الطيران صف الأجنحة، لأنّ الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأمّا القبض فطارئ على البسط للاستظهارية على التحرك، فجيء بما هو طاريء غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهنّ صافات ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السابح"[4].

وذكر"عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) في (دلائل الإعجاز) أنّ "موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تحدّده شيئا بعد شيء، وأمّا الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء "[5] واستدل بقوله تعالى: "وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ"[6]

---

[1]– المرجع السابق ، ص 12

[2]– الفخر الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص 80.

[3]– سورة الملك الآية 19.

[4]– يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالة الصرفية ص17–18.

[5]– (عبد القاهر الجرجاني)، دلائل الإعجاز /دار المعرفة للنشر والتوزيع (بيروت)/ طبع سنة 1981/ص 133–134.

[6]– سورة الكهف الآية 18.

فقال: "إنّ أحدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وإن قولنا: ("وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) لا يؤدّي الغرض، وليس ذلك إلاّ لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدّد الصّفة في الوقت، ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا "[1].

أما "الفخر الرّازي"(ت606هـ) فذكر أنه إذا "كان الغرض من الإخبار الإثبات المطلق غير المشعر بزمان وجب أن يكون الإخبار بالاسم ("وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) لأنه ليس الغرض إلاّ إثبات البسط للكلب فأما تعريف زمان ذلك فغير مقصود"[2]، ومنه فاسم الفاعل (باسط) تميّز عن الفعل في هذا الموضع في الدّلالة على إثبات وجمود"[3] وكون الثبوت في الأسماء، والتجدد في الأفعال جعل الخطاب القرآني قمة في المعنى، ودقة في الدلالة على كل صغيرة وكبيرة منه، فمن ذلك قوله عزّ وجل في سورة هود: "ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ"[4]، فعبّر باسم المفعول (مجموع) ولم يعبّر بالفعل نحو: (يجمع له الناس)، وذلك لأنّ يوم الجمع زمنه ثابت، يساق إليه الخلق دفعة واحدة، ولهذا "آثر اسم المفعول الذي هو (مجموع) على فعل المستقبل الذي هو (يجمع) لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه الموصوف بهذه الصفة"[5]، ولتقريب هذه الفوارق الدّلالية يمكن الموازنة بين هذه الآية وبين قوله تعال "يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ"[6]، فورود التعبير بالفعل دلّ على نفي الثبوت والتجديد

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق ص 134.

[2]– (فخر الدين الرازي)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز/ دار صادر(بيروت)/الطبعة الأولى سنة2004 / ص 80.

[3]–عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ص 122.

[4]– سورة هود الآية 103.

[5]– (أبي الفتح ضياء الدّين ابن الأثير) المثل السائر /المكتبة العصرية (بيروت)/سنة الطبع 2010 /ج 2، ص 16.

[6]– سورة التغابن الآية 09.

لذلك اليوم .

وللتأكيد أكثر يمكن النظر في قوله تعالى:"رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ"[1]، والأقرب لذلك (ستجمع الناس) لأنه في الاستقبال، ولكن الأمر متحقق ثابت أخبر عنه باسم الفاعل الدال على الثبوت"[2].

وقد نرافق دقة التعبير القرآني في قوله أيضا: "قَالُوٓاْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥"[3]، فذكر الفعل (تلقي) خاصّا بسيّدنا موسى عليه السّلام، في حين عدل إلى الاسمية (ملقين) لما كان الأمر خاصّا بالسّحرة ،ولا نظن أن ذلك لغرض تنويع الخطاب كما يفعل الكثير، وإنما المعنى هو من يملي ذلك، ألا ترى أن ذكر الفعل مصاحبا لموسى عليه السّلام كان سببا كافيا في نفي السّحر عنه، وأنه لا يزاوله، في حين أن ذكر اسم المفعول (ملقين) كدليل على أن من كانوا يبارونه سحرة، وأنّ تلك حرفتهم وصنعة لهم.

كما عبّر في مواطن أخرى بـ(الذين ينفقون) بدل (المنفقون)، كما قيل (المؤمنون)، و(المتقون)، وذلك لأن النفقة أمر فعل شأنه الانقطاع والتجدد ، بخلاف الإيمان فإنّ له حقيقة تقوم بالقلب يدوم مقتضاها "[4].

ويبقى تنويع الخطاب القرآني بالاسم والفعل يحمل أجمل الدلالات اللغوية التي تضع المعنى في

---

[1]– سورة آل عمران الآية 09.

[2]–يوسف المرعشلي ، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 19.

[3]– سورة الأعراف الآية 115.

[4]– (جلال الدين عبد الرحمان السيوطي)، الإتقان في علوم القرآن / دار ابن حزم (بيروت) الطبعة الأولى سنة 2008/ص.375

صورته الدقيقة المتلائمة مع الجو العام الذي توظف فيه، ومنه يمكننا إثراء مكتسباتنا البلاغية، وتصحيح ألحاننا اللغوية .

الفصل الأول

صيغ الأسماء وأثر تنوعاتها الصرفية في إنتاج الدلالة

المبحث1: التنوعات الدلالية للمصادر

المبحث 2: معاني المشتقات

المبحث3: دلالة الجموع في السياق القرآني

صيغ الأسماء في القرآن الكريم:

تعددت صيغ الأسماء في القرآن الكريم من مشتقات ومصادر وجموع وغيرها"[1]، فسيقت فيه بشكل عجيب وتوظيف دقيق حمل معه أصدق المعاني التي طالما نحسبها ذات دلالات واحدة .

ولعل الكثير قد لا يميّز بين معاني الأبنية، فلا يرى فرقا بين نشط ونشيط، وعسر وعسير، وأجرب وجرب، وعطشان وعطش..، ولا يميّز بين (مفعول) و(فعيل) و(فعيلة) في اسم المفعول، فلا يعرف الفرق بين مقتول وقتيل مثلا، وذبيح وذبيحة.."[2]، كما أنه قد لا يرى فرقا بين ضعاف وضعفاء، وأعين وعيون، وسنابل وسنبلات في الجموع .

-وتبقى أبنية الأسماء في القرآن الكريم أكثر ما شدّ اهتمام علماء اللغة، فتزايد اجتهادهم في ضبط معاني أبنيتها فراحوا "يقعّدون لذلك القواعد دون إغفال المعنى، فذكروا معاني الصيغ ك(الفعالة) و(الفعلان) و(الفعال) في المصادر، وذكروا المعاني العامة لأبنية الصفة المشبّهة، كما اجتهدوا في تفسير معاني أبنية المبالغة وغيرها من الأبنية"[3].

وهذه الأبنية التي اجتهدوا في ضبطها؛ تبقى أهم أدوات الكشف في أغوار معانيه، ومن ثم يأخذ بها الباحث عن لآلئه المتناثرة في كل جانب، أو على أقله تجعله يفرق بين الغث والسمين في كلام من يوظفون الألفاظ بحسب أذواقهم لا كما يقتضي منهم المقام .

---

[1]– (مشرف بن أحمد الزّهراني) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور ص 473.

[2]– فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 6.

[3]– يوسف المرعشلي، الإعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 15.

المبحث الأول

التنوعات الدلالية للمصادر

1- معاني صيغ المصادر.

2 – معاني المصدر الميمي

3- أثر الصائت في تعدد معاني البناء الواحد للمصادر

1: التنوعات الدلالية للمصادر:

1-1-معاني المصادر:

يقال أنّ: "المصدر هو أصل المشتقات، وهو اسم يدلّ على حالة أو حدث دون أن يقترن بزمان وتتمثل فيه جميع أحرف فعله"[1]، وأن اختلاف أبنيته يكون باختلاف أصول فعله في كونه ثلاثيا أو رباعيا، مجرّدا أو مزيدا، أمّا توظيفها في الكلام فتكون بحسب المعنى الذي تحمله، فالعرب مثلا تقول:"عبر الرّؤيا يعبرها (عَبَارَة)، وعبر النهر يعبره (عُبُوراً)، وعبر الرّجل يعبر (عَبْراً) إذا استعبر، و(العَبَرُ) سخنة العين، ويقال لأمّه (العَبَرُ)"[2]، كما نجد مثلا للفعل (كتب)أكثر من مصدر، فمنه الكتاب والكتابة والكاتب، كما أن بعضهم يقول: (كَتْبًا) على القياس "[3].

وقد أرجع علماء العربية أسباب تعدّد هذه المصادر إلى أمرين أساسين هما:

1-"اختلاف لغات العرب: فمن المعلوم أن قبائل العرب قد تختلف في استعمال لفظ أو تعبير، فقد تستعمل قبيلة مصدرا لفعل لا تستعمله قبيلة أخرى"[4]، فقبيلة قيس مثلا تقول: رَضَعَ يَرْضِعُ، وأهل الحجاز يقولون: رَضَعَ يَرْضَعُ "[5]، وهو ما ذكره "الفرّاء" (ت207هـ) قائلا: "إذا جاءك (فَعَلَ) ممّا لم يسمع مصدره فاجعله (فَعْلاً) للحجاز و(فَعُولاً) لنجد "[6].

---

[1]- يوسف المرعشلي ، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 36/ (أنظر): خليل الزروق الخلاصة في الرسم والصرف 67.

[2]- (مسلم بن قتيبة)، أدب الكاتب / مؤسسة الرسالة ناشرون (دمشق)/ الطبعة الأولى سنة 2012/ ص 289.

[3]- (عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه) الكتاب / مكتبة الحانجي (القاهرة)/ الطبعة الثالثة سنة 1988/ ج4، ص 7.

[4]- فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 18.

[5]- يوسف المرعشلي ، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 39.

[6]- (أنظر): (أبي عمرو عثمان بن الحاجب)، الشافية في علم التصريف/المكتبة المكية (مكة المكرمة)/ الطبعة الأولى سنة 1995/ ص 26.

2- "اختلاف المعنى: وهو سبب مهم في اختلاف المصادر، فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به لا يستعمل له المصدر الآخر، أو يكثر استعماله فيه"[1].

ويبقى السبب الثاني هو الغاية الأولى في هذا المبحث، لكن ليس بمفهوم اختلاف المعنى، وإنما زيادة معنى أحدهما على الآخر، لأنّ الاختلاف أقرب للتعاكس والتعاور في المعنى كليّا.

وكثيرة هي المصادر التي تنوعت أبنيتها واجتمعت أصولها على بناء واحد كثيرة، فمنهم من جعل للثلاثي وحده " ثمانية وأربعون وزنا"[2]، ك(التفعيل)، و(التفعلة)، و(الإفعال) و(التفعل)، و(الفعال)، و(المفاعلة)، و(التفعلل) و(الإنفعال)، و(الإفعلال)، و(الإستفعال) وغير ذلك"[3].

يقول "ابن الحاجب" (ت646): "والمزيد فيه والرّباعي قياس، نحو: أكرم على إكرام، ونحو: كرّم على تكريم وتكرمة..، والتزموا الحذف والتعويض في نحو تجزئة وإجازة واستجازة، ونحو ضارب على مضاربة وضراب.."[4]. ومن هذه التلوينات التي وردت في كتابه المنير نذكـر:

الصوم والصيام:

إنّ لفظ (الصوم) و(الصيام) لا يختلفان عن كونهما يتفرعان من أصل اشتقاقي واحد وهو (صَامَ)، جاء في مقاييس اللغة أن "الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان، ومن ذلك صوم الصائم"[5].

---

[1]- فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 19.

[2]- (محفوظ الشنقيطي)، وشاح الحرة بإبراز اللاّمية وتوشيحها ص 81.

[3]- (أنظر) عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 67-68-69.

[4]- الشافية في علم التصريف ، ص 27.

[5]- أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج3 ، ص 323.

ورد بناء (صَوْم) على (فَعْل) -بفتح الفاء وسكون العين- نحو: (فَوْز) من (فاز)، و(مَوْت) من (مات)، و(مَيْل) من(مال)"[1]، ومن ذلك قوله تعالى:"فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا "[2] ولم يرد اللفظ إلاّ في هذا المقام.

أمّا لفظ (صيام) ،على وزن فعال (فِعَال) -بكسر الفاء وفتح العين- كثير الدلالة، وممّا تقاربت معانيه، "فجاءوا به على مثال واحد نحو: الفِرار والشِّراد والشِّماس والنِّفار والطِّماح، وهذا كلّه مباعدة..، وقالوا الخلاء والحران، والخلاء مصدر من خلأت الناقة، أي: حرنت، وقد قالوا (خِلاء) لأنّ هذا فرق وتباعد، فالعرب ممّا يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد، ومن كلامهم أن يدخلوا في تلك الأشياء غير ذلك البناء"[3]. ومنه قوله عزّ وجلّ:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾"[4].

واضح معنى (الصيام) في هذه الآية، فهو المقصد الشرعي المعروف عند المسلمين، وقد ورد في سياق الأمر على من هو مكلّف، بدليل قوله: (كُتبَ عَلَيكُمْ) ،كما أن المعنى ليس ذاته الذي حمل عليه لفظ (صوم) رغم اشتراكهما في أصل واحد دال على معنى الإمساك عن الشيء، فكون لفظ (الصيام) حمل على معنى الكف عن الأكل والشرب ونحوه..، جاءت لفظة (صوم) هي الأخرى بمعنى

[1]- (محمد سالم محسين)، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن /دار الكتاب العربي (بيروت) الطبعة الأولى سنة 1987/ص 296.

[2]- سورة مريم الآية 26.

[3]- سيبويه ، الكتاب ج 4 ص 12.

[4]- سورة البقرة الآية 183.

الكف والسكوت عن الكلام"[1].

ولتقريب دلالتيهما أكثر، يمكن إبدال كل منهما داخل سياق الآخر نحو:(إنّي نذرت للرّحمن صياماً)، أو (كتب عليم الصوم)، فنرى أن النقص باد في التركيب؛ كما نلحظ أنّ كلتاهما لم توفّ الغرض المنشود كالذي هو عليه في الأصل، وكأن ما يحمله (الصوم) من معنى يبقى جزءا من معاني (الصيام)، لأنّه من عادة الصائم الإقلال من الكلام وصرفه إلى ما به النفع كالذكر والصلاة والدعاء وغير ذلك .

وقد كان في تحديد علماء النحو لمعاني "الأبنية الصرفية" دورا كبيرا في ضبط بعض معاني الألفاظ، فـ(فَعْل) مثلا جاءت للمبالغة عن فعل (الصوم) في صاحبه (صائم)، وهو ما تؤكده كتب القصص عن حياة مريم عليها السّلام بكثرة خلوتها وتعبّدها داخل المحراب، وهو ما يرجح قلة كلامها في غير التعبد، وكأنه لما كانت صيغة (صوم) بمعنى الصمت جيء بها على وزنه، وخصها الله به"[2]

ويبقى التفريق بين صيغ المصادر من حيث التوظيف الدلالي هو السبيل الأمثل للوصول إلى المعنى المراد..، جاء في (اللسان) مثلا أن: العرب تقول: وقفت بالمكان وقوفا، أي: خلاف الجلوس، ولكنها تقول: وقفت الدّابة وقفا أي: حبستها"[3] ، فجعلوا لكل معنى بناء خاصا، فالمعنى الأول غير الثاني، وكذلك (الصيام) جاء بناءه على (فِعَال) للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل..، ولذلك فرقوا بين معاني الأبنية، فقالوا مثلا: أن الأثر يكون على (فِعَال)، والعمل يكون (فَعْلاَ)"[4]

[1]–(عبد العال سالم مكرم) الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني ص 98

[2]–فاضل السامرائي،معاني الأبنية في العربية ص21–22

[3]– (أنظر) يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدّلالات الصرفية ص 42.

[4]–سيبويه، الكتاب ج4، ص 13.

الصّد والصّدود:

ورد لفظا (الصد) و(الصدود) في مواضع مختلفة من الخطاب القرآني ، وكان لكلّ منهما دلالة خاصة تزيد في أحدهما عن الآخر، فـ(الصدّ) قياسه الفعل المتعدّي الثلاثي (فَعْل)"[1]-بفتح فسكون- كضرب ضَرْباً، وردَّ ردّاً، وفَهِم فَهْماً"[2]، أمّا (الصدود) فهو قياس مصدر الفعل اللازم الثلاثي (فَعَلَ)"[3] كقعد قعودًا وجلس جلوسًا.

يقول "ابن فارس" (ت 395): "الصَّاد والدَّال معظم بابه يؤول إلى إعراض وعذول، فالصدّ: الإعراض يقال: صَدَّ يصدّ، وهو ميل إلى أحد الجانبين، ثمَّ تقول: صددت فلانا عن الأمر إذا أعذلته عنه "[4].

وقد ورد لفظ (الصد) في قوله تعالى: "يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ "[5].

أما لفظ (الصُّدُود) فذكر في قوله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ "[6]

قد يعبر أحدهم بالمصدرين عن معنى واحد، فيبدوا له ذلك قمّة فيما يكتب، بيد أن المعنى يسقط

---

[1]- فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية ص 22.

[2]-الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف ص 80.

[3]- (أنظر): يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 42.

[4]- معجم مقاييس اللغة، ج3 ، ص 282.

[5]- سورة البقرة الآية 217.

[6]- سورة النساء الآية 61.

وينهار إذا ما تدبّر وروده في الخطاب القرآني، لأنّ المعاني المحمولة عليهما أدق بكثير، ولو كانتا بذات المدلول لوظف أحدهما وناب عن الآخر.

ذكر صاحب (صفوة التفاسير) في تفسير قوله تعالى:"وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ" أي: "أنه منع المؤمنين عن دين الله وكفر بالله "[1].

وذكر في تفسير قوله تعالى:"يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا"، أي: "رأيتهم لنفاقهم يعرضون عنك إعراضا"[2].

يمكن الجزم أنّ (الصدّ) أشدّ من (الصدود)، لكن قد يتساءل أحدهم ويقول :كيف ذلك؟

يمكن إثبات ذلك بأن معنى (الصد) اقتصر على من يعرض عن الحق (سبيل الله) مع منع غيره من إتباعه ، في حين أنّ لفظ (الصدود) اقتصر على معنى الإعراض فقط"[3].

ولتقريب هذا المعنى أكثر يمكننا ردّ الصيغتين داخل سياقيهما، فـ(الصدّ) ذكر في موضع واحد وكان ذلك حينما سأل الصحابة رضوان الله عليم النبي "صلى الله عليه وسلم" عن جواز القتال في الشهر الحرام دفاعا عن أنفسهم أم لا، فنزلت الآية ترهيبا وتحذيرا لمن قام به من المشركين في حق المؤمنين، وذلك لأنهم لم يؤمنوا ولم يقفوا عند كفرهم، بل جاءوا بأعظم منه، فقد منعوا الناس من الإيمان بالله وصدّوهم عن القيام بذلك بقتلهم وترهيبهم وإبعادهم عن إقامة شعائرهم في المسجد

[1]– (محمد علي الصابوني)، صفوة التفاسير/ المكتبة الفيصلية (مكة المكرمة) المجلد الأول، ص 138.

[2]– نفس المرجع، ج1، ص 286.

[3]– (أنظر): (عبد السلام محمد هارون)، معجم ألفاظ القرآن الكريم/ مجمع اللغة العربية (مصر) الطبعة الثانية سنة 1988/ ص 663.

الحرام، فهم بهذا (الصدّ) أولياء للشيطان، وقد حذرهم سبحانه وتعالى في قوله:"وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ"[1]. يقول (بن عاشور):"وذلك تحذيرهم من الإصرار على الإعراض عن القرآن وإعلامهم بأنّ ذلك يفضي بهم إلى مقارنة الشيطان..، تنبيها أن الصدود عن هذا الدّين من وسوسة الشيطان، وتذكيرا بأن عداوة الشيطان للإنسان عداوة قوية لا يفارقها إلا الدّفع بالنّاس إلى مساوئ الأعمال ليوقعهم في العذاب تشفيا لعداوته"[2].

وإذا عدنا إلى السياق الذي وردت فيه صيغة (الصدود) نجد أن الخطاب فيها كان موجها للمنافقين، وذلك لإعراضهم عن كل ما يأتي به النبي "صلى الله عليه وسلم" دون إشعار غيرهم بذلك، فهم لا يظهرون ما هم عليه حتى لا ينكشف أمرهم، فعبّر عنهم بهذا اللفظ لدقة المعنى المقصود منه، فكون (الصّدود) هو الإعراض فذلك ملائم لحال المنافقين، لأنهم لا يمنعون غيرهم ولا يصدّونهم علنا، بل يعرضون عنهم خفية حتى لا ينكشف أمرهم .

ولهذا نرى الخطاب القرآني فرّق بين الكفر والنفاق بذكر صفة كلّ منهما بلفظ خاص ولم يذكرهما على نحو واحد، فالكافر يجحد ويكفر بالله ويمنع غيره علنا، فعلا وقولاً، أمّا المنافق فخصّه بـ(الصدود) لإكتفاءه بالإعراض، والذي طالما يقتصر على نفسه أو من شابهه صفة، كما لا يكون فعلا بالقوة، ولو كان كذلك لصار كفرا علنيا وليس نفاقا، فكتمانه لحقيقة ما هو عليه من الكفر يجعله في مأمن حتى لا ينكشف أمره مع من يظنون بإسلامه، ويستأنسون بزخرف كلامه.

---

[1]– سورة الزخرف الآية 62.

[2]–(الطاهر بن عاشور)، التحرير والتنوير/ الدار التونسية للنشر(تونس)/ سنة الطبع 1984/ ج 25 ، ص 244–245.

الحياة والحيوان:

يعد مصدر (الحيوان) من المصادر القليلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهو يشارك مصدر (الحياة) في الفعل (حيي) كأصل اشتقاقي لهما.

جاء في (مقاييس اللغة) أنّ "الحاء والياء والحرف المعتل أصلان أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء..، فأمّا الأول فالحياة والحيوان، وهو ضدّ الموت والموتان.."[1].

إنّ كلمة (الحياة) معروفة المعنى"[2]، وسميت بذلك لأن فيها محيا الإنسان، وبها معاشه وطعامه وشرابه وحركاته وسكناته، فهي نظام متعدّد ومقيّد، قال تعالى:"ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ "[3]. وبهذه المعاني المذكورة في الآية الكريمة نجدها تشمل جوانب عدة، منها القبيح ومنها الحسن. وقد ذكرت في سبع وستين موضعا، وكلّها بالمعنى الدال على حياة الناس أو غيرهم"[4].

أمّا صيغة (الحيوان) على (فعَلاَن) فهي" من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني، كقولك النزوان والنقزان والقفزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع"[5]، لأن في توالي حركات المثال توالي حركات الأفعال"[6]، فالنقز والقفز والنزو خلاف لما ذكرنا، فهي تحمل معها المعنى المشترك فقط، ولا تعبّر عن شدة الحركة والاضطراب كما في بناء (فعلان)، ومنه قوله

---

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2 ، ص 122.

[2]– (منيع القيسي)، سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد/ دار البشير للنشر والتوزيع (عمان) الطبعة الأولى سنة 1996/ ص 245.

[3]– سورة الحديد الآية 20.

[4]– (فاضل السامرائي) ، من أسرار البيان القرآني دار الفكر(عمان) الطبعة الأولى سنة 2009/ ص 11.

[5]– سيبويه ،الكتاب ج 4 ، ص 14.

[6]– (أبو الفتح عثمان ابن جني)، الخصائص، ج2 ، ص 152.

تعالى:"وَمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ "[1]

ذكر "الفيروز آبادي" (ت817) أن لفظ (الحيوان) مقر الحياة وأصلها وهو على ضربين: أحدهما ماله الحاسة، والثاني ماله البقاء الأبدي، وهو المقصود في قوله تعالى، فقد نبّه بقوله: (لَهِيَ الحيَوَانُ) أي: أنه الحيوان الحقيقي السّرمدي الذي لا يفنى..، لا ما يبقى مدة ويفنى بعد مدة"[2].

فما نجده في لفظ (الحيوان) من حركة مطلقة، يختلف عما نجده في لفظ (الحياة) من حركة مقيدة، لأن بناء (الحيوان) أريد به تصوير حركة أهل الجنة في أقوى تعبير، لا لوصف أفعالهم فيها فقط، وقد نرى الفارق في معنى كل بناء، فلو قلنا مثلا: غلى الماء غليا فهنا نكون قد أردنا التعبير عن الفعل ولم نرد به التقلب والحركة، ولو أردنا ذلك لقلنا على الماء غليانا"[3].

ولو عدنا إلى سياق هذا البناء المنفرد والوحيد (الحيوان) من سورة العنكبوت في قوله تعالى:"وَمَا هَـٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِب "،نستشف فيه التحذير من مغبة إتباع الدنيا وجعلها لعبا ولهوا وركوضا وراء ملذاتها، أما تعقيب الخطاب بقوله:"وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ"، دليل ثابت أنّ الآخرة أجدر ما تكون للعب واللهو من الحياة الدنيا، لذا فلفظ (الحيوان) ورد بصورة واحدة مطلقة وشاملة لكل معاني الحياة الآخرة التي لا قيد فيها

[1]– سورة العنكبوت الآية 64.

[2]– (محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز ج2 ، ص 514.

[3]– بتصرف– فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 31.

ولا شرط، ولا ألم ولا حزن، ولا خوف ولا جوع..، إنها جوّ من الحرية والتمتع الذي يصحب كل من كانت الجنة نصيبه ومفازه، وإنما بناها على (فعلان) للدلالة على كمال الحياة تم "[1]. وهو ما أكدته (إن) و(اللام) في السياق.

ولعل مثل هذا المعنى يطلق على البهائم والأنعام والدواب (حيوانات)، ذلك أنها لا تنصاع لأمر ولا تتقيد بشرط، وكذلك هي الدار الآخرة، ففيها كل ما يومئ إليه هذا البناء من معنى الحركة "توضيحا لمعنى كمال الحياة بقدر المتعارف، فإن التحرك والاضطراب أمارة على قوة الحيوية في الشيء"[2].

وما نخلص به القول أن (الحياة) معناها مقيّد والاستمرار فيها عارض، أما لفظ (الحيوان) فمعناه يدل على النشاط وطرد الملل من الذهن ونفي الجمود والفناء معا"[3]، وروده على هذا البناء إنما جاء للمبالغة عن معنى الحياة "[4]، التي إذ ما قارناه بالآخرة ترى وكأنها هود وسكون .

الكفر والكفور والكفران:

تلتقي المصادر الثلاث في أصل لغوي واحد، وهو (كَفَرَ)، يقال: كفَر كُفْراً وكُفُوراً وكُفْراناً "[5]، و"الكاف والفاء والراء فيها اجتمعوا على أنها أصل واحد صحيح وهو الستر والتغطية "[6].

خصّ القرآن الكريم هذه الألوان الصرفية بمعان متفاوتة ودلالات متزايدة، فجاء بناء (الكفر)

---

[1]– (أنظر): المرجع السابق ، ص 31.

[2]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21 ، ص 31.

[3]– (أحمد كاسوف) جمالية المفردة القرآنية / دار المكتبي (دمشق) /الطبعة الثانية سنة 1999/ ص 162.

[4]– نفس المرجع ، ص242

[5]– عبد العال سالم مكرم ، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني ص 117.

[6]– (أنظر) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة مادة (كفر) ج5 ، ص 191.

على وزن (فُعْل)-بضم الفاء وسكون العين- للوصف المبالغ فيه، نحو قولنا:"شيء نُكْر، أي مُنكر..، وأمر خُسْر أي: "بالغ الخسارة"[1]، ومنه قوله تعالى: "وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ"[2].

أمّا لفظ (الكُفُور) على وزن (فُعُول)-بضم الفاء والعين- فكثيرة أبنيتها كالشكور، والقعود والجلوس"[3]، والعرب تقول: زَرِحَت الناقة زُرُوحاً إذا سقطت من الهزال والتعب"[4]، ومن ذلك قوله تعالى: "فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا "[5].

أما صيغة (كُفْران) وزن (فُعْلان)-بضم الفاء وسكون العين- كثير الدلالة، فقد يكون للجمع كذكران وشبّان، كما يكون في الصفات أو في الصفات التي ضارعت الاسم، وهي أقرب إليه من الصفة إلى الاسم"[6].ولم يأت ذكر لفظ (كُفْران) إلا في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى:"فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ"[7].

سيقت هذه المصادر بمرات متباينة ومتفاوتة في القرآن الكريم، فكان للكفر النصيب الأوفر منها

---

[1]- يوسف المرعشلي ، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 63.

[2]- سورة البقرة الآية 108.

[3]- (أنظر): محفوظ الشنقيطي ، وشاح الحرة بإبراز اللامية وتوشيحها، ص 84، 85.

[4]- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص 468.

[5]- سورة الفرقان الآية 50.

[6]-يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 134.

[7]- سورة الأنبياء الآية 94.

بسبع وعشرين مرة وكلها بمعنى واحد وهو "تغطية الحق"، وقد ذكر له بعض أهل العلم أربعة معان هـي:

1-"كفر الإنكار: أي: أنه لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به، فيكون بالقلب واللسان.

2- كفر الجحود: ككفر إبليس، فهو يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه.

3-كفر المعاندة: وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به تعصبا وحمية.

4-كفر النفاق: وهو الإقرار باللسان وكفر بالسريرة "[1].

ولعلنا نجد أن هذه الأوجه هي معاني (الكفر) في الخطاب القرآني..، أما اختلاف سياقاتها فيه فيختلف بحسب تفاوت درجاته، وذلك عمود البلاغة فيه.

إن الحديث عن السياق الذي وردت فيه صيغة (كفران) يختلف عن سياق (الكفر)، فورودها الوحيد جاء مسبوقا بالنفي (لا كفران)، أي: لا بطلان لثواب عمله (الإنسان)، وأنه لا يضيع شيء من جزائه"[2]، وهذا يومئ أن المبالغة تكمن في:

1- أنّ سعيه الطيب لن يخيب مادام مؤمنا ولو كان مثقال ذرة، وهذا كناية عن إحاطته ودرايته سبحانه وتعالى بكل ما قدّم عباده .

2- أنّ لهذه الصيغة معنى معاكس يثبت ضياع الأعمال من أصحابها فتكون هباءا منثورا ما لم يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى.

يقال (كفران النعمة).. وذلك حين سترها وترك أداء شكرها ، وهي في جحود النعمة أكثر

[1]- -بتصرف- عبد العال سالم مكرم ، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني ص 118.

[2]- علي الصابوني ، صفوة التفاسير، ج 2، ص 274-275.

استعمالا "[1]، وصاحبها (الكافر) يكون أشد تعنتا ومعاندة...، فالنعم إن كثرت وازدادت عليه وعلم حقيقة ذلك الفضل ثم أنكرها فهذا (كفران) وليس (كفر)، لأن (الكفر) أكثر ما يكون في الإيمان بالله، أما (الكفران) فهو في جحود النعم الكثيرة.

أما صيغة (الكُفُور) فوردت في ثلاثة مواطن متعلقة بكفور الناس أو كفور الظالمين، يقول (الطاهر بن عاشور): "و(الكُفُور) صيغة مبالغة أي كثير الكفر، والكفر ضد الشكر..، فتكون صيغة المبالغة من قوله (كُفُوراً) راجعة إلى قوة صفة الكفران "[2].

يبقى هذا التعبير الأدق والأنسب لمعنى (الكُفُور)، ولو عدنا إلى كل سياقاتها التي وردت فيها نجد أنها سبقت بلفظ (أبى) "ومعنى ذلك أن الذي يأبى هو الذي يمكنه أن يدرك الحق، ولكنه يرفض الحق على إدراكه له، ويرفض السير في هذه الطريق طغيا وبغيا، وهذا يكون في أشد حالات الكفر، أي: يكون كَفُوراً ويكون عمله كفوراً "[3].

إن سرّ تفاوت هذه الدلالات جعل مواضعها تختلف من سياق لآخر في النصوص القرآنية السابقة ، فـ(الكفر) جاء معناه مطلقا، أما (الكُفْران) فقد قوبل بجحود النعمة وإنكارها، في حين نجد أن (الكفور) أشد منهما لكون صاحبه يعلم الحقيقة ولا يقرّبها، ولهذا نجده سبق في كل سياق بلفظ (أبى)، فهذا يؤكد أن لفظ (الكفور) للدلالة على ما هو أعمّ من الكفر والكفران "[4].

---

[1]– منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ ص 309 / بصائر ذوي التمييز، ج 4، ص 361.

[2]– التحرير والتنوير، ج15، ص 160.

[3]–منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ، ص 310.

[4]– فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية ، ص 20.

الخُسْر والخَسَار والخُسْرَان:

تستظل صيغ الخُسْر والخَسَار والخُسْرَان تحت شجرة لغوية واحدة، وهي الفعل الثلاثي المجرد (خَسِر)- بفتح الفاء وكسر العين- نحو: لعب وفرح وقدم وغيرها، والمستقبل منها يأتي على وزن (يَفْعَلُ) نحو: عَلِمَ يعْلَمُ و عَجِل يعْجَل"[1]، ومنه خَسِر ويَخْسَر وليس يَخسِر.

يقال: خسِر يخسَر خُسْراً وخسراناً وخساراً ؛ وذلك "إذا أصابه النقص والضياع في نفسه أو أهله أو ماله"[2].

صيغ مصدرا (الخُسْر) و(الخُسْران) على وزن (فُعْل) و(فُعْلاَن)-بضم الفاء وتسكين العين- وقد سبق ذكرهما في مصدري الكفر والكفران، أما (الخَسَار) فجاء بناءه على (فَعَال)- بفتح الفاء والعين- وهو من الأوزان القليلة التي تبنى عليها المصادر أيضا. يقول (سيبويه): "وربما دخلت اللغة في بعض هذا فكان فيه (فِعَال) و(فَعَال)"[3]، كقولهم: رجل (خَشَاشٌ) و (خِشَاشٌ) وهو اللطيف الرأس، الضرب الجسم..، وحكى (ابن الأعرابي): أن "(سِدَاد) من عوز، و(سَدَاد)، وهذا (قَوَامُهم) و(قِوَامُهم)، و(الوَثَاق) و(الوِثَاق)"[4]، فهي بكسر الفاء معنى، وبفتحه معنى آخر.

كما ورد مصدر (الخُسْر) في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما في سورة العصر وذلك في قوله عزّ وجل: "وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ "[5].

---

[1]–ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص 415.

[2]– عبد السلام هارون ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 352.

[3]– الكتاب، ج 4، ص 12.

[4]– ابن قتيبة، أدب الكاتب ص 463.

[5]– سورة العصر الآية 1، 2.

يقول الدكتور (السامرائي) في لفظ (خسر): "استعمل القرآن (الخُسْر) لعموم الخسارة سواء كانت قليلة أم كثيرة، فهو لمطلق الخسارة"[1]، وإن التعبير بها "أبلغ من أن يقال إنّ الإنسان لخاسر"[2]، فكونه في الخسر فذلك يختلف عن كونه خاسر.

أمّا لفظ (الخُسْرَان) فقد ذكر مرة واحدة في الخطاب القرآني، وهو في قوله تعالى:" خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ "[3].

وردت صيغة (الخُسْران) لدلالات تحمل أعظم معاني الخسار وأفدحه "[4]، بل هي "توكيد لمعنى الخسارة المبالغ فيها..؛ فمن ذلك نجد الذي يعبد الله على حرف خسر الدنيا والآخرة، ولعله لا يوجد خسران أبلغ من أن يخسر المرء دنياه وآخرته كلتيهما ؟"[5].

أما (الخَسَار) فورد ذكره في ثلاث مواطن وبمعاني متقاربة، قال الله تعالى:"وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا"[6].

قد يحمل لفظ (الخسار) على معنى "الزيادة في الخسارة أو الكمية المضاعفة من الخسارة إلى وضع كله خسارة أساسا "[7]، كما قد يكون لفظه "مستعارا لحصول الشر من وسائل شأنها أن تكون سبب خير، كخسارة التاجر من حيث أراد الربح"[8]، لذا فالكافر يزداد خسارا كلما ازداد كفرا .

---

[1]– من أسرار البيان القرآني، ص 12.

[2]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 30 ص 531.

[3]– سورة الحج الآية 11.

[4]– فاضل السامرائي، من أسرار البيان القرآني ص 15.

[5]– منيع القيسي، سر الإعجاز في تنويع الصيغ ص 252.

[6]– سورة نوح الآية 21.

[7]–منيع القيسي، نفس المرجع ص 252.

[8]–الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ج 29، ص 207.

لا يخفى أن لهذه التنوعات دلالات عظيمة لا يمكن الأخذ بها إلا بالعودة إلى سياقاتها، فلنقف مثلا عند مصدر (الخسر) في سياق سورة العصر، فالمولى تبارك وتعالى أقسم بالعصر، ثم أتبعه بتأكيد خسر الإنسان فيه بقوله:(لَفي خُسْر)، أي: أنّه يزداد خسرا كلما ازداد بقاءا. أما بناءه الثلاثي على (فُعْل) فيلحظ فيه دلالة قوية على سرعة اكتساب الذنوب لكثرتها في هذا العصر ولصعوبة خروجه منها؛ إلا إذا تواصى بالحق والصبر مع غيره، كما أن خفة النطق بها على خلاف (الخسار) و(الخسران) لها دلالة خاصة تثبت هذا، أو على أقلها تبقى جزءا من هذه الدلالة المقصودة

أما سياق (الخسران) فجاء في حق صنف من الناس يعبدون الله على شك، فإن أصابتهم سعة من العيش اطمأنوا بها واستقروا وثبتوا على إسلامهم، وإن أصابهم ضيق بالعيش رجعوا لما كانوا عليه من الكفر، وأولئك خسروا الدارين والهلاك موعدهم، ولذا استعمل (الخسران) لما فيها من العموم والكثرة، وكأنه يراد به صفة الخسر الكبرى، أو موطن الخسر بعينه.

أما (الخَسَار) فجاءت سياقاته متقاربة، قال سبحانه في سورة فاطر:"وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا"[1]، وقال في سورة الإسراء: " وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا"[2]، فارتبط الخسار بالكافرين والظالمين، في حين ارتبط في السياق الثالث بأحد شهواتهم في الدنيا، وهي حب (المال والأولاد) وهما سبب زيادة خسارهم آبائهم باتباع نهجهم الفاسد ، وذلك بدليل قوله تعالى: "وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا "[3]، فصار الذين يخرجون

[1]– سورة فاطر الآية 39.

[2]– سورة الإسراء الآية 82

[3]– سورة نوح الآية 27.

من أصلابهم يثقلون ميزان خسارهم .

كذلك حال الكافرين؛ ظلّوا ما هم عليه من (الخسر)، فكلما أتاهم الحق إلا وكفروا به وازدادوا (خساراً)، ونفس المعنى في ظلم الظالمين، وذلك لاستحكامه في أنفسهم بعد تعنتهم وتجبّرهم أمام الحق، أو مع غيرهم بصدّهم ، وهذا خسار عظيم حالهم فيه كخسار إبليس أو المنافق، فهم يعلمون الحقيقة لكن لأنفسهم وغيرهم ظالمين .

وننهي القول أنّ لفظ (الخسر) معناه مطلق يمس جوانب عدة من الحياة، أمّا (الخسار) فاستعمله للزيادة في الخسارة أو في طلبها ظلما وتعنتا، أما "(الخسران) فلأعظم الخسار وأفدحه، وهذا تأكيد لقولهم "أن في زيادة المبنى دليل على زيادة المعنى"[1].

2-1-معاني المصدر الميمي:

ومن المصادر التي تنوعت أبنيتها في القرآن الكريم وتقاربت معانيها عند الكثير نجد "المصدر الميمي" الذي تعددت دلالاته عن المصادر الأخرى، فما يؤخذ من المرجع، والمآب، والمحيا، والممات، يختلف معناه عن الرجوع، والإياب، والحياة، والموت..، هذا حتى وإن جيء بهذه المصادر في سياق واحد، لأن "المصدر الميمي في كثير من التعبيرات يحمل معنى لا يحمله المصدر غير الميمي"[2]، ولو كانت دلالاتها واحدة لما وظفت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة.

[1]- السامرائي ، من أسرار البيان القرآني ص 14.

[2]-السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 34.

(المصدر الميمي) هو "مصدر يدل على ما يدل عليه المصدر العادي غير أنه يبدأ بميم زائدة "[1]، ويصاغ من الثلاثي المجرد على وزن (مَفْعَل) نحو: مَنْصَر، ومَضْرَب، ومَطْلَع، ومَسَاق، ومَحْيَا "[2]، وما لم يكن مثالا صحيح اللام تحذف فاؤه في المضارع، كـ(موعد) فإنه يكون على زنة (مَفْعِل) بكسر العين كمَوعِد وموضِع"[3].

ويصاغ من غير الثلاثي على زنة (اسم المفعول)"[4]، أو على زنة فعله المضارع المبني للمجهول نحو: مُزْدَجَر، ومُدْخَل، ومُخْرَج، ومُمَزَق، ومُنْتَهَى، ومُنْقَلَب "[5].

ومن هذه المصادر التي جاء ذكرها في الخطاب القرآني نجد:

المآب والإياب:

يرى الكثير أن معنى (المآب) و(الإياب) واحد، ولعلهم يصيبون في ذلك إذا حمل التعبير بهما على الخطاب البشري، أما في الخطاب القرآني فإنه غير وارد، فلكل منهما دلالة خاصة تتفق مع السياق إتفاقا عجيبا .

يعود انتماء المصدرين لأصل واحد وهو "(أَوَب) أي: رجع ، ومنه الأوب والإياب: الرّجوع، أي: وقت رجع، تقول: قد آب المسافر أي: إذا رجع..، ومنه المآب: المرجع"[6]. ورد لفظ (مآب) في محكم التنزيل معرّفا ونكرة في تسع مواطن ، نذكر منها قوله تعالى: " ذَلكَ مَتَاعُ الحَيَاة الدُّنْيَا وَاللهُ عنْدَهُ

[1]- عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 70.
[2]- عبد القادر عبد الجليل ، علم الصرف الصوتي ص 284.
[3]-الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف ص 84.
[4]- المرجع السابق ، ص 84.
[5]- عبد القادر عبد الجليل ، علم الصرف الصوتي ص 284.
[6]- (أنظر): ابن فارس، معجم مقاييس اللغة مادة (أوب) ج1، ص 153.

حُسْنُ الْمَئَابِ"[1]وفي قوله أيضا: "ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ "[2].

يقول "الطبري"(ت310ه) في تفسير هذه الآية (حسن المآب): أي "حسن المرجع والمنقلب"[3].

أما لفظ (الإياب) فقد ورد في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ "[4] أي: إلينا رجوعهم، ومن ذلك قولنا: تؤدّى الصفا والمروة سبعة أشواط ذهابا وإيابا، أي (ذهابا ورجوعا).

يقول (الفراء) :"قيل مصدر (أَيَبَ) على وزن (فَيْعَلَ)، كبيطر يُبيطر، وقيل (أَيَبَ) بالتخفيف مصدر آب يؤوب إيابا، أي: رجع "[5].

فإذا كان لفظا (الإياب) و(المآب) معناهما واحد وهو الرجوع، فما هي الفوارق الدلالية التي تميزهما أكثر في السياق القرآني ؟.

ورد لفظ (المآب) في سياقاته كلها بمعنى الرجوع الأخير الذي ليس بعده عودة، وهي الدار الآخرة بحسنها وسوءها، للمسلم والكافر..، ولا يقتصر على أحدهما، فجاء قوله: "حُسْنُ المَآبِ"، كما قال: "لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا"[6]، فجعل (المآب) مرتعا لهما "باعتبار أنه آخر أمرهم وقرارهم، كما أن قرار المرء بيته يرجع إليه بعد الانتشار منه"[7].

---

[1]– سورة آل عمران الآية 14.

[2]– سورة الرعد الآية 29.

[3]– (محمد بن جرير الطبري)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ مكتبة رحاب الجزائر/ الطبعة الثانية سنة 1987/ المجلد 1، ص 97.

[4]– سورة الغاشية الآية 25.

[5]– (أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء)، معاني القرآن/ عالم الكتب (بيروت)/ الطبعة الثاثة سنة 1983/ ج 3 ص 259.

[6]– سورة النبأ الآية 22.

[7]–الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج 13، ص 138.

أما (الإياب) فهو حركة دائمة يقوم بها الخلق دون انقطاع، وذلك في رحلة العودة والرجوع إلى الخالق بعد الموت والإنتهاء من عناء سفر الحياة الدنيوية، ليعلم كل خلق بعدها مآبه الذي سيؤوب إليه..، أما ذكره عامّا في سورة الغاشية فلأنه يخص الكفار والمسلمين، يوم يبعثون وينشرون من قبورهم للوقوف في حضرته يوم الحشر، ليعرف حينها كل منهم نزله وسكنه ومآبه الأخير.

وفي الأخير.. يمكن القول: أن لفظ (الإياب) لا يثبت على زمن واحد لاستمرار وقوعه كل حين، أما (المآب) فهو نهاية ذلك الإياب، أو هو الزمان والمكان الذي يقف عنده وينتهي إليه.

المتاب والتوبة:

(المتاب) و(التوبة) كلاهما يدور في فلك معنى واحد وهو "الرجوع عن المعصية" غير أن المعصية اختلف حجمها وعظمها فاختلف التعبير الذي يدل على تكفيرها..؛ فلعل قول أحدهم:"إلى الله (متابي) ليس كقوله إلى الله (توبتي)، فما هو سرّ هذا الإختلاف ؟.

يعود أصل المصدرين (المتاب) و(التوبة) إلى الفعل الثلاثي المعتل (تاب) باب (فَعَلَ)، يقال: "تاب من ذنبه أي: رجع عنه، ويتوب إلى الله توبة ومتابا، فهو تائب، والتوب: التوبة..."[1].

وردت لفظ (مَتَاب) مرتين في القرآن الكريم، نذكر منهما قوله تعالى:"وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا "[2].

أما لفظ (تَوْبَة) فقد ورد في سبعة مواطن، منها قوله تعالى: "إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِين

[1]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج1، ص 357.

[2]– سورة الفرقان الآية 71.

يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ"[1]، ونحو قوله أيضا:"أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ"[2].

إن ورود هذه الصيغ بأبنية مختلفة وسياقات متفرقة يوميء بوجود فروق دلالية بينهما، فلا يصح للتوبة أن تحمل معنى المتاب، كما لا يصح أن يعطي المتاب معنى التوبة فقط.

استعمل لفظ (التوبة) في الآيات السابقة بمعنى واحد، وهو طلب المغفرة من الذنوب والمعاصي، صغارها وكبارها، في كل زمان ومكان، فهو إجمالا يمثل المعنى الكامل للكف عن الخطايا والرجوع عنها، أما لفظ (المتاب) فمعناه أعم من معنى التوبة، فهو يدل على منتهاها، أو بالمعنى الآخر على التوبة النصوح التي ليس بعدها رجوع للمعاصي، ففي كلا السياقين أريد به "الغاية في التوبة أو منتهاها"[3]، فهي كما قال (الراغب): "الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل"[4] .

وكونه يدل على المنتهى ، فهو أقرب لاسم المكان "[5]، أو الزمان "[6] الذي تكون فيه هذه التوبة التي يريد بها المذنب العودة إلى جنب الله، بعد اليقين التام بوسع رحمته وقبول التوبة عن عباده ما لم يشركوا به من بعد ذلك شيئا.

وفي عموم معنى (المتاب) إشارة إلى ثقل الذنوب التي يأتي بها المذنب ربه، فكل من يخطئ قد يتوب حينا بالدعاء أو الاستغفار وغير ذلك، وهذا من معاني التوبة ولا نقول عنه (متابا)، لأن معناها

---

[1]– سورة النساء الآية 17.

[2]– سورة التوبة الآية 104.

[3]– فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 36.

[4]–الراغب الأصفهاني، مفردات الراغب ص 76.

[5]– (أنظر) منيع القيسي ، سر الإعجاز في تنوع الصيغ ص 205.

[6]– (أنظر) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج 13، ص 142.

أقرب لمن كان كافرا أو متعمدا في اجتراح السيئات، ثم يلين قلبه بعد ذلك للحق، فيطلب التوبة قلبا وفعلا وقولا، وهنا يكون (متابه) إلى الله .

وما ننتهي إليه أن لفظ (التوبة) أكثر دلالة على التجدد، وذلك لضرورة قيام المؤمن به كل حين، أما لفظ (المتاب) فهو المكان التي تنتهي عندحدّه التوبة؛ وهو أصح أن يكون بجنبه تعالى، فالتائب يكرر توبته مهما كانت الذنوب والمعاصي حتى وإن رآها صغيرة، وما إن جاهد نفسه على الخلاص منها دون الرجوع إليها فذلك يكون (متاباَ)، وهو ما نراه في قوله عز وجل:"وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا"، فعبر بـ(تاب)، (يتوب)، (متابا) ولم يقل (توبة)، لأن عودة الضال بنفسه إلى اليقين أحق أن تكون (متابا)-والله أعلم-

الموعد والوعد:

ذكر لفظ (مَوْعِد)-بفتح الميم وكسر العين- نكرة ومعرّفا بالإضافة في اثنتي عشرة موطنا، منها قوله تعالى: " بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدًا "[1]، وفي قوله أيضا: "قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا"[2].

أما لفظ (الوعد) فجاء ذكره في الخطاب القرآني عشرات المرات منها قوله تعالى:"وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ "[3].

وردت الصيغتان ببناءين مختلفين وبمعان متفاوتة رغم اشتقاقها من أصل واحد (وعد)، فالوعد

[1]- سورة الكهف الآية 48.

[2]- سورة طه الآية 87.

[3]- سورة يونس الآية 48.

من قولنا: "وعدته أعده وعدا، ويكون ذلك بخير أو شّر..، والعدة: الوعد، وجمعها (عدات)"[1]

وقد لا نختلف أن أسباب هذه التنوعات الدلالية لـ"الوعد" و"الموعد" هو تخصيص أحدهما عن الآخر لأمر ما يكون معناه أزيد من الأول، وذلك ما نراه في لفظ "موعد" فهو كما قال (ابن عاشور): "أصله وقت الوعد بشيء، أو باعتباره مكانا للوعد"[2]، كما أنه لا يقف عند معنى إسم المكان فقط؛ بل الزمان جزء منه "[3].

وأبلغ دليل فيما نقول عن (الموعد) هو ما ذكر في سياق سورة طه حين طلب السحرة من موسى) عليه السلام أن يباريهم بمعجزته التي رأوا فيها سحرا فقالوا له:"فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى"[4]، فكان طلبهم لمكان الوعد واضحا في قولهم (مَكَانًا سُوًى)؛ ثم جاء رده عليه السلام قائلا:"قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى"[5]، أي: سيكون ذلك في أكثر الأماكن تجمعا للناس، وفي الوقت الأكثر حركة وبروزا وهو وقت الضحى. يقول (الفراء): "ذكر أنه جعل موعدهم يوم عيد، ويقال يوم سوق كانت لهم يتزينون فيها"[6].

أما (الوعد) فهو جوهر الموعد، والسبب الذي يرجى معرفته أو رؤيته كما في قوله تعالى: إِنَّ

[1]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج 6 ، ص 125.
[2]– (أنظر): الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ج 15 ص 337.
[3]– معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ص 1186.
[4]– سورة طه الآية 58.
[5]– سورة طه الآية 59.
[6]– معاني القرآن ج 2 ص 182.

ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ "[1]، فالوعد هنا بمعنى الصدق والوفاء بالموعود به"[2] وهو اللغز المكنون الذي لا يرى ولا يعلم إلا حين يأتي موعده الذي يتجلى فيه.

وما يمكن حمله من هاتين الصيغتين، أن (الموعد) هو منتهى الأمر الذي يوعد فيه أي شخص مع ربّه أو صحبه، وأن ما يحمله هو السرّ الذي يطال هذا الوعد، فالموعد إذا..هو زمان ومكان الوعد، أما الوعد فهو جوهر ولب ما ضبط لذلك الموعد.

وانتهاءا بالقول.. فإن المصادر الميمية تبقى معانيها أكثر توسعا وأبلغ تعبيرا من المصادر الأخرى التي تشترك معها في الأصل، فهي تدل في غالبها على منتهى المعنى بالوصول إلى قمته وغاياته البلاغية الدقيقة .

3– 1–دور الصائت في تعدد معاني البناء الواحد:

للغة العربية ثراء هائل من المفردات لا يكاد يحصى، فقد نجد للأصل الواحد عشرات المشتقات، والأجمل من ذلك أن اللفظ الواحد قد نجد له أكثر من معنى بمجرد تغيير في حركاته الإعرابية..، فيكون له معنى في رفع أحد حروفه، ومعنى آخر عند نصبها أو كسرها، ونذكر على سبيل التوضيح مثلا مادة (غَمَرَ) فقد نجد لها مصادر عديدة تشترك في جذره، وتختلف في تشكيل حروفه، وهو ما ذكره "قطرب" في مثلثاته قائلا:

[1]– سورة إبراهيم الآية 22.

[2]– الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 13 ص 219.

الغَمْرُ ماء غـــزرا والغِمْرُ حقد سُمَـــرا

والغُمْرُ جهل سرى فيه ولم يجـــترّب"[1]

رأينا كيف تم للفظ (غمر) من المعاني الكثيرة دون المساس بحروفه (بناءه)؛ بل بمجرد تغيير في صوائته التي كان لها الأثر البالغ في تحويل المعنى، ورسم صيغ صرفية أخرى متماثلة الشكل، تتفاعل مع كل سياق وظفت لأجله.

ولعل تفريق الصوائت بين الصيغ الاشتقاقية يجعلها تحمل أخطر الوظائف "فالخطأ فيها قد يحوّل المعنى من الضد إلى الضد"[2]، كما يجعلها أكثر خدمة للنحو بتنوعاتها أواخر الكلمات، فتعطي للصائغ حظه منها حتى يجليها بالصورة التي تكشف معناها من خلال إعرابها، لأنه "المعين الأول على فهم دلالة اللفظة والتفريق بينها وبين شبيهاتها في الرسم"[3].ونذكر من هذا ما جاء في المصادر نحو:

الخِطْأُ والخَطَأُ:

من المصادر التي تنوعت معانيها واشترك رسمها نجد لفظ: (خَطَأ) -بفتح الخاء والطاء-و(خطأ) -بكسر الخاء وسكون الطاء- فكلاهما بمعنى مناقض للصواب سواء كان زللا أو إثما أو ذنبا.

ورد لفظ (خِطْأ) مرة واحدة في الذكر الحكيم ؛ وذلك في قوله تعالى:" وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا "[4].

يقول "الجوهري" (ت393هـ): "والخِطْء: الذنب..؛ تقول: منه خطئَ يخطَأُ خطأ وخطأَةً، على

[1]- (عمار بن خميسي)، شرح نظم مثلثات قطرب / دار ابن حزم ، ص 14.

[2]- تحسين فاضل عباس ، الانسجام الصوتي في النص القرآني ص 85.

[3]-مشرف ابن أحمد الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور ص 437.

[4]- سورة الإسراء الآية 31.

(فعلة) والاسم الخطيئة...ومنه قولهم: ما أخطأه، إنما هو تعجب من خَطِئ لا من أَخْطَأَ "[1].

أمّا لفظ(الخَطَأُ) فقد ذكر في موضعين من سياق واحد، وذلك في قوله عز وجل:"وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ"[2].

يقول (بن عاشور) في (الخَطَأ) :"وأمّا الخَطَأُ بفتح الخاء والطاء فهو ضدّ العمد، وفعله أَخْطَأَ واسم الفاعل مُخْطِئ "[3].

إجتمع اللفظان على أمر واحد وهو إصابة ذنب أو إثم، بيد أنّ طريقة اكتسابه تختلف، وذلك ما جعل هذه التفاصيل الدلالية تأخذ أبعادا لغوية دقيقة في الخطاب القرآني، فلفظ .(الخِطْأُ) ذكر في سياق وحيد بمعنى الذنب المتعمد، كبيره وصغيره، والذي ذكر في الآية السابقة من أعظمها، لأنه يصف أبشع صور الجرم والذنب، وهو قتل الأولاد مخافة الفقر والإملاق، ولهذا وصفه المولى أنه (خِطْأً كَبِير) لعظمه وهوانه عليه سبحانه .

أمّا في سياق الآية الثانية، فالخَطَأُ فيها لم يكن متعمدا ولا مقصودا..، لأن المؤمن لا تسوّل له نفسه قتل أخيه لفيض الإيمان فيه؛ وإنما قد تزهق روحه على نفسه خَطَأً في معركة أو حادث غير مقصود. يقول (الطبري): أي: "ما كان من شأن المؤمن ولا ينبغي له أن يقتل مؤمنا إلا إذا وقع القتل خَطَأً "[4].

---

[1]– اسماعيل ابن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية / دار العلم للملايين (بيروت)/ الطبعة الرابعة سنة 1990/ ج1، ص 47.

[2]– سورة النساء الآية 92.

[3]– التحرير والتنوير ج15، ص 88–89.

[4]– جامع البيان ج1، ص 165.

وما يلحظ أيضا، أن كلا المعنيين ارتبطا بقتل النفس، وهذا لما في الأمر من عظمة عند خالقها، فهي أهون من هدم الكعبة كما ذكر النبي "صلّى الله عليه وسلّم" .

كما ذكر أيضا في الخطاب القرآني لفظ (خطايا) و(خطيئات) ولاشك في تعلّقهما بأحد المصدرين السابقين، فالأول ذكر في قوله تعالى:"إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَـٰنَا"[1]، ومن الآخر قوله:"مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا "[2]، وإنما السبب في ذلك أنّ (خطايا) اشتقت من (الخَطَأ) وهي الذنوب الصغيرة، أو الذنوب الغير مقصودة من المؤمنين بدليل قولهم (إِنَّا آمَنَّا)، أمّا (خطيئات) فمن (الخِطْأ) وهي الذنوب الكبيرة المتعمّدة، كالذي جاءت في وصف ذنوب قوم سيّدنا (نوح) عليه السلام، حين أراهم الحق واتبعوا الضلال وعبدوا الأصنام ومكروا كل مكر سيّء، فأدخلوا نارا لتعمدهم ذلك.

الضُـرُّ والضَـرُّ:

ومن المصادر التي كان للصائت دور في التفريق بين معانيها لفظ (الضرّ) فهو برفع الضاد معنى، وبفتحه معنى آخر.

يقال: ضَرَّ يَضُرّ ضَرّاً وضِرَاراً ، فـ(الضُرُّ) –بضم الضاد– "هو ما يتضرر به المرء في جسده من مرض أو هزال، أو في ماله من نقص ونحوه"[3]. وقد ذكر معرفة ونكرة سبع عشرة مرة، منها قوله تعالى:

[1]– سورة طه الآية 73.

[2]– سورة نوح الآية 25.

[3]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج17، ص 126.

"وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا"[1]. وفي قوله أيضا:"وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ"[2].

أما (الضَرُّ)–بفتح الضاد–فهو الضلال البعيد"[3] الذي يصيب الإنسان في تضرعه لغير الله كالأصنام وما شابهها، مع اعتقاد حصول النفع منها، وقد ذكر في القرآن الكريم عشر مرات منها قوله تعالى:"يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ"[4]، ونحو قوله أيضا :" مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ "[5].

إن عظيم البلاء الذي يصيب الإنسان يختلف أثره، فيكون (ضُرّاً) كالذي أصاب سيدنا (أيوب) عليه السلام في بدنه فظل يقبع فراشه سنين طويلة، فراح يتضرع إلى ربّه ويدعه ليرفع عنه هذا البلاء ، فقال عنه تعالى:" وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ "[6]، ولفظ الضرّ هنا جاء مبرزا عظم ما مسّه من بلاء في جسده وأهلـه ومالـه..؛ فقد قيل أنه فقد سبع بنين وسبع بنات"[7]، كما أنه لم يجد ما يسكّن به قرقرة بطنه من شدّة الجوع.

وكذلك في سنوات القحط التي أصابت بني إسرائيل زمن سيدنا (يوسف) عليه السلام ، فلمّا أصابهم ما أصابهم أتوه إخوته فقالوا له: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ "[8]، وكان معنى (الضرّ)

[1]– سورة يونس الآية 12.
[2]– سورة الأنعام الآية 17.
[4]– (أنظر) معاني القرآن (النحاس) ، ج4 ص 385 / معاني القرآن (الفراء) ج2 ص.218
5 – سورة الحج الآية 13
[6]– سورة المائدة الآية 76.
[6]– سورة الأنبياء الآية 83.
[7]– (أنظر)(الفراء) ، معاني القرآن ج2 ، ص 209.
[8]– سورة يوسف الآية 88.

الذي عبّروا عنه هو الجوع العَرَى"[1]. ونلحظ من السياقات التي وردت فيها صيغة (الضُرُّ) أنها سبقت في إحدى عشرة موضعا بلفظ (مسَّ)، وهذا للدلالة على أن (الضُرّ) يصيب الإنسان في أمر يحيط به ولا يصيبه كليا، لأن (المسّ) هو ما دلّ على الإصابة الخفيفة "[2]، وقد كنيّ به عن ضعفه الشديد.

أما لفظ (الضَرّ) فجاء في سياقاته مقابلا للنفع"[3]، وذلك لكون معانيه مطلقة وشاملة لكل ما يجلب (الضَرر)، صغيرا كان أو كبيرا، محسوسا أو معنويا. أما ارتباطه بالإنسان فيكون حين إتباع الشيطان والكفر بالله والتضرع لغيره، ولذلك قال تعالى:"أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا"[4]، والمقصود هنا هو العجل الذي وجد (موسى) عليه السلام قومه يعكفونه ويتقربون إليه وهو لا يمدّهم بنفع، ولا يدفع عنهم ضرّا.

وما نخلص به أنّ (الضُرّ)-بضم الضاد- "حال سيئة تصيب الإنسان إمّا في نفسه لقلة العلم والعفة، وإما في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإمّا في حالة ظاهرة لقلة مال أو جاه"[5]، وهي كلها تدور في فلك الابتلاء من الله سبحانه وتعالى، أما (الضَرُّ)-بفتح الضّاد- فهو ما يجلبه الإنسان لنفسه في بعده الكبير عن الخالق .

[1]-الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج3، ص 469.

[2]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج17، ص 126.

[3]- (أنظر) السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص19

[4]- سورة طه الآية 89.

[5]- الراغب الأصفهاني، مفردات الرّاغب، مادة (جهد).

الجَهْدُ والجُهْدُ:

يلتقي لفظ (جُهْد) و(جَهْد) في أصل لغوي واحد هو (جَهَد)، يقال : جَهَدَ نفسه وأَجْهَدها، وذلك إذ شقّ عليها. غير أنّ المشقة اختلفت أشكالها وصورها، فعبّر عنها بالجَهْد -بفتح الجيم- كما كما قال (الجُهْد) -بضم الجيم-

ومن هنا يمكن القول: أنه إذا كانت اللفظتان تشتركان في معنى المشقة، فما هي الدلالة الخفية التي تقف وراء تنويع التعبير بهما في السياق القرآني ؟.

يقول (الفيروز آبادي): "الجهد، هو الطاقة والمشقة، وقيل بالفتح المشقة، وبالضم الوسع. وقيل الجهد ما يجهد الإنسان..، والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمّل المشقة في العبادة، ويقال: جَهدت رأيي واجتهدت، أي: أتبعته بالفكر "[1].

وقد جاء ذكره -منصوب الجيم- (جَهد) خمس مرات في محكم التنزيل؛ وبمعان تسبح كلها في فلك واحد ، يقول الله تعالى: "وَيقُولُ الذينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاء الذينَ أَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أَيْمَانهمْ إِنَّهُمْ

لَمَعَكُمْ "[2] و(جَهْدُهم) كان في القسم..، فحلفوا واجتهدوا في الحلف، وذلك بأن أتوا به على أبلغ ما في وسعهم"[3]. يقول (الصابوني):"أي: أنهم حلفوا بأغلظ الأيمان وأشدها"[4].

---

[1]- بصائر ذوي التمييز ج2، ص 401 / (أنظر) معاني القرآن (النحاس)، ج3، ص 237..

[2]- سورة الأنعام الآية 109.

[3]- اللنحاس ، معاني القرآن ج2، ص 401.

[4]- صفوة التفاسير ج1، ص 411.

أما (الجُهد)-بضم الجيم- فلم يزد ذكره عن موطن واحد، وذلك في قوله تعالى:" وَٱلَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ "[1].

ففي السياق الأخير لم يرتبط معنى (الجُهْد) بالقسم ولا بالمبالغة فيه ، بل بما يملكه الإنسان من طاقة وقوة جسدية يدرأ بها مشقة الحياة عن نفسه، أو يساعد بها غيره امتثالا وطاعة لربه. يقول (بن عاشور): "والمراد لا يجدون سبيلا إلى إيجاد ما يتصدقون به إلا طاقتهم، أي: جُهْد أبدانهم، أو الذين لا مال لهم إلاّ جُهْدَهم وهذا أحسن "[2].

إنّ القرآن الكريم لا يستعمل-البتة- لفظتين أو صيغتين لمعنى واحد، وهو ما نراه في هذا السياق، فقد جعل (الجَهْد) -بفتح الجيم- للدلالة على الجهد المعنوي المبالغ فيه، وهو القسم بما في النفس من توكيد اليمين، والذي يبقى من خصائص الكفار والمشركين والمنافقين، فهم يبالغون في ذلك حتى تصدّق أقوالهم ويظن بها خيرا، غير أن إكثارهم القسم يبقى أمارة قوية على كذبهم وذلك بدليل قوله تعالى: "وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ "[3].

أما (الجُهْد) -بضم الجيم- يبقى الأصل في المعنى، فهو الجهد المادي الذي يقدمه الإنسان لله سبحانه وتعالى، كالطاقة الجسدية التي يبذلها للجهاد في سبيله، أو في بناء بيت من بيوته، فهو يبلغ أعظم معاني الصدقات لما فيه من التحمل الكبير للمشقة، واستفراغ الوسع كله في خدمة الدين.

إن ما جاء به علماء اللغة والتفسير يبقى يرجّح كفة المبالغة في لفظ (الجُهْد) على (الجَهْد)، وهذا

[1]- سورة التوبة الآية 79.

[2]- التحرير و التنوير ج10، ص 275.

[3]- سورة القلم الآية 10.

لما في الأولى من معاني المشقة الخالصة لوجهه تعالى، أما الأخرى فلا تكاد تزيح عن معنى المشقة القولية والتي ليست إلاّ كذبا ونفاقا كما ورد في السياق .

المبحث الثاني

معاني المشتقات

- اسم الفاعل وصيغ المبالغة
- اسم المفعول
- الصفة المشبهة

2- المشقات ومعاني أبنيتها:

تتميز اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية، وهذا يعني أن هناك مادة لغوية معينة مثل (ك ت ب) يمكن تشكيلها على هيئات مختلفة، بحيث لكل هيئة منها وزن خاص ووظيفة خاصة، كأن نقول مثلا: (كاتب) أو (مكتوب) أو (مكتب)، وأنت تلاحظ أنّ مثل هذه العملية إنما تجري داخل المادة اللغوية السابقة وتشكّلها تشكيلا جديدا، وهي العملية التي تعرف بالاشتقاق"[1].

وعرّف النحويون الاشتقاق أنه "الأخذ بكلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ"[2]، والمشتق من هذه العملية غالبا ما يكون اسما، كاسم الفاعل، واسم المفعول والصّفة المشبّهة واسم التفضيل وغيرها..."[3].

يقول (العقاد) "ومن ثمّ وجدت في اللغة العربية صيغة اسم الفاعل، وصيغة الصفة المشبهة وصيغة المبالغة، وكلّها أصل مقرّر في اختلاف اللفظ واختلاف الدلالة على حساب معناه"[4].

وأكثر المشتقات ذكرا في الكتاب المنير (اسم الفاعل) والذي "يشتق من مصدر المبني للفاعل لمن وقع منه الفعل أو تعلّق به "[5]؛ ويصاغ من الثلاثي على وزن (فاعِل) نحو: ضارب وعالم وسائل وغافر وشاكر وتائب..؛ أمّا إن كان يراد به المبالغة فيأتي على أوزانه المعروفة الدالة على ذلك نحو: "(فَعَّال) كعلاّم ، أو (مِفْعَال) كمقدام ، أو (فَعُول) كغفور ، أو (فَعِيل) كسميع ، أو (فَعِل) كحَذِر"[6]، وقد زاد

---

[1]- عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 73.

[2]- يوسف المرعشلي ، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 53.

[3]- نفس المرجع ص 53.

[4]- (محمود العقاد) أشتات مجتمعات في اللغة والأدب / دار المعارف (القاهرة) الطبعة السادسة / ص 87.

[5]- الحملاوي، شدا العرف في فن الصرف ص 85-86.

[6]- (أنظر): نفس المرجع ص 86.

بعضهم صيغة (فَعْلان) كرحم"[1].

إن تعدد دلالات هذه الصيغ يبقى السرّ الأول في الخطاب القرآني، فورود صيغتين للمبالغة من أصل اشتقاقي واحد في سياق متقارب فذلك لا يعني أنهما سيقتا لنفس الدلالة. يقول (العسكري): "فأما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من النحويين واللغويين "[2].

ومن الأسماء التي وردت بصيغة اسم الفاعل وصيغ المبالغة نجد مثلا:

سَاحِر وسَحَّار:

ورد اسم الفاعل (ساحر) وصيغة المبالغة (سَحّار) في القرآن الكريم في سياق اتهام المشركين والكفار لأنبياء الله، وذلك لما جاءوا به من معجزات خرقت عقولهم وعطّلت أبصارهم، ومن جملة ذلك افتراءهم عن النبي "صلى الله عليه وسلم" في بداية جهره بالرسالة فقالوا أنه "سَـحِرٌ كَذَّابٌ "[3] وذلك حينما دعاهم إلى من هو أجدر بالتوحيد والعبادة من تلك الأصنام والتماثيل، فكان التأثير الرباني يلهم نفوس الكثير ويستولي على قلوبهم، فأسلموا وخرجوا من ديارهم، وابتعدوا عن آبائهم وأزواجهم، فقالت ألسنة الشرك حينها أن الذي يفرّق بين المرء وزوجه، والابن وأبيه، والعبد ومولاه لا ينفك إلا أن يكون ساحرا له طرائقه التي يؤثر بها ذلك. وكذلك في معجزة سيدنا (موسى) مع بني إسرائيل حينما أراهم عظمة الخالق وعجائب قدرته بعد أن تحوّلت عصاه إلى حية تسعى، فراح فرعون

---

[1]– جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ص 547.

[2]– (الحسن بن عبد الله العسكري أبو هلال) الفوارق اللغوية / دار العلم والثقافة (القاهرة)/ص24

[3]– سورة ص الآية 4.

وملئه يتهمونه بالسحر فقالوا:"إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ"[1].

إن ورود اسم الفاعل في سياق وصيغة المبالغة في سياق آخر يومئ بوجود فوارق دلالية تزيد في أحدهما، وقد نجد ذلك بينا في بناءهما أيضا، فصيغة (فاعِل) تدلّ على صاحب الفعل لا أكثر، أمّا (فَعَّال) فهي للمبالغة فيمن يكثر منه هذا الفعل، أو لمن صار له صنعة "[2]، كقولنا لصاحب الثياب ثواب، ولصاحب العطر عطّار، ولصاحب البزّ بزّاز"[3].

إنّ الصيغة لا تحدد دلالتها العامة بحسب ما يكتنفها من معنى إلا من خلال سياقها الخاص، وللتوضيح أكثر نذكر ما جاء في سياق سورة الشعراء على لسان فرعون وملئه، فكلاهما استعملت له صيغة خاصة، فجاء قوله تعالى على لسان فرعون: "قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾"[4].

ورود كل من إسم الفاعل (ساحر) وصيغة المبالغة (سحّار) في ذات السّياق يعطي لمسة بلاغية ودلالية خاصة لهذا التنويع، فلوعدنا إلى الآية الأولى من السياق نجد أنّ فرعون (الآمر) هو من وصف (موسى) عليه السّلام بالساحر العليم، وذلك في استشارته لملئه (المأمورين) لإمداده بما يرونه من طريقة مثلى تمكنّهم من الخلاص منه ومن سحره قبل أن يخرجهم من أرضهم، فكان أثر ذلك بالغا في تخويفهم وترهيبهم حينما طلبوا منه أن يبعث إلى المدائن حاشرين للبحث عن كل ساحر ماهر عليم

[1]– سورة الأعراف الآية 109.

[2]– (أنظر): فاضل السامرائي ، من أسرار البيان القرآني ص 37.

[3]– فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص107.

[4]– سورة الشعراء الآية 34، 35، 36، 37.

بضروب السّحر"[1]، فجاء التعبير بصيغة (سحّار) مناسبا لما هم عليه نفسيا (الخوف)، فقابلوا تلك الاستشارة بوصية شديدة وهي "الإتيان بكل (سحّار) عليم يفوق سحره سحر موسى"[2].

وفي سورة الأعراف سياق آخر مشابه لهذا السياق، غير أن التعبير فيه لم يحمل على صيغة المبالغة، قال تعالى: "قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾"[3].

وهنا نرى أن اللفظ جاء متساويا بين قول الملأ في (موسى) عليه السلام، وطلب بني إسرائيل بالإتيان بمثل ما وصفوه فيه من السّحر، فكان التعبير من كليهما بـ(ساحر عليم)، والحقيقة في ذلك أنّ الكلام في هذا السياق كان من ملأ فرعون، ولم يكن من فرعون بذاته كما جاء في آية الشعراء ، وهو ما جعل تصوير السياق بحالة أقل شفقة وتخوّفا من التي صنعها فرعون في قلوبهم حينما خرج إليهم بذاته، كما أن الملأ لم يشيروا بأنّ (موسى) عليه السلام يريد إخراجهم بسحره؛ بل قالوا: (يخرجكم من أرضكم) فقط، وهو ما لا ينص على أن المحذور هو قوة السحر التي ستخرجهم من أرضهم"[4]، ولهذا لم يطالبوا بمن هو أشدّ سحرا؛ وإنما أرادو أن يؤتى بساحر عليم يبطل سحره سحر (موسى) عليه السلام.

---

[1]– (أنظر) علي الصابوني، صفوة التفاسير ج2، ص 378.

[2]– عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ص 103.

[3]– سورة الأعراف الآية 109، 110، 111، 112.

[4]–عبد الحميد هنداوي، نفس المرجع ص 104.

ظالم وظلوم وظلاّم:

ورد اسم الفاعل (ظالم) نكرة في ثلاثة مواطن، وبمعنى واحد هو "الإساءة للنفس"، منها قوله تعالى: "دَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ"[1]،وفي قوله أيضا: "فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ"[2].أما صيغتا المبالغة في (ظَلُوم) و(ظَلاَّم) فقد جاء ذكرهما سبع مرّات، اثنان منها في (ظلوم) وذلك في قوله:"إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ"[3]، أما صيغة (ظَلاَّم) فجاءت لنفي الظلم عن الخالق سبحانه وتعالى فقال: "وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ"[4].

ومن الإيحاءات الدلالية لهذه الصيغ هو ارتباطها بذات أو اسم معين دون اشتراك بينها، فصيغة (ظالم) لم يأت ذكرها متبوعة إلا بلفظ (نفسه)، لكون المعنى المراد في هذا السياق هو ظلم الإنسان لنفسه، ومثل ذلك ورد في سياق سورة الكهف عن صاحب الجنتين حين أصابه العجب والغرور، فراح يظلم صاحبه، غير أن ذلك (الظلم) وقع على نفسه قبل أن يوقعه على صاحبه، ؛لأنه زادها من الذنوب والمنكرات على ما كانت عليه من الكفر بسبب تمرّده وتكبّره وتجبّره وإنكاره المعاد"[5].

أما صيغة المبالغة (ظلوم) فجاءت لتؤكد معنى الظلم العظيم والكبير الذي يصيب الإنسان لكفره وجهله حقيقة وجوده، حتى أصبح ذلك ثابتا فيه ومطبوعا على قلبه..، وبناءها على (فَعُول) أنسب للدلالة على صفات الذوات المبالغ فيها كالصبور والشكور"، فقولنا مثلا:(هو صبور) أي: أن

---

[1]– سورة الكهف الآية 35.

[2]– سورة فاطر الآية 32.

[3]– سورة إبراهيم الآية 34.

[4]– سورة آل عمران الآية 182.

[5]– (الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير)، قصص القرآن / دار الكتب العلمية (بيروت) / لطبعة الأولى سنة /2007ص 52.

له مادة تستنفذ في الصبر وتغنى فيه"[1]. وكذلك (ظلوم) فلا تكاد تزيح على معنى الثبوت في صاحبه.

وصف الإنسان بالظلوم الكفار والظلوم الجهول لأنه كذلك..، "فهو ظالم لنفسه بعبادته غير الله، وجاحد لنعمته له "[2]، وبذلك هو جهول بالذي فيه الحظ له"[3]، وهذا من باب التقصير في حقه تعالى بإبدال نعمته كفورا وجحودا. يقول (ابن عاشور):"وصيغتا المبالغة في (ظلوم كفّار) اقتضاها كثرة النعم المفاد من قوله: (وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهَ لاَ تُحْصُوهَا) إذ بمقدار كثرة النعم يكثر كفر الكافرين بها إذا أعرضوا عن عبادة المنعم، وعبدوا مالا يغني عنهم شيئا "[4].

وجيء بلفظ (ظلوم) في سياق سورة "إبراهيم" في مقام ذكر منن الله وخيراته ومسخراته للإنسان من الفلك والشمس والليل والنهار والماء والأنهار وكل ما يسأل عنه، بيد أنه جاحد كافر لكل هذا، فوصفه بـ(الظلوم)، ولو جيء بلفظ (ظالم) ما كان ليوفي بالمعنى المقصود، لأنه أكثر ما يكون في ظلم النفس كما ذكر.

أما صيغة (ظلاّم) فكل سياق وردت فيه إلا وكان المعنى مخصوص بالخالق، وهو نفي الظلم عن ذاته سبحانه، وبناءها على (فعّال) دلّ على شدة عدله مع خلقه، وأنه يضيع لهم عملا صالحا، ولا يزيد على من عمل سيئا "[5]، وهذا أبلغ من أن يقال (ظالم للعبيد) أو (ظلوم للعبيد)، لأنها دلت على وقوع المتعلق على مفاعيل كثيرة (الخلق)"[6].

---

[1]– يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 91.

[2]– الطبري، جامع البيان ج1، ص 433.

[3]– نفس المرجع ج2 ، ص 217.

[4]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج13، ص 237.

[5]– (محمد طياش) سورة فصلت –دراسة بيانية– ص 420.

[6]–سليمان فياض ، الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية ص 70.

يقول (السيوطي): "لما تعذّر حمل المبالغة على كل فرد، وجب صرفها إلى مجموع الأفراد التي دلّ السياق عليها، فهي بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف"[1].

وخلاصة هذا.. أنّ صيغة (ظالم) جاء ذكرها مطلقا، فالإنسان يجمع شتات الذنوب لنفسه من كل شيء، فإن ظلم نفسه فعليه إثمه، وإن ظلم غيره فكذلك هو..، أمّا صيغة (ظلوم) فهي أنسب لظلم الإنسان حين جهله حقيقة الأمور، فكلما ازداد منّ الخالق عليه ازداد كفره وجحوده، أمّا صيغة (ظلاّم) فلم ترتبط بالإنسان بل جاءت لنفي المتعلق (الظلم) عن الخالق.

عالم وعليم وعلاّم:

وردت صيغ المبالغة في أسماء الله الحسنى بشكل كبير في كتابه الحكيم، حيث تلاءمت مع المعنى الذي تؤدّيه داخل السياق بشكل دقيق، ومن هذه الصيغ نجد (عليم) و(علاّم)؛ وكلاهما اشتق من اسم الفاعل (عالم) .

ورد إسم الفاعل (عالم) ثلاث عشرة مرة في الذكر الحكيم، وجاء متعلقا بالغيب أو الغيب والشهادة، من ذلك قوله :عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ "[2]، وفي قوله أيضا: "عـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا"[3]

وجاء ذكر صيغة المبالغة (عليم) نكرة ومعرفة في مائة وواحد وستين موضعا؛ وبمعان مطلقة ودالة

[1]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ص 548.
[2]– سورة الأنعام الآية 73.
[3]– سورة الجن الآية 26.

على سعة علمه بكل خلقه كقوله تعالى:" إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا "[1].

أمّا صيغة المبالغة (علاّم) فذكرت متعلقة بلفظ واحد هو (الغيوب)، وذلك في كل المواضع التي ذكرت فيها نحو قوله تعالى: "قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ "[2].

لاشك في وجود دلالات خاصة لهذه الصيغ توجّب التفريق بينها داخل الخطاب القرآني، فصيغة (عليم) جاءت متعلقة بكل شيء ولم يخصصها بمعلوم معين بل شملت صفات عديدة كقوله تعالى:(سميع عليم) و(واسع عليم) و(العليم الحكيم)، فعلمه وسع كل خلقه في السموات والأرض، فهو (عليم بالمتقين) و(عليم بالمفسدين) و(عليم بالظالمين). فما من عمل يقوم به ابن آدم إلا ويعلمه..، هذا لأنه شديد العلم بكلّ معلوم"، وأنه وسع كل شيء علما .يقول (الدكتور أحمد مختار): "وعليم (فعيل) تفيد ثبوت الصفة ورسوخها، فلا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل"[3].

إذا.. صيغة المبالغة (علاّم) اختص ذكرها بالغيوب الكثيرة، وليس بالغيب مفردا كعالم، وكأنه "لما كان هذا الوصف للمبالغة والتكثير جاء بالجمع معه مناسبة للتكثير"[4]، لإحاطة علمه بكل الغيوب في الأرض والسماء. وتخصيصها بهذه الصيغة إنما هو راجع إلى الفائدة في المعلوم ..، والتوكيد أنّ الغيب لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه "[5]. في حين أنّ اسم الفاعل (عالم) تعلقّ بالغيب مفردا وبالغيب

---

[1]– سورة النساء الآية 11.

[2]– سورة المائدة الآية 109.

[3]– د. (أحمد عمر مختار)، أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة ص 66.

[4]– السامرائي ، من أسرار البيان القرآني ص 35.

[5]– الزجاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ، ج 1، ص 170.

والشهادة أي: "عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ"[1]، ما كان منها وما سيكون، فهو العالم بما في الصدور وما خفي عنها، والعالم بما ستكسب كل نفس وبأي أرض ترجع إلى ربها. يقول (الصابوني): "أي يعلم ما غاب عن الحس وما كان مشاهدا منظورا، فعلمه تعالى شامل للخفي والمرئي.."[2].

وخلاصة القول أن لفظ (عالم) أنسب لعلم الغيب والشهادة لأنه خالقها والمتصرف فيها دون غيره، أما صيغة (عليم) فسياقاتها تعددت ولم تتقيد بمعلوم معين، فهو العليم بمن ظلم وأفسد، وبمن اتقى وأصلح، وهو أعلم بما في الأرحام ما يغيض منها وما يزداد، في حين تبقى صيغة (علاّم) مخصوصة بأقوى المعاني وهي الغيوب الكثيرة والقوية، وبناءها على (فعّال) خير دليل على ما نقول .

2-اسم المفعول:

هو كلّ اسم اشتق من مصدر الفعل لذات من وقع عليه "[3]، ويراد به "اسم الذات الواقع عليه الحدث لاسم الحدث "[4]، وهو "لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف، فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل كـ(قائم) وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول كـ(منصور)"[5].

وقد يفيد التجدد كما يفيد الحدوث، "فهو يدلّ على الثبوت إذا ما قيس بالفعل، وعلى الحدوث

---

[1]- سورة فاطر الآية 38.

[2]- صفوة التفاسير ج2 ، ص 76.

[3]- (عائشة قشوع) الأبنية الصرفية في السور المدنية ص 292 /(الحملاوي) شذا العرف في فن الصرف ص 87.

[4]- عائشة قشوع ، نفس المرجع ص 292.

[5]- فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 59.

إذا ما قيس بالصفة المشبهة "[1]، وهو ما يجعله يخرج عن باقي المشتقات"[2].

يصاغ اسم المفعول من الثلاثي "بزنة (مفعول)، مثل: منصور ومكتوب ومعلوم ومقروء وموعود"[3]، أمّا من غير الثلاثي فيصاغ على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، كأخرج يخرج (مُخْرَج) "[4].

والصيغ التي يدل معناها على إسم المفعول كثيرة نحو: (فَعَل) و(فُعُل) و(فَعِل) و(فُعْل) و(فَعِيل) و(فَعُول) و(فُعَال) و(فِعَال) و(فُعْلَة) و(فُعَالَة) و(أُفْعُولَة)"[5]..

ومن الألفاظ التي جاء بناءها للدلالة على معنى إسم المفعول:

رجيم ومرجوم:

إن أكثر الصيغ التي جاء ذكرها في القرآن للدلالة على معنى (المفعول) صيغة (فعيل)، كأسير بمعنى (مأسور)، وجريح بمعنى (مجروح)، وسجين بمعنى (مسجون)..، فبناء (فعيل) بمعنى (مَفْعُول) يدل على أنّ الوصف قد وقع على صاحبه، بحيث أصبح سجية له أو كالسجية؛ ثابتا أو كالثابت، فتقول: "(هو محمود) و(هو حميد)، فحميد أبلغ من محمود، لأن حميدا يدل على أنّ صفة الحمد له ثابتة "[6].

ومن هذا لفظ (رَجِيم)، فقد ذكر معرّفا ونكرة في ستة مواطن، منها قوله تعالى: "قَالَ فَٱخْرُجْ

1– يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 59.

2– الأبنية الصرفية في السور المدنية ص 299.

3– (محمد خليل الزروق) الخلاصة في الرسم و الصرف ص 78.

4– (أنظر): عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ص 79.

5– (أنظر): فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 60....70 / (أنظر): خليل الزروق ، الخلاصة في الرسم والصرف ص 77.

6– فاضل السامرّائي، نفس المرجع ص 61.

مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ"[1] وفي قوله أيضا:"وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ"[2].

يتضح في الآيتين الكريمتين أن فعل (الرجم) وقع على الشيطان وثبت فيه. يقول النحاس (ت388 هـ): "رجيم، أي ملعون، والمعنى: مرجوم باللعنة "[3].

أمّا اسم المفعول (مَرْجُوم) فجاء ذكره بصيغة الجمع في سياق واحد، وذلك في قوله تعالى : "قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ "[4].

إن الفارق الدلالي بين صيغتي اسم المفعول (رَجِيم) و(مَرْجُوم) واضح فيما ذكرناه، ولا نظنّ أنّ ذلك من باب التنويع في ألفاظه أو التفنين في خطاباته فقط، وإنما لدقة المعنى فيهما، فالنّاظر المدقق والمتذوق لصيغة (رجيم) يجدها دالة على ثبوتها في صاحبها (الشيطان)، وهوما تؤكده السياقات التي وردت فيها، حيث صاحب ذكرها ذكر لفظ (الشيطان)، ليكون معنى الرّجم فيه ثابتا في كل زمان ومكان..، منه سبحانه وتعالى، ومن عباده .

وبناءها القريب من الفعل (رُجِم) يعمّق معنى الثبوت الذي خصّه الخطاب القرآني بالشيطان دون غيره، لكونه أولى بهذه الصفة. فقولنا (رُجِم) أي: أنه أصبح رجيما، أمّا لفظ (مرجوم) فالزمن المتعلق به يظهر أن معنى الرّجم لم يقع، بل سيقع أو قد يقع، وهذا ما ينفي عنه الثبوت.

ويظهر هذا في سياق سورة الشعراء، فالتعبير حمل على صيغة (مَرْجُوم) ولم يحمل على (رجيم)، هذا لأنّ الرّجم لم يثبت أثر وقوعه على نبي الله (نوح) عليه السّلام كما كان مع الشيطان، وهذا

[1]– سورة الحجر الآية 34.

[2]– سورة آل عمران الآية 36.

[3]– (أبو جعفر النحاس) معاني القرآن/ مركز إحياء التراث الإسلامي(مكة المكرمة)/الطبعة الأولى سنة 1988/ ج6، ص 139.

[4]– سورة الشعراء، الآية 116.

استنادا بما جاء على لسان قومه حينما وعدوه محذرين بقولهم :(لتكوننّ من المرجومين)، أي: أنه واحد ممّن سيرجمون، والذين لاشك أن يكون أولئك الذين آمنوا له، أما كون السياق لم يحمل التعبير فيه بـ(لتكوننّ رجيم) فذلك لأنّ الفعل لم يقع عليه أصلا .

جميل هو ذلك الانتقاء اللفظي الذي يعانق كل معنى من معانيه، فقد رأينا فيما سبق من الآيات كيف تمّ التفريق بين وصف إبليس بـ(الرجيم)، ونوح عليه السلام بـ(مرجوم) في صيغة الجمع، وذلك لأن لغة القرآن أعطت كل ذي حق حقّه من المعنى .

نضيد ومنضود:

وممّا جاء معناه دالا على إسم المفعول في القرآن الكريم، نجد لفظ (نضيد) بمعنى (منضود)، وقد جاء ذكرهما فيه بكلتا الصيغتين.

جاء في معاجم اللغة أنّ: "النضيد: المنضود، يقال شجر نضيد، نضد بالورق والثمار من أسفله إلى أعلاه، ويقال: نضدّه بالنبل: رشق به، فهو ناضد، والشيء منضود ونضيد"[1].

وردت صيغة (نضيد) في موطن واحد في كتابه العزيز؛ و ذلك في قوله تعالى: "وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ"[2] ، أي أنه: نضد بعضه فوق بعض، فهو متراكم منسق"[3].

أمّا صيغة (مَنْضُود) فجاء ذكرها أربعة مرات في تعبيراته؛ منها قوله سبحانه: "وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ"[4].

---

[1]– (محمد سالم محيسن) تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن ، ص 377.(الهامش)

[2]– سورة ق الآية 10.

[3]– عبد السلام هارون، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 1105.

[4]– سورة الواقعة الآية 29.

يقول (بن عاشور): "فُسِّر الطلح بشجر الموز..، و(المنضود): المتراص المتراكب بالأغصان ليست له سوق بارزة، أو المنضد بالحمل.."[1].

إن الملاحظ على الصيغتين أنهما وردتا في سياق مماثل وهو وصف الثمار التي جعلها الله لذة لعباده، إلاّ أنّ هذه الثمار اختلف شكلها ومذاقها ومكانها وزمانها؛ فاختلف معها اللفظ الذي يوفيها معناها الذي تستحق، فاستعمل صفة (نَضِيد) لما كانت الثمار المعبّر عنها فاكهة الدنيا، واستعمل صفة (مَنْضُود) حينما كانت الثمار الموصوفة جزءا من فواكه أهل الجنّة، وفي بناءهما المختلف دلالات عظيمة. يقول الدكتور (السامرائي): "تقول طرف (مكحول) وطرف (كحيل)، فكحيل أبلغ من مَكْحُول، لأن معناه أنّ الكحل أصبح في صاحبه كأنه خلقة، وتقول كفّ (خَضِيب)، وكفّ (مَخْضُوب)، فخضيب أبلغ من مخضوب، لأن خضيبا يدل على أنّ الخضاب أصبح في صاحبه كأنه خلقة بخلاف مخضوب الدال على التجدد"[2].

كذلك لفظ (نضيد)، فهو يدل على ثبوت هذه الصفة في طلع النخل، فشكله متساوٍ، ولا يرى له شكل هنا وشكل هناك؛ بل هو نفسه على الدوام وهو مناسب لوصف ثمار الدنيا، أمّا (مَنْضُود) فبناءها على (مفعول) للدلالة على التجدد، لأنه مناسب لثمار الجنّة التي تأتي أكلها كل حين، فهي غير ثابتة على شكل نعرفه، ولو قيل (نضيد) لكان أقرب ما يتبادر إلى الأذهان شكل ثمار الدنيا التي نراها ونأكل منها، وإنما بناءها على (منضود) أضفى عنصر التشويق الذي يرغّب النفس لمعرفة شكل هذه الثمار والعمل على رؤيتها .

[1]– (أنظر): التحرير والتنوير ج27، ص 299.

[2]– معاني الأبنية في العربية ، ص 61.

كما أن التجدد والحدوث في (مَنْضود) لم يقتصر على الثمار فقط، بل طال كل ما هو خارج عما نراه في الأرض، من ذلك قوله أيضا: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ "[1]. وصفة "منضود" دلت على أنها حجارة متتابعة بعضها فوق بعض"[2]، فلم يقل (من سجيل نضيد)، لأن (مفعول) تدل على التجدد، و(فعيل) تدل على الثبوت، فاستعمل (منضود)، لأنها كانت حجارة من السماء، ولاشك أنها تختلف عن حجارة الأرض المعروفة والراسخ شكلها في الأذهان.

ومن هنا يمكن الجزم أنّ دلالات هذه الأبنية المختلفة تبقى أحد أسرار دلائل إعجاز القرآن الكريم، وسبب في تنوع معانيه التي ميّزت بين ما نراه ونتذوّقه، وعمّا يوجد في جنّاته المعروشات، فكما قال النبي صلى عليه وسلم: "ما لاَ عَيْنٌ رَأَت وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خطرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ".

مُنْكَر ونُكُر:

من الصيغ الدالة على اسم المفعول أيضا، نجد صيغة (فُعُل) -بضم الفاء والعين-كأُشُر وسُنُن وشُطُب وغيرها "[3].يقول (ابن منظور):"باب (فُتُح) أي: واسع ضخم مُفَتَّح، وفي حديث (أبي الدّرداء): ومن يأت بابا مغلقا يجد إلى جنبه بابا فُتُحاً، أي: واسعا ولم يرد الباب المفتوح، وأراد بالباب الفتح الطلب إلى الله والمسألة..، وقالوا قارورة (فُتُح) أي: واسعة الرأس بلا صمام ولا غلاف لأنها حينئذ مفتوحة "[4].

---

[1]- سورة هود الآية 82.

[2]- محمّد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ج 2، ص 28.

[3]- (أنظر): ابن قتيبة، أدب الكاتب ص 456.

[4]- (أنظر): السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 68.

ومنه قوله تعالى:"فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ"[1]، أي: إلى شيء منكر شديد النكارة"[2].

يقول (بن عاشور):"وصف شيء بأنه (نُكُر) أي: موصوف بأنه تنكره النفوس وتكرهه، وهذا الوزن قليل في الصفات، ومنه قولهم : روضة أُنُف، أي: جديدة لم ترعها الماشية ، ورجل شُلُل ، أي: خفيف سريع في الحاجات، ورجل سُجُح -بجيم قبل الحاء- أي: سمح.."[3].

أمّا (مُنْكَر) بصيغة (مُفْعَل) فقد ورد نكرة ومعرفا وبصيغة الإفراد والجمع ثماني عشرة مرة، منها قوله تعالى: "كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ"[4].

يتبين من خلال الصيغ المدروسة أنّ الخطاب القرآني استعمل كلّ لفظ بحسب دلالته داخل السياق، فالقوة للقوة واللين للين وهكذا..، ولو قال أحد الذين يجهلون أسرار الألفاظ العربية مع المعنى أن لفظ (نُكُر) ورد بنفس دلالة لفظ (مُنْكَر) لكان حكما مسبقا يحمل تفسيرا بلاغيا خطيرا على معاني القرآن الكريم، لأن (فُعُل) أبلغ من (مُفْعَل)، ولابد أن تكون صيغة (نُكُر) و(مُنْكَر) كذلك .

والحقيقة في هذا أنّ لفظ (نُكُر) جاء للدلالة على أعظم منكر يصيب الناس، وذلك يوم البعث من القبور والوقوف في حضرته وجلاله، وحينها يحسّ الكافر بشدّة هذا الأمر ونُكُرِه وعسرته أكثر،

---

[1]- سورة القمر الآية 6.

[2]- يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 64.

[3]- التحرير والتنوير ، ج 27 ص 177.

[4]- سورة المائدة الآية 79.

إنها ساعة الفصل التي يتسع فيها الزمن ولا يضيق، وتتزايد فيها دقات القلوب..؛ زمن تفتح فيه أكبر وأشد المنكرات لتتجدد أشكالها وصورها على الكافر كل حين .

أمّا صيغة (مُنْكَر) فقد سيقت للدلالة على منكرات الدنيا، وقد عرّفها الذكر الحكيم، وهي كلّها من عمل الإنسان كالقتل وإتيان الفاحشة والشرك وشهادة الزور وغيرها، فهي ثابتة فيه منذ خلق آدم إلى جلاء السّاعة .

وانتهاءا بهذا نقول: أنّ استعمال صيغة (منْكَر) و(نُكُر) في القرآن الكريم جاء بحسب درجات السوء والنكران المراد تصويرها بلاغيا، فقابل المقام الأشدّ بالصيغة الأبلغ وصفا وهي صورة أهوال الآخرة، وقابل ما هو دونها لما كان الوصف خاصا بمنكر (الإنسان) .

2- الصفة المشبهة:

هي الصفة المصوغة لغير تفضيل لإعادة نسبة الحدث إلى موضوعها على وجه الثبوت والدوام دون إفادة التجدد والحدوث"[1]، كما تتميز عن غيرها من المشتقات باستحسان إضافتها إلى فاعلها في المعنى"[2].

وقد يخلط الكثير بينها وبين اسم الفاعل ؛ وذلك لتقارب أبنيتهما، غير أن الفرق بينهما هو أن الصفة المشبهة تدل على الثبوت وإسم الفاعل يدل على الحدث"[3]، ومن جانب آخر فهي أقوى منه دلالة على ضبط الأداء في المفردات وفي تراكيب التعبير"[4].

---

[1]- محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن ص 383.

[2]- عائشة قشوع، الأبنية الصرفية في السور المدنية ص 278.

[3]- محمد سالم محيسن ، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن ص 386.

[4]- محمود العقاد ، أشتات مجتمعات في اللغة العربية ص 85.

كما يمكن التفريق بينها وبين اسم الفاعل من حيث صيغهما الصرفية، فـ" كلّ ما ليس على وزن فاعل فهو صفة مشبهة، كطويل وبطل وحصور وعطشان وجنب وحصان وضخم..، ثمّ إنّ الصفة المشبهة لا تبنى إلا من الأفعال اللازمة من باب (فَعِل) بالكسر، أو (فَعُل) بالضم، وشذّ بناءها من (فَعَل) بالفتح "[1].

وأهم ما صاغوه في أبنية الصفة المشبهة (فَعِل) و(أَفْعَل) و(فَعَلاَن) و(فَعِيل) و(فُعَال) و(فُعْلَة) و(فُعَالة) و(فُعَّال) و(فَعِيل) وغيرها..."[2].

أمّا الخطاب القرآني فقد ورد فيه الكثير منها نحـو:

عَسير وعَسِر

ذكرت صيغتا (عَسِير) و(عَسِر) في الخطاب القرآني على نحو متقارب في أكثر من موضع، وهو ما يدل على وجود فوارق دلالية بينهما، إذ لاشك أنّه لو لم يختلف المعنى لما اختلفت الصيغتان، فكلّ عذول عن صيغة إلى أخرى لابد أن يصحبه عذول عن معنى إلى آخر"[3].

ذكر لفظ (عَسِير) في موضعين ، وذلك في قوله سبحانه: "فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠"[4]. والآخر في قوله أيضا: "ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦"[5] أي: "يوم صعب وشديد على الكفار"[6].

---

[1]– محفوظ الشنقيطي، وشاح الحرة بإبراز اللامية وتوشيحها ص 79.

[2]– (أنظر) معاني الأبنية في العربية ص 78..104/ إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 60..65.

[3]– فاضل السامرائي، المرجع نفسه ص 7.

[4]– سورة المدثر الآية 9–10.

[5]– سورة الفرقان الآية 26.

[6]– علي الصابوني ، صفوة التفاسير ج2، ص 360.

أمّا صيغة (عَسر) فوردت في سياق واحد، وذلك في قوله تعالى:"يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ "[1]. يقول (الطبري) في هذه الآية : أي :"هذا يوم صعب عسير لشدة أهواله وبلباله "[2].

إن ما ذكره (السامرائي) عن كون اختلاف كلّ صيغة أو بناء دليل على تصريف المعنى إلى معنى آخر أو إضافة معنى آخر للمعنى الأول، فذلك ما تثبته صيغة (عَسِر) و(عَسِير)، فتقاربها في المعنى والسياق له أبعاد دلالية أخرى تأخذ من هذا الاختلاف الصيغي الذي يرى ببساطته. ففي بناء (عَسير) دلالة على ثبوت الوصف في صاحبه، أما (عَسِر) فهي أقرب للتجدد في الموصوف بها حينا بعد حين أو لكونها عارضة فيه، ومن ذلك قولهم: "أَنِق وأنِيق، وبهج وبهيج، ولسان ذلق وذليق، وطرف في النّسب وطريف، وحزن وحزين، وكمد وكميد "[3]، وهي كلها للتفريق بين ما هو ثابت في الشيء، وما هو عارض ومتجدد فيه .

ومن ذلك أيضا (أسف) و(أسيف)، فأسف لما هو زائل وغير لازم كقوله تعالى:" وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا "[4] أي: على شدة من الحزن والغضب، فهذا لم يكن ثابتا فيه عليه السلام، بل كان أسفا عارضا أصابه لفعلة قومه من بعده، أمّا (أسيف) فدلالة الثبوت واضحة فيه، من ذلك ما روته (عائشة) أم المؤمنين رضي الله عنها أنه لما اشتد مرض النبي "صلى الله عليه وسلم" قال: " مروا أبا بكر فليصل بالناس ! فقيل له: إنّ أبا بكر رجل أسيف"[5]، أي : بكّاء سريع الحزن ،

---

[1]– سورة القمر الآية 8.

[2]– جامع البيان ج2، ص 406.

[3]– ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص 480.

[4]– سورة الأعراف الآية 150.

[5]– (محمد يوسف الكاند هلوي) حياة الصحابة ، دار الكتب العلمية (بيروت)/ ج3 ص79

وهذه صفة عرفت فيه رضي الله عنه.

ونستطيع أن نتبين هذا أكثر من خلال السياق الذي وردت فيه الصيغتان، فلفظ (عَسِر) جاء في سياقه وصفا من الكفار أنفسهم حينما بعثوا من قبورهم في صورة أشبه بتطاير الجراد من الأرض وانتشاره أسرابا أسرابا؛ فذلك المظهر أوحى في نفوسهم شدة الهول والفزع فلم يتريثوا في وصفه بالعسر. أما إفادته للحدوث والتجدد فلأن الوصف كان لأولى مظاهر العسرة، وتجدده فيها مرهون بخلاص الحساب وأخذهم إلى عذاب الخلد .

أما سياق (عسير) فمقامه يختلف عن سابقه، فالوصف فيه لم يكن من الكفار، وإنما جاء من ربّ العزة جامعا فيه كل إيحاءات الشدّة والهون، فما رآه الكفار يختلف عمّا يعلمه الخالق وما أوجدهم لهم، كما أنّ بناءه على (فَعِيل) للدلالة على ثبوت شدة وعسرة ذلك اليوم عليهم دون غيرهم. يقول (السامرائي): "فأنت تلاحظ أنّ (عسراً) وصف نسبي، فقد يعسر الأمر على شخص ولا يعسر على آخر، فهو ليس وصفا ثابتا، وأمّا (عَسِير) فهو من عسر الأمر أي: أنّ الأمر نفسه متصف بالعسر فهو دال على الوصف الثابت"[1].

ومن اللطائف التي ننتهي عندها أنّ صيغة (عَسِر) توحي بخفة شديدة في الأمر، وهو ما ناسب تنبأ الكفار بعسرة هذا اليوم، أمّا (عسير) فمدّها بالجر على وزن (فعِيل) يوحي بطول مدّة ذلك اليوم، وبطول فزعه وهوله على الكافرين، فكما قال سبحانه: "وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ"[2]. فلا شك أن تطول عسرة ذلك اليوم على الكافرين ولا تكاد تنتهي.

[1]– معاني الأبنية في العربية ، ص 97.

[2]– سورة الحج الآية 47.

عجيب وعُجَاب:

وردت صفتا (عَجِيب) و(عُجَاب) في سياقات مختلفة، إلا أنهما اشتركتا في الدلالة على معنى واحد هو "استكبار الشيء"[1]، غير أن نسبة تعظيم هذا الشيء واستكباره تفاوتت من أمر لآخر، فجاء استعمال الألفاظ بحسب معناها الدقيق في الخطاب القرآني.

ورد لفظ (عَجِيب) في موضعين، أولهما في قوله تعالى: "بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ"[2]، والآخر في قوله سبحانه: "قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ"[3].

يقول (الطبري) في (عجيب): "مجيء رجل من بني آدم برسالة من الله شيء يدعوا للعجب، فهلا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا "[4].

أمّا لفظ (عُجَاب) فورد ذكره في موضع واحد ، وذلك في قوله تعالى:" أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ"[5]،أي: " أمر يدعوا إلى العجب الشديد"[6].

يقول (بن عاشور) في لفظ (عجاب): "إنّ هذا لشيء عُجَاب" أي: يتعجب منه كما يتعجب من شعوذة الساحر..،و(عُجَاب) وصف الشيء الذي يتعجب منه كثيرا، لأن وزن (فُعَال) بضم أوله

---

[1]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج4، ص 243.

[2]– سورة ق الآية 2.

[3]– سورة هود الآية 72.

[4]– جامع البيان، ج2 ، ص 382.

[5]– سورة ص الآية 5.

[6]– عبد السلام هارون ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 945.

يدل على تمكن الوصف مثل: طُوَال بمعنى المفرط في الطول، وكُرَام بمعنى الكثير الكرم، فهو أبلغ من كريم "[1].

وبناء (فَعِيل) في (عَجِيب) سبق ذكره في (عَسِير)، وهو لدلالة ثبوت الصفة في صاحبها، وهو كذلك في عجب الكفار فيما جاءهم به النبي "صلى الله عليه وسلم" من التوحيد والإنذار والبعث وغيرها..، أما (فُعَال) -بضم الفاء- فهو للدلالة على تمكن الوصف أكثر كما ذكر (بن عاشور)، أو هو مبالغة المبالغة إن صحّ القول، فالعرب إذا أرادت المبالغة أكثر في الوصف جعلت بناء اللفظ من (فَعِيل) إلى (فُعَال) كـ"(طُوَال) و(طَوِيل) و(عُرَاض) و(عَرِيض)، و(كُبَار) و(كَبِير) و(خُفَاف) وخفيف وغيرها "[2]، فـ(فُعَال) أقرب إلى (فَعِيل) في الصفات؛ فهما أختان كما (قال ابن يعيش) "[3].

ذكر (الفراء) بأنّ "العرب تقول: هذا رجل كَرِيم وكُرَّام وكُرَام، والمعنى كله واحد"[4]، أما في التعبير القرآني فنجدها خلافا لما ذكر، فقد استعمل لفظ (عُجاب) لما هو قمة في العجب ، أمّا لفظ (عَجيب) فأورده فيما هي دونه في ذلك.

ونفس القول جاء به "ثعلب الكوفي" (ت200هـ-291هـ) عن "ابن الأعرابي" أن ما جاء على (فَعِيل) و(فُعَال) كعجيب وعُجاب، وذفيف وذُفاف هما واحد"[5]. في حين أنّ (الخليل) فرّق بين

---

[1]- التحرير والتنوير ج23، ص 210.

[2]- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص 466.

[3]- ابن يعي ، شرح المفصل ج5، ص 47.

[4]- معاني القرآن الفراء ج2، ص 398.

[5]- (أنظر): معاني القرآن (ثعلب الكوفي) ، ص 175/ معاني القرآن (النّحاس) ج6، ص 79.

البناءين من حيث المعنى فقال: "بين (العجيب) و(العجاب) فرق أما العَجِيب فالعجب مثله، وأمّا العُجَاب فالذي يجاوز حدّ العجيب، وذلك مثل الطويل والطُوال"[1].

إن الذي يرويه معنى اللفظين في كل سياق هو كلمة الفصل في الأمر، فـ(عجيب) وردت في سياق مماثل متعلق بالخلق والإحياء، فعجب الكافرين كان من أمر لم يسمعوا به من قبل، وهو "البعث" من القبور ولملمة العظام خلقا جديدا كما كانت عليه، فكون المنذر يعرفونه وهو من ينبئهم بهذا الأمر، زاد من حدة عجبهم فقالوا: " أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ"[2].

والأمر ذاته في لفظ (عجيب) من سورة هود، فالتعجب كان من (سارة) زوجة النبي إبراهيم عليه السلام حين بشرت بغلام وهي عجوز أخذ منها الكبر وتخطّى بها سنّ الإنجاب، وزوجها شيخ كبير، فتعجبت أن يكون لهما ولد في مثل سنّهما، لأنها لم تر أو تسمع بهذا الأمر من قبل..، فكما كان عجب الكفار من أمر البعث، فهو كذلك في هذه المعجزة الناذرة .

ومن دلالات ذلك أيضا؛ نجد أنّ قول الكافرين لم يكن مؤكدا فقالوا: (هذا شيء عجيب) لأن أمر البعث حاصل وواقع على كلّ نفس، أمّا زوجة (إبراهيم) عليه السلام فجاء كلامها يؤكد عجبها بقولها: (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) فكان التأكيد بمؤكدين هما (إنّ) و(اللام)، وذلك لأن وهب الأولاد في مثل هذا السن ليس مألوفا، كما أنه لا يقع على الكلّ، بل هو رحمة من الخالق على من يشاء من عباده، وهو ما كان مع سيدنا (زكرياء) عليه السلام وزوجته .

---

[1]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج4، ص 243–244.

[2]– سورة ق الآية 3.

أمّا (عُجَاب) الكافرين فلم يكن وصفا لأمر سمعوه عن البعث، بل في توحيد الألوهية لربّ العالمين، وهو أعظم وأذهل أمرا، فعقولهم لم تقو على ذلك فقالوا: كيف لإله واحد أن يسمع دعاءنا ويستجيب لنا دون مساعدة غيره، فهذا أمر لا يمكن تصديقه.

كما أن تعدد الآلهة عندهم دعاهم للتعجب أكثر، فهي التي لم تقدر على حمايتهم وأن تلبي حاجياتهم رغم كثرتها كاللّات والعزّى و هبل وغيرها، فكيف لربّ واحد لا يرونه وبمجرد الإيمان به وتوحيده يكون لهم منه ما يريدون من خير، وهنالك استصعب عليهم الأمر لإمساسه بعقيدتهم، ولكونهم قوم عريقون في الشرك"[1].

وبهذا يمكن القول أنّ كل لفظ تلاءم مع السياق الذي نسج داخل آية من آياته، فعجب الكفار من بعثهم لم يكن كعجبهم من توحيد الآلهة، فالأول عمّ كل ملحد ومشرك وكافر بالله وبيوم البعث؛ أمّا الآخر فمسّ عقيدتهم وعقيدة آبائهم وأجدادهم الموروثة، فكان أنسب في وصفه بالعُجَاب لا بالعجيب .

كَبِيـر وكُبَّـار:

وردت صيغة (كَبِير) في النص القرآني عشرات المرات، وهي كلها بمعنى زيادة الشيء عن أصله، حسيا كان أو معنويا. يقول تعالى: "وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا "[2].

[1]– فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 98.

[2]– سورة النساء الآية 2.

يقول (الفراء) في تفسير قوله تعالى (حوباً كبيراً): أي: إثما عظيما "[1].

أمّا لفظ (كُبَّار) فلم يرد إلا مرة واحدة، وكان ذلك في قوله تعالى على لسان نبيه (نوح) عليه السلام:" رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا "[2].

يقول (الفرّاء) عن صيغة (كُبَّار): "الكبّار: الكبير، والعرب تقول كُبَار، ويقولون: رجل حُسَّان جُمَّال بالتشديد، وحسان جمال بالتخفيف في كثير من أشباهه"[3].

ويقول (ثعلب الكوفي) في ذات الصيغة: "يقال شيء كبير، فإذا زاد قيل كبار، خفيفا، فإذا زاد حتى بلغ النهاية قيل كبّار مشدّداً "[4].

إنّ صيغة (كَبِير) هي الأكثر دورانا في التعبيرات القرآنية، ومعانيها تعانق الموصوف بمبالغة محدودة لا يستدعي تفسيرها أكثر من الذي جاء به المفسرون، أمّا صيغة (كُبَّار) فالتشديد وبناءها الناذر يومئ بوجود شيء تطلب استعمالها للتعبير عنه، والذي لا شك أن يكون في غاية المبالغة، ولو لم يكن كذلك لكان أنسب أن يخفف فيقال: "(مكراً كُبَاراً)، أو يقال: (مكراً كبيراً).

يتجلّى من خلال السياق أنّ لفظ (كبّار) تعلق بمكر قوم (نوح) عليه السلام؛ فرفع تقريرا قوي اللهجة يشتكيهم ربَّه، وذلك لأنهم لم يؤمنوا بما جاءهم به، بل زادهم طغيانا ومكرا؛ فراحوا يصدون

---

[1]– معاني القرآن (الفرّاء) ج1، ص 253.

[2]– سورة نوح الآية 21، 22.

[3]– معاني القرآن (الفراء) ج3، ص 189 / (أنظر): (أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه) ليس في كلام العرب/ دار الفكر العربي (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 2000/ ص 42.

[4]– (أبي يحيى ثعلب الكوفي ثعلب الكوفي) معاني القرآن / مطبعة الناصرية (العراق) /الطبعة الأولى سنة 2010 / ص217

قومهم عن عبادته وحذّروا كل من يترك عبادة دين الأجداد (الأصنام) " وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا"[1]. وهنا نستشف تحذيرا ممزوجا بصورة مثقلة من الوعيد والزّجر. يقول (الفخر الرازي): "المكر الكُبَّار: هو أنّهم قالوا لأتباعهم (ولا تذرنّ ودّا) فهم منعوا القوم عن التوحيد، وأمروهم بالشرك، ولما كان التوحيد أعظم المراتب لا جرم كان المنع منه أعظم الكبائر، فلهذا وصفه الله تعالى بأنّه (كُبَّار)..."[2].

وقد يكون المعنى الأصح هو ما ذكره (الرّازي) بأنّهم قالوا لأتباعهم (وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا) كتحريض لهم، لكن قد نرى فيه صدّا ومنعا لمن آمن لنوح أيضا، وهذا بمعنى الضلال والتضليل بقوله: "إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ "[3].

ولما اشتدّ مكرهم الكبّار وكثرت منافذه التي استوقدوا فظاعتها على مدّة بلغت ألف سنة إلا خمسين عاما، وقد أطفأ الطوفان آخر جمراتها حينما أرادوا التعدّي على (نوح) عليه السلام ومن آمن معه ، فأرهبوه وحذّروه ثمّ " قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ "[4]، فجاءهم ما كانوا به يكذبون، ورأوا ما كانوا به يستهزءون.

[1]– سورة نوح الآية 23.
[2]– (أنظر) منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ ص 178.
[3]– سورة نوح الآية 27.
[4]– سورة الشعراء الآية 116.

وكون الفاصلة جزءا من بلاغة القرآن، فلنا أن نتتبع ذلك في هذا المقام، فحرف الرّاء الممدود بالألف (را) ورد في سبعة عشر لفظا نحو:(فرارا- استكبارا- جهارا- غفّارا-كفّارا- مدرارا- وقارا- كبّارا)؛ فهي كلّها وظفت تابعة للمعنى وليس لغرض توالي النغم أو الموسيقى فقط، لأن الفواصل.. حكمتها الإبانة عن المعاني التي إليها الحاجة ماسة كما ذكر الرّماني"[1].

[1]- (عبد الفتاح لاشين)، الفاصلة القرآنية / دار المريخ للنشر (الرياض)/ سنة الطبع 1982/ ص10 .

المبحث الثالث

دلالة الجموع في السياق القرآني

- جموع الصفات بين التكسير والسالم
- جموع التكسير

3- دلالة الجموع في السياق القرآني:

تنوعت صيغ الجموع في القرآن الكريم، واتخذت ألوانا وأشكالا عدّة، فقد نجد للمفرد الواحد أكثر من جمع، وكلّ جمع بدلالة معينة، فمن ذلك استعماله "للسّاجدين والسجد، واستعمل الكفار والكفرة والكافرين"[1]، كما عبّر تارة بالأعين وتارة بالعيون، وذكر الموتى والأموات وغيرها..، فأصل الإفراد في هذه الجموع واحد، أمّا في جمعها فالمعنى مقترن بالعدد غالبا، أو ينفرد بجمالية لا تضبط إلا من خلال السياق العام الذي وظفت فيه .

آل اجتهاد النحويين في الجموع إلى تقسيمها "جموعا سالمة" و "جموع تكسير"، فالأوّل ما "يسلم بناءه الأصلي في المفرد من التغيير عند جمعه، نحو: مهندس (مهندسون)، فحروف الأصل بقيت على حالها الأول وزيد لها (الواو والنون)، وكذلك مع جمع المؤنث السالم، نقول: جاءت المهندسة، وجاءت المهندسات بزيادة (الألف والتاء).."[2].

أمّا "جموع التكسير" فهي من باب تكسير الشيء كالآنية مثلا، فتكسيرها إنّما هو إزالة التئام أجزائها"[3]، وهي أربعة أضرب:

1. أن يكون لفظ الجمع أكثر من لفظ الواحد نحو: رَجُل ورِجَال، ودرْهم ودَرَاهم.
2. أن يكون لفظ الواحد أكثر من لفظ الجمع نحو: كِتَاب وكُتُب، وإزَار وأُزُر.
3. أن يكون الجمع مثل المفرد دون الحركات نحو: أَسَد وأُسْد.

---

[1]- فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 129.

[2]- (أنظر): عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 102.

[3]- (أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري) أسرار العربية / المجمع العلمي العربي (دمشق) / ص63.

4. أن يكون الجمع مثل المفرد في الحروف والحركات نحو: الفُلْك "[1].

وكل هذه الجموع تختلف دلالاتها من حيث إفادتها للكثرة أو القلة، فجعلوا للقلة عددا لا يزيد عن العشرة، فإن تجاوزه دلّ على الكثرة نحو: الأشهر والشهور، والأبحر والبحار، والآلاف والألوف، والبررة والأبرار، والفتية والفتيان وغيرها، وقد بلغت أبنية جموع التكسير بنوعيه سبع وعشرون وزنا أغلبها للدّلالة على الكثرة "[2].

كما تلعب اللهجات العربية دوراً هاما في خلط المعنى، فقد يحمل اللفظ في المفرد على صيغة واحدة ويجمع على خلاف ذلك، فمثلا :(الخيلان) جمع الخال الذي هو الشامة، و(الأخوال) جمع الخال الذي هو أخ الأمّ "[3]، فهما يجتمعان مفردا ويختلفان جمعا ..وهذا من جماليات لغتنا العربية.

وتذوّق العربي للغته وحسّه المرهف بها يجعله يميّز بين هذه الجموع من حيث إفادتها للمعنى لا للكثرة أو للقلة دائما، وأروع ما تحكيه كتب النقد العربي والبلاغي القديم من هذا القبيل قصة (حسّان) و(الخنساء) رضي الله عنهما حين تبارا بشعرهما تحت حكمة النابغة الذبياني، وأجمل ما كان في ذلك قوة الملاحظة الناقدة التي وجّهها النابغة لحسّان بعد أن أنشد:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدتـي دمـا

فعابه النابغة في ثمانية مواضع، نذكر منها ما كان في دلالة الجموع التي وظفها، فقال: "قلت لنا الجفنات، والجفنات دون العشر، ولو قلت الجفان لكان أكثر..؛ وقلت أسيافنا، والأسياف دون

[1]– المصدر السابق، ص 63–64.

[2]– (أنظر): عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 103–104.

[3]– فاضل السامرائي، معاني الأبنية العربية ص 130.

العشرة، ولو قلت سيوفنا لكان أكثر.."[1].

أمّا القرآن الكريم فالجموع فيه انتهجت نهجا عجيبا، فكان المعنى أسمى غاياتها وجوهر تنوعاتها، وسنذكر بعضا منها.

1– 3 – جموع التكسير:

ذكرنا أنّ الجموع في العربية نوعان: "جمع سالم" و"جمع تكسير"، وأن هذا الأخير هو ما لم يسلم مفرده عند الجمع بتعرضه للتغيير، وهو قسمان:

- "قسم يدل على جموع القلّـة.
- قسم يدل على جموع الكثرة"[2]

وجعلوا للقلة أربعة أوزان دالة عليها، وهي: (أَفْعُل) نحو: أبحر، و(أَفْعَال) نحو: أعلام، و(أَفْعِلَة) نحو: أفئدة، و(فِعْلَة) نحو: فتيـة.

أمّا صيغ الكثرة، فقد ضبطوا لها أوزانا كثيرة، أشهرها ثلاثة وعشرون وزنا، منها: (فُعْل – فُعَل – فُعُل – فُعَلَة – فُعَّال – فِعَال – فُعُول– فُعْلاَن – فَوَاعِل – فُعَلاَء – فَعَائِل وغيرها "[3].

أما الكثير فيرى أنّ إفادة معنى الكثرة أو القلة ثابتة في الجموع من خلال القوالب الصرفية التي ضبطت لها، وذلك غير وارد فهذه القاعدة لم تصمد أمام الإعجاز القرآني، فقد يؤتى بها للمغايرة بين معنيين وضعا أو تخصيصا، لا للدلالة على الكثرة أو القلة "[4].

---

[1]– (أنظر): محمّد أبو زهرة ، المعجزة الكبرى ص 93.

[2]– عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ص 102.

[3]– (أنظر) نفس المرجع، ص 105...114 / معاني الأبنية في العربية ص 148.–.170.

[4]– يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص119.

ولتقريب الصورة الدلالية لبعض الجموع نذكر ما جاء في التعبير القرآني من هذا القبيل، نحو:

الأعين والعيــون:

ورد لفظ (أَعْيُن) و(عُيُون) في أكثر من سياق، فصيغة (أعين) وزن (أَفعُل) من جموع القلة، أمّا (عيون) فصيغت على (فُعُول) نحو: قلوب وعطور وسطور وغيرها، وهي للدلالة على الكثرة..، أما الترابط اللغوي بينهما يبقى اشتراكهما في لفظ الإفراد (عين).

إذا تتبعنا ورود لفظ (عين) في القرآن الكريم فإنا نجده يدل على "العين الباصرة" نحو قوله تعالى: "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ"[1].كما نجدها في سياقات أخرى تدلّ على عين الماء نحو قوله تعالى:"فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ"[2]. فهذه الصيغ اختلف فيها اللفظ والمعنى عند الجمع.

وردت (عيون) الماء في الذكر الحكيم عشر مرّات منها قوله: "إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ"[3]. أمّا (الأعين) الباصرة فقد وردت في اثنتين وعشرين موطنا؛ منها قوله تعالى: "وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ "[4].

ذكر "النحويون" أنّ (أَفْعُل) من أوزان القلة، والعدد فيها لا يتجاوز العشرة، وقد جاء بناء (أعين) أحد أوزانها ، بيد أنّ ذلك لم يثبت دائما ، ولم يصح أن يكون سببا في إرادة القلة على وجه العموم ،

[1]– سورة المائدة الآية 45.
[2]– سورة الغاشية الآية 12.
[3]– سورة الحجر الآية 45.
[4]– سورة المائدة الآية 83.

"إذ لا يستساغ معنى القلة في آيات مثل "سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ"[1] ومثل قوله: "وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ ۖ "[2]؛ فمعنى الكثرة هو الأنسب والأكثر ملائمة للسياق هنا"[3]، كما هو الحال في قوله أيضا: "ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي"[4]، والمقصود بهم هنا (الكفار) ، وهم كثرة؛ فلاشك تربوا أعينهم على العشرة "[5].

إن قوله تعالى: "سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ" في سياق سورة الأعراف جاء يسرد قصة (موسى) عليه السلام مع السحرة، فذكر فيه مواعدتهم له حول المكان والزمان الذي سيتبارون فيه، فوقع الإختيار على يوم عيد لهم، كما قيل أنه يوم سوق يخرجون إليها جميعا"[6]، وأيّهما كان فهو أنسب لموسى عليه السلام في إظهار عظمة الخالق في عصاه، فإختيار المكان ناسب كثرة الملإ، لكونه أكثر الأماكن تجمعا لهم..، وكل هذه الأمور لم تترك أثرا لمعنى القلة في لفظ (أعين) وإنما هي دليل كثرتها .

أما لفظ (أعين) فذكر في أربعة مواطن أخرى وبمعنى مختلف عن سابقه ،كنحو قوله عزّ وجلّ :"وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا "[7]، وقد ذكر المفسرون أنه قُصد بها معنى الرّعاية "[8]؛ وإنما استعيرت في هذا السياق لمعنى "المراقبة والملاحظة..،" والمراد منها كما ذكر (بن عاشور)" الكناية بالمعنى المجازي

---

[1]– سورة الأعراف الآية 116.

[2]– سورة الزخرف الآية 71.

[3]– (أنظر): (أحمد مختار عمر) الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم/ عالم الكتب (القاهرة)/ الطبعة الأولى سنة 2003/ ص 117.

[4]– سورة الكهف الآية 101.

[5]– يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص119

[6]– (أنظر): الفراء ، معاني القرآن ج2، ص 182.

[7]– سورة هود الآية 37.

[8]– يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 119.

عن لازمه، وهو الحفظ من الخلل والخطأ في الصّنع"[1] وليس من معنى القلة في شيء، وهذا لأن العرب لم تبني آلة البصر في الجمع إلا على (أعيُن) ولم تقل (عُيُون)، وهذا حتى يُفرّقَ بين عيون الماء وأعين النّظر.

الأنفس والنفوس:

ومن الجموع التي تنوعت أبنيتها وتعددت معانيها ودلالاتها في الخطاب القرآني لفظ (الأنفس) و(النّفُوس)، وكلاهما يعود أصل إفراده إلى لفظ (نفس).

صيغ جمع (أَنْفُس) على وزن (أَفْعُل)، وهو إحدى صيغ جموع القلة كأعين، وقد ورد ذكره في النص القرآني نكرة ومعرفا في مائة وثمانية وخمسين موضعا منها قوله:"وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ "[2] .

أمّا صيغة (نفوس) جاء بناءها على (فُعُول) نحو: رؤوس وشهود وكؤوس وغيرها ، وهي جموع كثرة، وقد أورده العزيز الحكيم في موضعين، من ذلك قوله:"وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ"[3]، وفي قوله أيضا: "رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ "[4].

يظهر من خلال السياق أن صيغة (الأنفس) أنه لا يراد بها القلة، بل جاءت معانيها متعلقة ومرتبطة بمساكنها كالذوات والأشخاص وهو أكثر ما ورد في القرآن الكريم"[5]. كقوله تعالى:" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"[6]؛ فالخطاب وُجّه لبني إسرائيل، وهو قائم يخاطبنا اليوم، ولا معنى للقلة المخاطبة بـ (أَنْفُسكم).

---

[1]– التحرير والتنوير ج12، ص 66.

[2]– سورة البقرة الآية 155.

[3]– سورة التكوير الآية 07.

[4]– سورة الإسراء الآية 25.

[5]– (أنظر): أحمد عمر مختار، الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم ص 121.

[6]– سورة البقرة الآية 144.

وأكثر ما خاض فيه "المفسرون" و"البلاغيون" في وقوفهم على مواطن (الأنفس) أنها جاءت تحمل معاني "الذوات والأرواح والضمائر والقلوب"[1]. يقول (الطبري) في تفسير قوله تعالى:" ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ "[2]، أي: أن الله أعلم بضمائر صدورهم"[3]. كما ذكر صاحب (التحرير والتنوير) في تفسير قوله تعالى: (وتنسون أنفسكم) قائلا: "والأنفس جمع نفس بسكون الفاء وهي مجموع ذات الإنسان من الهيكل والروح كما هنا..، وباعتباره هذا التركيب الذي في الذات اتسّع إطلاق النفس في كلام العرب تارة على جميع الذات كما في التوكيد نحو: جاء فلان نفسه، وقوله: "النّفس بالنّفس"، وقوله: "تقتلون أنفسكم"، وتارة على البعض كقول القائل: (أنكرت نفسي)، كما تطلق على الروح الذي به الإدراك"[4].

تبقى هذه التوضيحات التي ذكرها (بن عاشور) عن كون لفظ (الأنفس) ورد من باب التوكيد المعنوي فذلك لم يكن لينافي القاعدة اللغوية الأولى التي وضعها القدامى، وإنما بنوها من بعدهم على أسس بلاغية، وهو ما ذكره (السامرائي) قائلا :أنّ "العرب خصّوا التوكيد المعنوي بلفظ الأنفس والأعين ولم يستعملوا له النفوس ولا العيون، فيقولون: جاء الزّيدون أنفسهم لا نفوسهم وإن زادوا على العشرة"[5].

[1]– عبد السلام هارون ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 1116.
[2]– سورة هود الآية 31.
[3]– جامع البيان ، ج1، ص 374.
[4]– التحرير والتنوير ، ج1 ، ص 476.
[5]– (أنظر): معاني الأبنية في العربية ، ص 140.

كما نلحظ أنّ (النفوس) ذكرت بمعناها الحقيقي الكامن في جسد كلّ إنسان، من نفوس أمارة بالسوء أو مطمئنة أو لوّامة، ولم تأت لغير هذا، خلافا للأنفس التي وجدت معانيها في النّص القرآني مطلقة ، والأكثر من ذلك أنها غطّت المعنى السابق المحمول على (النفوس)"[1].

الإخوة والإخوان:

كلا الجمعان مفرده (أخ)، كما أنّ لكل منهما دلالة تخصه وتنفرد فيه عن الآخر، أما عن إفادته العددية فتلك قاعدة لم تكن لتثبت أمام كلام الخالق سبحانه.

صيغ لفظ (إخوة) على وزن (فِعْلـة) -بكسر الفاء وسكون العين- وهو من جموع القلة نحـو: فِتْيَة وصِبْية وثِنْية"[2]. أمّا لفظ (إخوان) على وزن (فِعْلاَن) للدلالة على الكثرة نحو: جِيران وغزلان وخِرفان وحيطان "[3].

ورد لفظ (إِخْوة) في الكتاب المنير سبع مرّات منها قوله تعالى: "وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ "[4]وفي قوله أيضا: "فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ "[5]، واللفظ كلّه بمعنى أخوة النسب.

أمّا لفظ (إِخْوان) فقد ورد اثنتين وعشرين مرّة، وبمعان شاملة ومتعددة بما فيها أخوة الدين والصداقة كقوله: "فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا "[6] أي: نزع ما في قلوبهم من

---

[1]– (أنظر): أحمد عمر مختار، الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم ص 121.

[2]– (أنظر): الحملاوي، شذ العرف في فن الصرف ص 115.

[3]– (أنظر): عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 109.

[4]– سورة يوسف الآية 58.

[5]– سورة النساء الآية 11.

[6]– سورة آل عمران الآية 103.

ضغن وحسد وبغض فأصبحوا بالإسلام إخوانا متصادقين متحابين"[1]، كما فعل مع المهاجرين والأنصار، كما نجده يشمل معنى أخوّة النسب نحو قوله: " وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ "[2]. فالمقصود بإخوانهن أو أبناء إخوانهن هم الإخوة أو أبناء الإخوة "[3]، أي: من كانوا نسبا واحدا.

وقد يسأل أحدهم لما جاء قوله سبحانه وتعالى في سورة (يوسف) :"وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُف" بذكر (إخوة) بالقلة ولم يذكر (إخوان) بالكثرة لأنهم كانوا أحد عشر أخا كما وردنا عن قصصهم، وما كان فوق العشرة فهو جمع كثرة كما ذكروا ؛ وهنا يمكن التعليل أن ذلك السياق حكى عنهم في أول مرة دخلوا فيها مصر، وحينها لم يكن معهم أخوهم الأصغر، بل جاء ذكره في ثاني مرّة رجعوا فيها .

وأولى معاني الجمعان فرّق بينها من حيث معنى الأخوة والصداقة، وبين معنى أخوة النسب، لتلاشي بعض قواعدهم وتقنيناتهم أمام بلاغة التعبير القرآني ويحملا على دلالات أخرى، فمثلا نجد ورود جمع (إخوة) بصيغة القلة في سياق يدلّ على معنى الكثرة، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ "[4]، فلفظ (المؤمنون) من جموع الصفات؛ وهي تدل على الكثرة بخلاف جموع الأسماء، كما قصد بالإخوة في كلّ سياق بإخوة النسب إلاّ في هذا الموضع لم يدل على ذلك، كما أنه لم يدل على القلة أيضا.

---

[1]– (أنظر): الطبري ، جامع البيان ج1، ص 116.

[2]– سورة النور الآية 31.

[3]– علي الصابوني ، صفوة التفاسير ج2، ص 336.

[4]– سورة الحجرات الآية 10.

وكون اللفظ القرآني أول ما جاء ليراعي المعنى فهو ما نراه كذلك في لفظ (إخوة)، فقد حملها بعضهم على المبالغة"[1]، وذلك بتشبيه المؤمنين في توادّهم وتحابهم وتعاطفهم وتراحمهم كما يكون بين إخوة الجسد الواحد، فهنا لم يرد العدد؛ بل تقريب صورة التّحاب بين المؤمنين كأنّهم إخوة البطن الواحد..، فالأخ مهما كان له من أمر أو عداوة إلا وتجلبه تلك الرابطة الأخوية حتى وإن لم يبدها، وكل هذه المعاني قد لا نجدها في قولنا مثلا: (المؤمنون إخوان) لأنّ المعنى أقرب للكثرة لا لمعنى التعاطف والمحبّة .

2- جموع الصفات بين التكسير والسّالم:

ذكر النحويون أنّ الأصل في الجموع السالمة إفادتها للقلة؛ وهذا ما قد نراه يصح على جموع الأسماء و الجوامد، أمّا في الصفات فإنّ دلالته على القلة ليست مطّردة بل نستطيع القول أنّ الأصل فيه عدم الدلالة على القلة، وإنّما الأصل فيه أن يدل على الحدث"[2].

كما ذكروا في الصفات أنّ جمعها سالمة يقربها من الفعلية، وبالتالي إفادتها للتجدد والحدوث، أمّا تكسيرها فلثبوت الصفة فيها؛ لأنه يبعدها من الفعلية ويقربّها إلى الاسمية "[3]، كـ(الحافظين) مثلا أقرب إليه من (يحفظون) لاكتسابه صبغة التجدد، أمّا قولنا: (حفظة) فهذا يجعل ثبوت الصفة أكثر في أصحابها كـ(حفظة القرآن) مثلا، فذلك الفعل ثابت فيهم لإكثارهم من القيام به. يقول (ابن

---

[1]- (أنظر): أحمد عمر مختار، الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم ص 120.

[2]- يوسف المرعشلي ، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 122.

[3]- (أنظر): نفس المرجع ص 122/ معاني الأبنية في العربية ص 144.

يعيش): "اعلم أنّ تكسير الصفة ضعيف والقياس جمعها بالواو والنون، وإنّما ضعف تكسيرها لأنها تجري مجرى الفعل، وذلك أنك إذا قلت: زيد شارب، فمعناه يضرب أو ضرب إذا أردت الماضي، وإذا قلت: مضروب فمعناه يضرب أو ضرب لأنّ الصفة في افتقارها إلى تقدّم الموصوف كالفعل في افتقاره للفاعل..، أمّا جمع السلامة فإنه يجري مجرى علامة الجمع من الفعل إذا قلت: يقومون ويضربون أشبه قولك قائمون يقومون..."[1].

ومن ذلك قوله تعالى: "وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ "[2] فعبر بـ(خازنين) ولم يقل (بخزنة)، في حين أنه ذكر الملائكة المكلفين بجهنم بهذه الصفة، فقال سبحانه :"وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ "[3]ولم يقل: (لخازني جهنم)، ذلك لأنّ في الأولى استعمل خازنين لإفادتها الفعلية وهي تخصّ الإنسان، أمّا قوله (خَزَنة) فلأنها صفة للملائكة الموكلين بنار جهنم ووقودها وبتسيير ما تحتوي عليه دار العذاب وأهلها، ولذلك يقال لهم (خزنة النار)"[4]؛ فهي ثابتة في هذا الصنف من الملائكة..، ومن هذا القبيل في القرآن الكريم أيضا:

الكافرون والكفّار والكفرة:

جمع لفظ (كَافِر) في القرآن الكريم بألوان مختلفة، منها الجمع السالم في قوله تعالى : " وَإِنَّ

---

[1]- شرح المفصل ج 5، ص 24.

[2]- سورة الحجر الآية 22.

[3]- سورة غافر الآية 49.

[4]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج24 ص 165.

كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ "[1].

أمّا جمع التكسير فقد ذكر بقالبين صرفيين هما (كُفَّار) و(كفرة)وذلك في اثنتين وعشرين موضعا؛ من الأوّل قوله تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم "[2]. ومن الآخر قوله: "أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ "[3].

انفرد كلّ سياق بجمع خاص في هذه الآيات ، وإذا كان حمل المعنى فيها على القلة أو الكثرة فقد يكون ذلك جزءا من دلالاته، لأنه قد لا نجد أثرا للقلة في لفظ (كافرون)؛ بل أن دلالة الكثرة أول ما يمكن الأخذ بها، لأن صفة الكفر تشمل كل كافرا بالله وجاحد لأنعمه ومشرك وملحد به، ولا يمكن اعتبار هذا دليلا على القلة، وإنما إفادته للحدوث هي الأقرب لذلك كما ذكر (ابن يعيش)، فـ(كافرون) لا تكاد تختلف عن (يكفرون) من حيث التجدّد لقربها من الفعلية

وصفة الكفر عند جمعها على الاسمية تصبح دلالتها شاملة لكلّ أوجه الكفر ، أمّا الإشارة إلى ذلك الكفر وتحديده فيكون التعبير بالفعلية أنسب لذلك كقوله تعالى:"أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ "[4]

فإذا كان الحدوث صفة للجموع السالمة، فهذا ما لا نراه في الجموع التكسيرية الأخرى، فلفظ (كُفَّار) صيغ على (فُعَّال)، وهو من أوزان جموع الكثرة نحو: قُرَّاء وصُوّام وعُذّال وغيرها..."[5]، وهو

---

[1]– سورة الروم الآية 8.

[2]– سورة البقرة الآية 109.

[3]– سورة عبس الآية 42.

[4]– سورة البقرة الآية 85.

[5]– (أنظر): الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ص 118.

مبالغة لإسم الفاعل. يقول (سيبويه):" أمّا ما كان فاعلا فإنك تكسّره على (فُعّل)، ويكّسرونه أيضا على (فُعَّال) وذلك قولك: شهّاد، وجهّال، وركّاب، وعرّاض، وزوّار، وغيّاب، وهذا النحو كثير"[1].

وسبق الذكر عن إفادة صيغة (فَعَّال) للمبالغة والتكثير"[2]، وهي كذلك في الجمع، فدلالتها ليست إلاّ تمكينا لمعنى الثبوت واللزوم في صيغة (كُفَّار)، أي: أنهم أشدّ كفرا وتعصبا للإسلام، ولاشك أنّ التعبير بها أبلغ من التعبير بـ(الكافرين)، ومثل ذلك ورد في سورة البقرة في قوله عزّ وجلّ:"لَو يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا " أي: أشدّ كفراً من غيرهم. وتلك كانت أمنية اليهود والمشركين بأن يصبح بعض المؤمنين كفّاراً تزيد عداوتهم لهذا الدّين بعد أن يرتدوا عنه، لأنه من يسلم ثمّ يرتد يكون أشد كفراً من غيره؛ ولذلك لم يقل (من بعد إيمانكم كافرين)، لأنها ليست بذات البلاغة والدّلالة كما في (كُفَّار).

أمّا صيغة (كَفَرَة) وزن (فَعَلَة)-بفتح الفاء والعين واللاّم- من أوزان الكثرة أيضا، وذلك نحو: بررة وفسقة، وجهلة، وفجرة، وكذبة "[3]. وهي جموع قليلة الذكر في النص القرآني، وقد ذكر بعضها في سياق واحد قوله تعالى: "أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ "[4].

إن صيغة (كفرة) أقلّ الجموع دورانا في الكلام، وما كان أقلّ دورانا لابدّ أن ينفرد بدلالته ومعانيه، ولو عدنا إلى سياقها العام نجدها متعلقة بمن يغلظ عليهم عذاب الآخرة وهم (الكفرة)، وقد أشار

---

[1]- سيبويه، الكتاب ج3، ص 631.

[2]- (أنظر): فاضل السامرائي ، من أسرار البيان القرآني ص 35.

[3]- سيبويه، الكتاب ج3، ص 631.

[4]- سورة عبس الآية 42.

إليهم بـ(أولئك) تخصيصا لهم، كما زادهم صفة (فجرة) للدلالة على عظم الأمور التي أتوا بها في دنياهم من كفر وشرك بلغ ذروته ونهايته في الفجور.

وما نخلص إليه أنّ لفظ (كافرون) إفادته للكثرة أولى مزاياه اللغوية، ذلك لتجدد القيام بالفعل آنا بعد آن، أمّا (الكُفَّار) و(الكَفَرَة) فهم المقصود بهم أيضا (الكافرون)، وإنما تنوّع التعبير القرآني بهم لإنفراد كلّ منها في تصوير وتقريب درجات الكفر المختلفة ، والتي حتما ستختلف معها درجات العذاب .

الميتين والموتى والأموات:

صيغت هذه الجموع من مفرد واحد هو (ميت)، بيد أنّ كلّ جمع افترق على معنى معيّن، وهو ما أوجب ورودها بهذه التلوينات الصرفية داخل الخطاب القرآني.

صيغ لفظ (أموات) على وزن (أَفْعَال)، وهو من الجموع الدّالة على القلّة نحو: أثواب وأبواب وأوقات وأعمام وأكباد وغيرها "[1]، وورد ذكرها في ستة مواطن، نذكر منها قوله سبحانه وتعالى:"وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ "[2]

وذكر جمع (موتى) على وزن (فَعْلَى) للدلالة على الكثرة نحو: جرحى ومرضى وهلكى، وغالبا ما يدل على آفة في الموصوف أو نقص فيه"[3]. يقول (سيبويه): "قالوا: مائق وموقى، أحمق وحمقى..، وذلك لأنهم جعلوه شيئا قد أصيبوا به في عقولهم، كما أصيبوا ببعض ما ذكرنا في أبدانهم"[4].

---

[1]– (أنظر): عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 104.

[2]– سورة فاطر الآية 20.

[3]– يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدلالات الصرفية ص 137.

[4]– الكتاب، ج3، ص 649.

ورد لفظ (مَوْتَى) سبع عشرة مرة في الخطاب القرآني، منها قوله تعالى:" أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ "[1]. وفي قوله أيضا:"وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْۦِ ٱلْمَوْتَىٰ "[2].

أمّا صيغتا الجمع السالم (ميتون) و(ميتين) فقد وردتا ثلاث مرّات منها قوله تعالى: "ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ"[3] وفي قوله أيضا: "أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ"[4].

يجتمع المعنى الأوّلي لهذه الجموع على دلالة واحدة وهي "ذهاب القوّة من الشيء"[5]، أمّا الوجه الآخر فهو يتراوح بين الحقيقة والمجاز؛ أي بين الموت الحقيقي والموت المعنوي، فلكلّ جمع مفرده الخاص، أحدهما (مَيْت)-بسكون الياء- والآخر (ميِّت)-بتشديد الياء مع كسرها- فالأوّل ما كان موتا معنويا نحو قوله تعالى: "**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**"[6]، أي: من كان غافلا في ضلال فحاله كحال الميّت أو السقيم الذي لا ينفع ولا يضر، وهذا كناية على هدايته إلى الصراط المستقيم. يقول (بن عاشور):"والكلام جار على طريقة تمثيل حال من أسلم وتخلّص من الشرك بحال *من كان ميتا فأحيي* وتمثيل حال من هو باقٍ في الشرك بحال ميّت باق في قبره "[7].

---

[1]- سورة القيامة الآية 40.

[2]- سورة البقرة الآية 260.

[3]- سورة المؤمنون الآية 15.

[4]- سورة الصافات الآية 58-59.

[5]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج5، ص 283.

[6]- سورة الأنعام الآية 122.

[7]- التحرير والتنوير ج8، ص 44.

ومثل ذلك قوله أيضاً:" لِّنُحۡيِۦَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا "[1]، أي: إحياء أرض قحطة لا تنبت"[2]، وهذا اللفظ مستعار من حال الإنسان، فالأرض التي لا حبّ فيها ولا كلأ حالها كحال الميّت لا تقدر على النفع بشيء، وكذلك هو.

أمّا الموت الحقيقي فمعناه كثير في الذكر الحكيم كقوله تعالى: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ". فالميّت هنا بمعنى المفارق للحياة "[3]، وقد نظم أحدهم قائلا :

أيا سائلي تفسير مَيْت ومَيِّت فدونك قد فسّرت ما عنه تسأل

فما كان ذا روح فذلك مَيِّت وما الميّت إلاّ من إلى القبر يحمل "[4]

ولأجل ذلك خصّ كل مفرد بجمع مناسب، فـ(الأموات) هم من ماتوا معنويا؛ أي الذين لا نفع لهم، أو لمن ماتوا وتركوا خلفهم أعمالا تبقيهم أحياء كالعلماء والشهداء ونحوهم..، أمّا لفظ (الموتى) فمعناه في النص القرآني واحد وهو الموت الحقيقي، أمّا (مَيِّتون) فهم الذين أصابهم الموت الحقيقي أو سيصيبهم "[5].

أمّا دلالتها على الكثرة أو القلّة فهي أوضح، فـ(الموتى) جمع كثرة ولاشك أن يكون عددهم أكثر من الذين ماتت عقولهم قبل أرواحهم، وهم المعبّر عنهم بـ(الأموات)، لكن هذا لم يكن ليفوق الجمع السالم عددا، فـ(الموتى) جزء من (الميّتين)، وكذلك (الأموات) فهم كالجماد في الطبيعة، عقولهم ميتة ولاشك في لحاق الأجساد بها .

---

[1]– سورة الفرقان الآية 49.

[2]– الطبري، جامع البيان ج2، ص 114.

[3]– عبد السلام هارون، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 1066.

[4]– (أنظر): علي الصابوني، صفوة التفاسير ج2، ص 368.

[5]– فاضل السامرائي ، معاني الأبنية في العربية ص 132.

وبهذا.. فالحدوث ثابت في الجموع السالمة (ميّتون وميتين) لتجدد وقوعه، وكذلك هم (الموتى)، فإنه لا يعاد إحياءهم ليعيشوا مرة أخرى في دنياهم كما كانوا من قبل، وذات الأمر في (أموات)، فمن استحب العمى والضلال أحق بصفة الموت المعنوي لثبوته على الكفر وانعدام نفعه، فهو كالأنعام بل هو أضل .

القاعدين والقعود:

ومن الجموع التي استظلت معانيها تحت مفرد واحد في الذكر الحكيم، نجد لفظا (قاعدون) و(قعود)، ولا ريب أنّ لكلّ معنى خاص هو له أنسب من الآخر.

ورد لفظا الجمع السالم (قاعدون) و(قاعدين) ست مرات منها قوله تعالى:"لَّا يَسْتَوِى مِنَ ٱلْقَـٰعِدُون ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"[1]، وفي قوله تعالى: فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ "[2]، والمقصود بـ(القاعدين) و(القاعدون) المتخلّفون عن الجهاد"[3].

أمّا (القعود) وزن (فُعُول) –بضم الفاء والعين– من الأبنية الدالة على جموع الكثرة نحو: ألوف وبروج وبطون وجروح وجلود وعروش وغيرها"[4]، وجاء ذكرها في الخطاب القرآني ثلاث مرات منها قوله تعالى: "الذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ"[5]، وهو من الأبنية التي تأتي على هيئة

[1]– سورة النساء الآية 95.

[2]– سورة التوبة الآية 46.

[3]– عبد السلام هارون ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 907.

[4]– (أنظر): عائشة قشوع ، الأبنية الصرفية في السور المدنية ص 336.

[5]– سورة آل عمران الآية 191.

المصدر، كنحو قوله تعالى: "إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ "[1].

إن اقتطاع الجموع عن سابقها ولاحقها يجعل منها ألفاظا منفردة جامدة...، وكون الألفاظ المنفردة لا تأخذ إفادتها المعنوية إلاّ عند التركيب"[2]، فإن ذلك يرمي بنا للبحث عن أسرار هذه التنوعات الصرفية داخل السياق الكلي الذي وظفت فيه، فـ(القاعدون) مثلا سيق للدلالة على معنى واحد وهو التخلف عن الجهاد، وفي كلّ المواطن التي ذكر فيها لم يقصد به القعود الشكلي الذي يرى، وإنّما القعود المعنوي أي: البقاء والمكوث وعدم الخروج للجهاد في سبيله، كقوله تعالى في سورة النساء: "لا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ"، فالقعود هنا حالة استثناء عنى بها قوما لم يقدروا على الخروج "[3].

أمّا لفظ (القعود) فهو بخلاف ذلك، فقد قصد به المعنى الحقيقي الذي نعلم شكله، والذي قارب معناه معنى الجلوس، وهو المقصود في قوله تعالى: "ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦"[4]، أي: "قعود على شفير الأخدود"[5].

وكذلك في قوله سبحانه:" يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ"، فالقعود هنا كناية عن المؤمنين الذين لا يغنيهم شيء عن ذكر الله، فهم يذكرونه قياما وقعودا وعلى مضاجعهم..، فهي بذلك حركات يقومون بها وترى رأي العين .

---

[1]– سورة التوبة الآية 83.

[2]– الفخر الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص 73.

[3]– معاني القرآن (الأخفش) ص 380.

[4]– سورة البروج الآيتان: 5– 6 .

[5]– الطبري ، جامع البيان ج2، ص 930.

يبقى هذا بعضا ممّا استقرأناه في كتب اللغة والتفاسير لضبط نزل يسير من جماليات الجموع، وتفرّداتها الرائعة ومعانيها الدقيقة التي لم يقدروا كسرها بتقعيداتهم الصرفية المحصورة في باب القلة والكثرة غالبا، فالغاية الأسمى في لغة القرآن تبقى المعنى .

الفصل الثاني

الأفعال بين تنوع الأبنية وتعدد الدلالات

المبحث 1: معاني الثلاثي بين المجرد والمزيد بحرف

المبحث 2: معاني الثلاثي المزيد بحرف فأكثر

المبحث 3: الرباعي المجرد بين تصوير المعنى وتضعيف الحركة

الفعل في القرآن الكريم:

ذكر اللغويون أن الفعل "هو ما دل على الحدث، وذلك لاقترانه بالأزمنة الثلاث : الماضي والمستقبل والحال "[1]، وجعلوا مباحثه تدور حول أصلين فقط هما: المجرد والمزيد "[2]، فالأول ما كانت جميع حروفه أصلية "[3]، أما الثاني فهو ما دخلت عليه زيادة مطّردة بحرف أو حرفين أو ثلاث أحرف على أصول الكلمة "[4] .

أما وروده في القرآن الكريم فجاء بأصلين هما: (الثلاثي) و(الرباعي)، وقد انتهج في توظيفها نهجا فريدا؛ إذ وظفت فيه بكل تشكيلاتها الصرفية المتنوعة في صياغات تتلاءم مع السياق الذي جاءت فيه رغم اشتراكها في الأصل اللغوي واختلاف أبنية الزيادة فيها.

ويبقى البحث عن التناسب الصرفي للأفعال مع السياق هو اللغز الحاكم في هذه التنوعات الوظيفية، والهدف المنشود في هذا الفصل، وتأكيدا للقول فإن نفي الترادف في القرآن الكريم لا يخص الأسماء فقط؛ بل يشمل الأفعال كذلك، فقد وظفت لما هي له أحق وأنسب كما أراد المولى عزّ وجلّ، وهذا التنويع في ذاته سرّ إعجازي فوق بقية الأسرار، فقوة المعنى الذي يسوقه لنا في تشابكه مع سابقه ولاحقه تجعله الأنسب لأداء ما يراد من أغراض ومقاصد في كل صيغة جاء بها.

لم تختر الأفعال في التعبير القرآني اعتباطا، ولم توظف فيه لغرض التنويع أو التفنين الخطابي فقط؛ بل القصد كل القصد هو توظيفها في أماكنها المناسبة المتلائمة والمقام، وهذا حتى تظهر بعض الفروق

---

[1]– محيسن محمّد سالم ، تصريف الأفعال والأسماء ص 24.

[2]– (د نجاة عبد العظيم الكوفي) أبنية الأفعال –دراسة لغوية قرآنية– / ص 11.

[3]– (أنظر) عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ص 32.

[4]– عصام نور الدين ، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص187

الدلالية في الأفق، فكون الفعل مزيدا بحرف فإن معناه يختلف عن كونه مضعّفا أو مزيدا بحرفين ؛ لأن "الزيادة في المباني تفيد الزيادة في المعاني "[1]. يقول "الزركشي" (794) :"واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلابد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا"[2].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، فمثلا ورود الفعل (غَلّق) في قوله تعال:"وغَلَّقَت الأَبْوَابَ "[3] بوزن (فَعَّل) جاء ملائما للسياق ومتوازيا مع الجو العام لتلك الحادثة، كما فتح تأويلات ودلالات عديدة، فقد ذكر (بن عاشور) أن التضعيف كان "لإفادة شدة الفعل وقوته، أي: أغلقت إغلاقا محكما"[4]، في حين ذكر أحدهم أنّ التشديد كان للتكثير، فقد قيل أنها كانت سبعة أبواب"[5]...، ولعّل استبدال صيغة هذا الفعل بصيغة أخرى كـ(أغلق) قد يظهر المعنى أضعف أو أقل دلالة مما هي عليه في (غلّق) التي حملت معنى التكثير والمبالغة في القيام بالفعل، وهذا ما لا يتوفّر دلاليا في صيغة أفعل "[6].

وهذه التلوينات الصرفية نراها وردت أكثر في ثوب الثلاثي، فجاءت أبنيته مزيدة بحرف وحرفين، وثلاثة أحرف، كما ورد بعضها بكل الأبنية نحو: (مسك) و(أمسك) و(استمسك)، ونحو(نبّأ) و(أنبأ) و(استنبأ)، ولم تزد أصوله على ثلاثة أحرف .

---

[1]– ابي إسحاق الزجاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه / المكتبة العصرية (بيروت) / الطبعة الأولى سنة 2006/ ج3، ص 238.

[2]– (بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي)، البرهان في علوم القرآن / ج3، ص 83.

[3]– سورة يوسف الآية 23.

[4]– التحرير والتنوير ج 12 ، ص 250.

[5]– أحمد بن مشرف الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير ص 470.

[6]– أسامة عبد العزيز، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم ص 181.

المبحث الأول

معاني الثلاثي

بين المجرد والمزيد بحرف

- الثلاثي المجرد والمزيد بحرف
- الثلاثي المجرد والمزيد بحرفين
- الثلاثي المجرد والمزيد بثلاثة أحرف

1- معاني الثلاثي بين المجرد والمزيد:

1-1-الثلاثي المجرد والمزيد بحرف:

سبق الذكر أن الفعل المجرد هو ما كانت جميع حروفه أصلية، وأنه لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علة "[1]، وللثلاثي في ثلاثة أبنية :

* (فَعُل) بضم العين نحو: كَرُم وشَرُف .

* (فَعِل) بكسر العين نحو: رَكِن وعَلِم .

*(فَعَل) بفتح العين نحو: ضَرَبَ ونَصَرَ "[2] .

أمّا إذا زيد بناءه بأحد الأحرف العشرة المجموعة في كلمة (سألتمونيها)"[3] فيكون قد دخل دائرة الأفعال المزيدة بحرف نحو: أَفْعَلَ ، وفَاعَلَ ، وفَعَّلَ، أوالمزيدة بحرفين نحو: انفعل ، وتفعّل، وافتعل، أو بثلاثة أحرف نحو: افْعَوعَلَ، واستفعَل، وافْعَوَلَّ..، ولم يرد في التعبير القرآني صيغا مزيدة عن ثلاثة أحرف.

يتنوع الخطاب القرآني في سياقاته وفنونه وأساليبه، فنرى تارة التعبير بالمجرد وتارة بالمزيد، وليس القصد في ذلك إلا زيادة للمعنى كما ذكروا، ومن ذلك التنوع نذكر ما جاء مجردا ومزيدا بحرف نحو :

عَجَلَ وأَعْجَلَ:

ورد الفعل الثلاثي المجرد (عَجَلَ) بمعناه البين في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: "وَعَجِلْتُ

---

[1]- عائشة قشوع ، الأبنية الصرفية في السور المدنية ص 26.

[2]-محفوظ الشنقيطي ، وشاح الحرة بإبراز اللامية وتفعيلها ص 12.

[3]- د. نجاة عبد العظيم الكوفي، أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية / دار الثقافة للنشر والتوزيع / سنة الطبع 1989 / ص 21.

إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ"[1]، أي: أسرعت إليك لمرضاتك "[2].

يقول (الفيروزي آبادي): "وقوله تعالى: "(وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ") ذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود وهو طلب رضا الله "[3].

إلا أنّ دلالته في (أَعْجَلَ) بزيادة الهمزة لها أثر لا يقف عند كونه متعديا فقط؛ بل للمبالغة في القيام به على نحو خاص، يبرز أن صاحبه يطلبه بشدة، وقد جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ "[4].

والإستفسار في الآية الكريمة عن عجلة سيدنا (موسى) عليه السلام كانت دليلا على تعجله الشديد في مفارقة قومه ليحضر مناجاة ربه، يقول (بن عاشور): "واعتذر عن تعجّله بأنه عجّل إلى استجابة أمر الله مبالغة في إرضائه"[5]. ومعنى ذلك أن الفعل (أعجل) يحمل دلالة أقوى داخل السياق، فهو لا يدل على السرعة في حضور المناجاة فقط، وإنما يرسم في الأذهان صورة قوية عن مدى تعلق الأنبياء بالخالق سبحانه وحبّهم الشديد لطاعته، فمهما كانت عظمة الأمور فهي لن تعجزهم عن طاعته والعجلة إليه.

وننهي القول أنّ الفعل (عَجَلَ) له معنى واحد وهو الخفة في الأمر والسرعة في قضائه، أما (أعجل) فهي للمبالغة عن تلك الحركة الاستعجالية التي نطلبها بأسرع ما يكون، والتي تومئ بوجود

---

[1]– سورة طه الآية 84.

[2]– (أنظر) عبد السلام هارون، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 743.

[3]– بصائر ذوي التمييز، ج4، ص 23.

[4]– سورة طه الآية 83.

[5]– التحرير والتنوير ج16، ص 278.

دافع للقيام به على تلك السرعة، ولهذا لم يأت قوله (ما عجّلك)، لأنه لم يرد تقريب شدة العجلة لوحدها، وإنما أراد بذلك دافعها أيضا، وهذا كناية على استجابته لأمر الله وحبّ طاعته بصرف كل الأمور مهما كانت .

صَبَرَ وصَابَرَ:

ومن أوزان الثلاثي المزيد بحرف نجد أيضا بناء (فَاعَلَ) بإضافة الهمزة بين الفاء والعين نحو: قَاتَلَ من قَتَلَ، وسَامَحَ من سمح، وصَابَرَ من صَبَرَ وغيرها .

ورد الفعل (صَبَرَ) في الذكر الحكيم بصور وأشكال صرفية عدة يجمع بينها معنى واحد، هو "التحمل والتجلّد وعدم الجزع "[1]، يقول تعالى: "فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ "[2].

وذكر الفعل (صَابَرَ) في موطن واحد بصيغة الأمر، وذلك في قوله تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠"[3].

إن ورود صيغة (صَبَرَ) و(صَابَرَ) في سياق واحد له أثر دلالي خفي يوحي بوجود مقصد آخر من هذا التوظيف، فالفعل (صابر) له إضافات دلالية أشار إليها البناء، وأخرى دلّ عليها السياق، فـ(الواو) في قوله تعالى: (اصبرُوا وصابرُوا ورابطُوا) أفادت الجمع كما أفادت تعقيب درجات الجزع

[1]– عبد السلام هارون ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 655.

[2]– سورة الأحقاف الآية 35.

[3]– سورة آل عمران الآية 200.

والشدة التي يمر بها المؤمن للوصول إلى برّ الفلاح، فبدأ بذكر (الصبر) ثم ما هو أشد منه (المصابرة) ، ثمّ انتهى بما هو أشد منهما (المرابطة) .

يقول (الطبري):"معنى ذلك.. اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم..، وأولى التأويلات: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعة ربكم، وصابروا أعدائكم من المشركين. وإنما قلنا ذلك بالصواب لأن المعروف من كلام العرب في –المفاعلة– أن تكون فريقين أو اثنين فصاعدا ولا تكون من واحد إلا قليلا في أحرف معدودة "[1].

أمّا بناء (فاعل) فذكروا له ثلاث دلالات وهي: التشارك، والموالاة ومجاراته على التضعيف، أو التكثير أو المتابعة "[2]، و(صَابَرَ) أقرب للمعنى الأول ، أي: أنه جاء للدلالة على المشاركة في الفاعلية والمفعولية معنى لا لفظا، والفرق بين المشاركة في المعنى هي أن يكون من غيرك إليك ما كان منك إليه"[3]، وفي اللفظ يكون أحدهما فاعلا والآخر مفعولا فلا يشارك إلا الفظ .

وقوله: (اصبروا) حث على الصبر بكل أشكاله، صبر على ما يصيبهم منه (الإبتلاء) أو من أعدائهم، في حين أن قوله (صابروا) تدل على طلب الفعل بمشاركة المؤمنين جسدا واحدا مع التشديد عليه إما على الأعداء أو لما هو أعظم كالتواصي على الصلوات كما ذكر (النحاس)"[4]. فهذا الفعل معنى (المشاركة) فيه دليل على قوة ما يحتويه من معاني شديدة تتلاءم مع بناءه .

إذا.. (الصبر) صفة كل مؤمن، فهو يصبر على كل أمر يعتريه ويصيبه، أما (المصابرة) فتكون

---

[1]– (أنظر): منيع القيسي، سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ ص 83–84.

[2]– (أنظر): محفوظ الشنقيطي، وشاح الحرة بإبراز اللامية وتفعيلها ص 55 / (الحملاوي)،شذا العرف ص 48.

[3]– ابن يعيش، شرح المفصل ج7، ص 159.

[4]– (أنظر): معاني القرآن (النحاس) ج1، ص 531.

من غيره عليه كما تكون منه على غيره، ولاشك أن تكون لما هو أشد بدليل قوله (رابطوا)، فالرباط هو ملازمة ثغر العدو والثبات في وجهه"[1]. قياسا على الرباط الذي يشد به، فتكون القوة فيه جمعا كما كانت في فتيل الرباط.

وما يمكن الخروج به من هذه التنوعات الصيغية أن (الصبر) هو الدرجة الطبيعية في التحمل ، أما (المصابرة) فهي درجة أعلى في التحمل تأتي من الترويض والمجاهدة بدرجة أعلى من الصبر، والتي يمكن أن يبلغ بها المؤمن قوة أكثر لا يبلغها غيره من البشر .

كَذَبَ وكَذَّبَ :

يعد تضعيف العين أكثر الصيغ التي يأتي على هيئتها الفعل الثلاثي المزيد بحرف (فعّل) نحو: قطّع وكلّم وبرّأ وأذّن وقتّل..، وهي كثيرة الذكر في التعبير القرآني، وذكر النحاة أنّ هذا البناء يأتي للدلالة على خمس معان هي: التعدية والنسبة والسلب والاختصار ومعظمها يكون للتكثير والمبالغة"[2].

يقول (سيبويه): تقول: كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسّرته وقطّعته..، وقالوا يُجَوِّل أي: يكثر الجولان، ويُطَوِّفُ أي: يكثر التطويف، واعلم أن التخفيف في هذا جائز...كله عربي، إلا أنّ (فعّلت) إدخالها هنا لتبيين الكثير"[3].

---

[1]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج2، ص 478.

[2]– (أنظر): محمّد خليل الزروق ، الخلاصة في الرسم والصرف ص 50.

[3]– عائشة قشوع ، الأبنية الصرفية في السور المدينة ص 24/ (أنظر):سيبويه ، الكتاب ج4، ص 79.

ومن هذا القبيل نذكر مثلا صيغتا (كَذَبَ) و(كَذَّبَ)، فقد جاء ذكرهما معا في سياقات عدّة، منها قوله تعالى:"فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ"[1]، فورود الفعل(كذب) مخفّفا ومشدّدا في الآية الكريمة يفتح آفاق التدبر والبحث أكثر عن دلالة هذا التنويع اللفظي، فالذي خصّه المولى تعالى بالفعل مشددا في (كذّب) لاشك أن تكون دلالته أشد وأقوى منه مخففا في (كذب)، ولو كان الأمر خلافا لذلك لكان التعبير بأحدهما كاف للوصول إلى المعنى المقصود .

ذكر (الزمخشري) و(القرطبي) أنّ الاستفهام والإنكار في الآية السابقة معناه النفي، أي: لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب أو كذّب بالقرآن والمعجزات الباهرة "[2]. فالكذّاب يكون أشدّ ظلما لمكابرته الحق، أمّا الكاذب فقد يكون كذبه عدوانا وظلما وتعصّبا، فيرمي بالقول الثقيل على الخالق سبحانه بهتانا وافتراء منه، قال تعالى :وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ "[3]، فهنا جعل الافتراء كذبا والكفر بآياته البينات التي تأتيهم تكذيبا، ذلك لأن الحق خاطبهم ورأوا من آياته وأبَوا إلا كفورا ونكرانا وجحودا..، ولهذا فالذي يكذب دون علم ليس كمن يكذب وهو يعلم حقيقة ما يفتريه، فهذا الأخير أشدهم وأكثرهم ظلما، وهو أنسب أن يوصف بال(كذّاب) وليس بال(كاذب) .

---

[1]– سورة الزمر الآية 32 .

[2]– (أنظر): علي الصابوني ، صفوة التفاسير ج1، ص 384.

[3]– سورة الأنعام الآية 21.

إذا.. فالمبالغة في الكذب هي أول ما يؤخذ من قوله تعالى:(كذّب)، فكثرة الكذب خصّها بالآيات والبراهين واليقين، ومن الواضح أن تكون كثيرة وذلك حتى يتصف صاحبها بالكذّاب، وإن كان الإفتراء المتعمد أشنع وأبشع درجة هو الآخر، إلا أنه لم يسوّ بينهما لأن لكلّ منهما درجة من الكفر والفجور هي فيه أنسب، وقد جاء في القرآن الكريم ما يظهر افتراءهم على الله بأن جعلوا له شركاء وبنات، والأبشع أنهم اتخذوا له ولدَا..، فهذا الكذب ورثوه وألفوه عن آبائهم ولم يستطيعوا تركه ولا التنازل عنه حمية وتعصّبا، فنسخ فيهم وطبع به على قلوبهم بأنهم قوم مجرمون، ولكلّ ما في هذا الأمر من سوء وظلم وبهتان عظيم إلا أنه ليس كمن كذّب وكفر بالحق إذ جاءه، فهو أكبر وأعظم عند الله وأما الذي جمع بينهما بإثباته ما نفاه الله ونفيه لما أثبته الله فذلك قد بلغ غاية الإفراط في الظلم"[1].

إنّ الإنسان مهما بلغ درجات (الكذب) فلابد أن يكون كاذبا ثم كذّابا، فكلما ازداد تحرّيه للكذب تغيّر معه اللفظ المعبّر عن ذلك، ولأنه كما يقال الألفاظ دليلة المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل "[2] وليس العكس .

2-1- الثلاثي المجرد والمزيد بحرفين :

صيغ الثلاثي المزيد بحرفي:

مزيد الثلاثي بحرفين له خمسة أوزان، ثلاثة منها تبدأ بهمزة الوصل، والرابع والخامس يبدأ بتاء

[1]- (أنظر): علي الصابوني ، صفوة التفاسير ج1، ص 384.

[2]- (أنظر): (أبي الفتح عثمان ابن جني)/ الخصائص / ج2، ص 285.

الزيادة، وهذه الأوزان هي :

"(انفعل) بزيادة الهمزة والنون مثل: انفطر، وانفجر، وانغلق.

(افتعل) بزيادة الهمزة والتاء مثل: ارتقب، واحتمل، واكتسب.

(افعلّ) بزيادة الهمزة وتضعيف اللام مثل: ابيضّ، واسودّ.

(تفاعل) بزيادة التاء والألف مثل: تبارك، وتقاسم، وتداين.

(تفعّل) بزيادة التاء والتضعيف مثل: تبوّأ، وتأذّن، وتحسّس "[1].

وكل هذه الأبنية وردت في القرآن الكريم عدا صيغة (افعلّ) .

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم نذكر:

كَسَبَ واكْتَسَبَ

ورد الفعل (كَسَبَ) و(اكْتَسَبَ) في غير موضع من القرآن الكريم، من ذلك ورودهما في سياق واحد من سورة البقرة، قال سبحانه وتعالى:"لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ "[2] .فالتعبير بفعل الكسب والاكتساب في السياق ذاته له حقيقة دلالية مغايرة، تقف وراء استعمال قرينة (لها) أو (عليها).

وللافتعال دلالات عدة متنوعة أوصلها الدكتور (عظيمة) إلى ست دلالات "[3]، نذكر منها: المشاركة، والمطاوعة، والاتخاذ، وبوجه أكثر على المبالغة والتكثير"[1]. وقد ذكر (بن عاشور) و(ابن

---

[1]– (أنظر): د. (نجاة عبد العظيم الكوفي)، أبنية الأفعال –دراسة لغوية قرآنية/ دار الثقافة للنشر والتوزيع / سنة الطبع 1989/ ص 27–28.

[2]– سورة البقرة الآية 286 .

[3]– مشرف الزهراني ، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور ص 468.

الأصبع) أنّ صيغة (الإفتعال) تدل على المبالغة في عموم ما وردت فيه، وليس بين قوله (كَسَبَت) و(اكْتَسَبَت) إلا ذلك .

وإذا كان صاحب "التحرير والتنوير" قد مثّل لذلك بأشعار العرب فهذا قد لا يكون مقنعا، لأنه الكلام يختلف؛ فهو محكم من لدن عليم خبير جاء ليعجزهم في ذلك، كما أنه من المستغرب أن يكون حمل التعبير مرة بـ(كسبت) ومرة بـ(اكتسبت) من باب التفنن أو لكراهية إعادة الكلمة بنفس اللفظ "[2]، أو لأن النظم في تركيب الآية منع حصول عيب أو إغماض للمعنى المقصود منها فكان ذلك أوجب في استعمال (كسبت) بغير زيادة لتفادي استثقالها.."[3].

في حين يبدوا أن (الزمخشري) امتاز بإضاء إيحاء كل صيغة وشرح دلالتها حسب مقامها بخلاف استحضار التقعيد اللغوي لتلك الزيادة التي طرأت على البناء الأصلي، وهذا ما أوضحه قائلا: "لم خصّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال "[4].

فصيغة (اكتسب) إذا تدل على "الإعتمال" الذي يناسب صفات الشر غالبا، فهو يحمل يصيبه الإنسان في حياته"[5]. أما فورتهم في هذا الإختلاف سببها أنّ فعل (الكسب) جاء ذكره في

---

[1]– (أنظر): محمّد الزروق ، الخلاصة في الرسم والصرف ص 52.

[2]– (أنظر:) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور ص 468.

[3]– أحمد ياسوف ، جمالية المفردة القرآنية / دار المكتبي للنشر والتوزيع (دمشق) / الطبعة الثانية سنة 1999 / ص 246.

[4]– بتصرف– نفس المرجع ، ص 246– 247

[5]– (أنظر): سيبويه، الكتاب ج4، ص 74.

معاني التصرف والطلب والاجتهاد؛ وهو بمنزلة الاضطراب كما ذكر (سيبويه)، أما (كَسَبَ) فهي ما يصيبه الإنسان في حياته"[1]. أما فورتهم في هذا الإختلاف سببها أنّ فعل (الكسب) جاء ذكره في مضمار كسب الشر، نحو قوله تعال: "وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ"[2]، وقد جاء ذكره مسبقا في سياق دال على كسب الخير، ولعلنا نقول أنّ فعل (الكسب) هنا كان بصيغة الافتعال كما في (اكْتَسَبَ)، فالاكتساب يكون على النفس، والكسب لها، أما هنا فقد ذكر الكسب عليها وهو ما أثبته (بن عاشور) "أن النفس إن جاءت بخير كان نفعه لها وإن جاءت بشر كان ضره عليها "[3].

يبقى هذا اجتهادهم المأجور، أما قولهم أنّ التعبير بالصيغتين من باب درء الاستثقال والتكرار اللفظي فلا نرى أنه من غايات القرآن الأولى، أما كون التعبير عن معنى واحد وبلفظين زيد في بناء أحدهما من أساليب التعبير عند بعض العرب كما رأينا في (كسب) و(اكتسب) "[4] فهذا أمر قد لا يدع للعجب .

سَرَقَ واسْتَرَقَ:

[1]– (أنظر): سيبويه، الكتاب ج4، ص 74.

[2]– سورة النساء الآية 111.

[3]– (أنظر): الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ج3، ص 137.

[4]– نفس المرجع ، ج3، ص 137.

ورد الفعل (سَرَقَ) مرتين في كتابه العزيز، منها قوله تعالى في سورة يوسف: "قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ "[1]

أما (اسْتَرَقَ) فقد جاء ذكره مرة واحدة، قال تعالى: "إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨"[2].

يقول (الصابوني) في تفسير قوله تعالى (استرق السمع):" أي: إلا من اختلس شيئا من أخبار السماء"[3].

ويقول(الطبري) فيها أيضا: "المراد من استراق السمع الخطفة اليسيرة "[4].

أمّا قولهم في (سَرَقَ) فلا يكاد يختلف الواحد عن الآخر لوضوح المعنى فيه، فـ"هو الأخذ بما ليس من حقك في خفاء وستر"[5]، وقد يكون ذلك حسيا أو معنويا .

إن الأصل اللغوي للصيغتين واحد، غير أن (استرق) فيها زيادة معنى للزيادة الداخلة على المبنى، والتعبير بـ(سرق) يعني قيام الفاعل به عن تمكن وإحكام دون علم الآخر، وأكثر ما يقع على الماديات، فقد لا يصح قولنا مثلا :(استرق) أحدهم مالي، بل (سرق) لأن الفعل وقع من السارق لأمر مادي، ومن ذلك قول إخوة يوسف "فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ "، ولم يقولوا: (اسْتَرَقَ) لأنهم

[1]– سورة يوسف الآية 77.

[2]– سورة الحجر الآية 18.

[3]– صفوة التفاسير ج2 ، ص 107.

[4]– جامع البيان ج 1، ص 439.

[5]– (أنظر): الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز، ج3، ص 217.

خصّوا فعل السرقة بما هو مادي وملموس، كما أن الإفتعال في (استرق) يعني المشاركة في السرقة، وهو ما يتنافى دلاليا مع مقصود السياق .

أما دلالة (الافتعال) في قوله: "استرق السمع" فكانت لما هو معنوي، أي: التنصت على أهل السماء الدنيا (الملائكة) باختلاس"[1]، ويكون ذلك خفية عنهم، كاسترق السامع للمتكلم كلامه ليعيده على غيره، أو استراق الكاتب لبعض المحاسبات وذلك إذا لم يبرزها "[2]، وهذه كلها تكون في الأمور المعنوية.

كما أنها تأتي لمعنى التكلف أيضا، فالسارق إذا سرق فهو عرضة للكشف حاله كحال الشياطين التي تسترق السمع، فهي ترمى بالشهب حينا بعد حين، وهذا خلافا لـ(سرق) الذي غالبا ما يجهل صاحبه، لأنه يكون أقل تكلفا وعسرة منه حين القيام به. كما هو الحال أيضا في السرقات الشعرية التي أثرت البحث النقدي العربي اليوم.

ولتقريب المعنى أكثر نذكر قوله تعالى:"وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩"[3]. فالآية الكريمة تحمل في سياقها الفعلين معا، وجليّ أن معنى (السمع) بخلاف (الاستماع)، فقولهم: (للسّمع) أي: كنا نسمع "[4]، بمشقة أو تكلف أقل، أما اليوم

[1]– (أنظر): الزجّاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج5 ، ص 225.

[2]– الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز ج3 ، ص 217.

[3]– سورة الجن الآية 09.

[4]– (أنظر): الزجاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج5، ص 225.

فصار الاستماع أصعب رغم دلالته على التنصت السريع فقط...، كيف وقد كانوا من قبل يقعدون مقاعد لذلك وبتكلف أقل .

وليس هذا إلا جزءا من دلالة (سرق) و(استرق) من حيث الفاعلية، فالأول دل على السرقة المادية بتكلف أقل، والآخر على السرقة المعنوية وبتكلف كبير .

ذَكَرَ وتَذَكَّرَ:

ورد الفعل (ذَكَرَ) مبينا للمعلوم والمجهول، مفردا وجمعا في سبع عشرة موطنا منها قوله تعالى: "قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ "[1].

كما ذكر الفعل (تَذَكَّرَ) عشرات المرات، منها قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ "[2].

يقول الزجاج في صيغة (تذَكَّرُوا) :" أي: تفكّروا فيما أوضح لهم من الجنة "[3].

ويقول الطبري في (ذَكَرَ): "ذكر الله فوحّده ودعاه..."[4].

لقد صبّ النحويون اهتمامهم بالجانب الصرفي لـ(تفعّل)، فهو حجر الأساس لأخذ المعنى المقصود من كل صيغة فعلية جاء بناءها على وزنه ، ومن معاني أبنيتها نجد : المطاوعة، والتكلف، والتجنب، وأكثر ما تكون دالة على معاني المبالغة والتكثير"[5] .

---

[1]– سورة الأعلى الآية 14–15.

[2]– سورة الأعراف الآية 201.

[3]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج2 ، ص 307.

[4]– جامع البيان ج2 ، ص 534.

[5]– (أنظر): خليل الزروق ، الخلاصة في الرسم والصرف ص 51–52.

وعند التدبر في السياق الذي وردت فيه الصيغتان يتبيّن أنهما تدلان على معنى واحد وهو استحضار الشيء، لكن لكل منهما كيفية تليق بذلك الإستحضار، فالذكر من (ذكر) ويكون غالبا باللسان "[1]، كذكر العبد ربه في الصلاة كما جاء في الآية السابقة ، أو ذكر الأخ لأخيه في الدعاء..، ومن ذلك ما جاء على لسان سيدنا (يوسف) عليه السلام لصاحبه في السجن: "ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ "[2]، وهنا لا بدّ أن يستوجب ذكره لفظا أي: باللسان، أما فعل (التذكُر) فهو أبلغ وأشد منه لأنه يكون بالقلب "[3]، وهذا لعظم معانيه أيضا، فالإنسان يتذكّر نعمة الخالق عليه فيؤوب إليه قبل أن يهم بالمعاصي، كما يتذكر فضله حين يتدبر في آياته وخلقه وكونه، وهو أكثر ما خوطب به الإنسان. قال تعالى:" إِنَّمَا يَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَاب"[4].

وكل هذه الأمور جعلت صيغة (التفعّل) تحمل أكثر على معاني والمبالغة والتكثير، فما كان بالقلب والعقل لا بدّ أن يكون أشدّ من كونه باللسان، فهما لبّ العبادات وأساسها، ولهذا عبّر النص القرآني بالفعل (تذكّر) في الأمور الشديدة عند الحاجة أو النسيان أو عند وساوس الشيطان ، في حين عبّر بـ(ذَكَرَ) لما توجّب قوله باللسان، ويكون للإنسان مع ربّه ومع غيره، ولهذا يستحسن أن يأتي (الذكر) قولا باللسان و(التذكّر) بالقلب والعقل، فالخفة للخفة، والشدة للشدة .

---

[1]– (أنظر): الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ج3، ص 09.

[2]– سورة يوسف الآية 42.

[3]– (أنظر): الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز ج3، ص 09.

[4]– سورة الرعد الآية 19.

3-1- الثلاثي المجرد والمزيد بثلاثة أحرف :

الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف له في لغة العرب أربعة أوزان مستعملة بكثرة وهي: (استفعل) نحو: استغفر، و(افعوعل) نحو: اغرورق، و(افعولّ) نحو: اجلوذّ، و(افعال) نحو اصفارّ"[1]. كما له أوزان أخرى قليلة الاستعمال نحو: (افعنلل) و(افعيلّ) و(افعللّ)، وغيرها .

أما الخطاب القرآني فقد استعمل أوضحها وأدقها تلاءما مع معانيه وهي صيغة (استفعل)، والتي لم يفرق بينها وبين المجرد الثلاثي أحيانا إلا مبناهما الصرفي الذي جعل لها، ونذكر من ذلك مثلا:

يَئِسَ واسْتَيْأَسَ :

وردت صيغة (يئس) في ثمانية مواطن، منها قوله سبحانه وتعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ"[2].

في حين وردت صيغة (استيأس) في موضعين، منهما قوله تعالى:"حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا "[3].

وقد ذكرت الصيغتان في سورة (يوسف)، فلاشك أنّ أحسن القصص به أدق الألفاظ التي تجلي حسن بلاغته وبيانه .

يمكن القول أن صيغة (يئس) معناها واضح وجليّ، وهو ضد الرجاء كما ذكر (ابن فارس)"[1]، وقد عبّر به في الخطاب القرآني بصور وألوان كثيرة، كيأس الكفار من الآخرة، واليأس من رحمة الله،

---

[1]- (أنظر): نجاة عبد العظيم ، أبنية الأفعال ص 29.

[2]- سورة الممتحنة الآية 13.

[3]- سورة يوسف الآية 110.

ويأس النسوة من المحيض وغير ذلك. أما صيغة (استيأس) فهي مبالغة عن شدّة اليأس الخارج عن طاقة النفس، أو بمعنى الآخر هو توالي حالات الإحباط لمرات عدة إلى درجة بلغت ذروتها، وهذا المعنى أخذ من حروف الزيادة التي دخلت على الأصل من الهمزة والسين والتاء .

وحاصل الأمر أنّ لفظ (استيأس) للاستسلام وفقد الأمل، فمن الأول نذكر على سبيل التوضيح ما حدث مع إخوة يوسف في ترجّيهم له بأن يحسن إليهم ويصفح عن أخيهم الأصغر، ثمّ استعطفوه واستشفّوه بأن له أبا شيخا كبيرا يحبّه ويتسلّى معه وأنه لا يقوى على فراقه..، ثمّ فاوضوه بأن يأخذ أحدهم مكانه فأبى كل ذلك، وحينها "ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ "[2]، وعلموا أنه لا خلاص لأخيهم من العزيز، فجاء التعبير بـ(استيأس) ملاءما لكل محاولاتهم للدلالة على استحكامه في أنفسهم بعد أن صار عفو العزيز أملا مندثرا .

أما المعنى الثاني فقد خصّه بالرسل في دعوتهم إلى توحيد الله بحرص شديد، فقوبل ذلك بإصرارهم أقوامهم واستمساكهم على ما هم عليه من الكفر، فكلما توالت دعوتهم قوبلت بالإصرار على تكذيبهم، وحينها استيأسوا من أن يؤمنوا لهم"[3]. نذكر من ذلك قصة (يونس) عليه السلام مع قومه (نينوى) حين أبوا أن يؤمنوا بما أرسل إليهم به، فخرج مغاضبا مستيئسا من دعوتهم، وأنهم لن يؤمنوا له ..، ولكن أمر الله كان قدرا مفعولا، فقد آمنوا قبل يشرف نزول العذاب بهم "[4]، ولهذا نقول إن الرّسل لا تيأس من ربّها؛ بل تدأب في الدعوة إليه وتضحي لذلك، فلو قلنا:(حتى إذا يئس الرسل)

---

[1]– (أنظر): معجم مقاييس اللغة ج6، ص 153.

[2]– سورة يوسف الآية 80.

[3]– (أنظر): معاني القرآن (النحاس) ج3، ص 461 / الزجّاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج2، ص 93.

[4]– (أنظر): الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج17، ص 130/ الزجّاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج3، ص 310 (الحاشية).

لكان اليأس دالا على استسلام كلي، وأنّ ما يدعون إليه لن يكون، أما (استيأس) فهي تدل على أن اليأس وقع على من يدعونهم وليس على من يدعون إليه، وحاش للرسل أن تكون كذلك .

وتتميما لهذا.. فإنّ استعمال (يئس) قد يكون لمن أصابه اليأس في أمر يريده فاستسلم له، وهو واقع على النفس لأمر فيها، أما صيغة (استيأس) فهي صورة اليأس المتمكن في النفوس لكثرة وقوعه عليها، فهو يصيبها لأمر تطلبه حثيثا من غيرها كالذي رأينا مع إخوة (يوسف) وفي دعوة الرسل .

سَخِرَ واسْتَسْخَرَ:

وردت صيغة (سخر) في الماضي والمضارع، جمعا ومفردا إحدى عشر مرة، منها قوله تعالى: "ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾"[1].

أما (استسخر) فلم ترد إلا مرة واحدة وبصيغة الجمع (يَسۡتَسۡخِرُونَ)، وذلك في قوله عز وجل:" وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ "[2].

يقول الصابوني: (فَيَسۡخَرُون مِنۡهُمۡ) أي: "يعيبون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيهزءون منهم "[3].

ويقول (الفخر الرازي) في الآية الثانية (يَسۡتَسۡخِرُونَ): "واعلم أنّ أكثر الناس لم يقفوا على هذه الحقائق، فوجب أن يكون المراد من قوله: (يَسۡتَسۡخِرُونَ) غير ما تقدّم ذكره من قوله: (ويَسخرُونَ)،

[1]– سورة التوبة الآية 79.

[2]– سورة الصافات الآية 13–14.

[3]– صفوة التفاسير ج1، ص 552.

فقال هذا القائل المراد من قوله (ويسخرون) إقدامهم على السخرية، والمراد من قوله (يَسْتَسْخِرُونَ) طلب كل واحد منهم من صاحبه أن يقدم على السخرية "[1].

ويمكن الإلتفات إلى السياق للتوضيح والبحث أكثر عن سرّ توظيف الصيغتين، فقوله تعالى: (مِنْهُمْ فَيَسْخَرُونَ) أي: سخرية المنافقين لما يتصدق به المسلمون في سبيل الله، فيقولون: إنّ الله غني عن صدقة هذا، وهم يعيبون ويستهزئون بغية إحراجهم "[2]. أما صيغة (يَسْتَسْخِرُونَ) فهي السخرية المبالغ فيها التي استحثتها الكفّار والمنافقون عن بعضهم البعض لما كانت تأتيهم الآيات من الرسول الكريم منذرة لهم فيستهزئون بها أيّما استهزاء، وتحديدا كانت بعد تذكيرهم بأنّ هناك بعث ونشور من بعد الموت لتجزى كل نفس ما كسبت، فقالوا بسؤال مليء بالسخرية "أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ "[3]. فاتخذوا هذا الأمر سخريا بينهم، لأن عقولهم لم تقو على تقبّل ما يسمعون، والتعبير بلفظ (يَسْتَسْخِرُونَ) تجسيد لحالتهم حينها وهم يبالغون في الضحك والاستهزاء، ولهذا لم يكن من الدقة التعبير عن سخريتهم الشديدة بـ(يسخرون)؛ بل الأدق هو ما جاءت عليه في الأصل. ومن زاوية أخرى نجدها (السخرية) ترافق معنى معجزة البعث، فعدم قدرتهم على تقبلها جعلهم يسخرون بما يتلوه عليهم النبي الكريم من أهوالها، فقالوا: أساطير الأولين أو ضرب من

[1]– (أنظر): سر الإعجاز في تنوع الصيغ (منيع القيسي) ص 78

[2]– (أنظر) الزجّاج ، تهذيب معاني القرآن و إعرابه ج2، ص 368.

[3]– سورة الصافات الآية 16.

الخرافات، ولو قيل (يسخرون) لكان ملائما لكن في غير هذه المعجزة، لأن صيغة (استسخر) أوّل ما دلّت عليه هي سخريتهم بما أملاه عليهم من أمور البعث، لا على سخريتهم منه .

ولعلنا ننهي القول أنّ صيغة (سخر) هي ما يقوم به الإنسان على غيره كالإعابة والاستهتار والاستهزاء، أما صيغة (استسخر) فهي لا تكون إلا من وراء دافع حتميّ لها لكونها قمة الاستهزاء والسخرية من الشيء، أو عظم الأمر المستهزَء منه –والله أعلم–

المبحث الثاني

معاني الثلاثي المزيد بحرف فأكثر

- الثلاثي المزيد بحرف فأكثر
- الفعل الثلاثي المزيد بحرف

2 – معاني الثلاثي المزيد بحرف فأكثر:

2-1- الفعل الثلاثي المزيد بحرف:

تعددت أبنية الفعل الثلاثي المزيد بحرف، فقد يصاغ من الفعل الواحد أكثر من وزن نحو: (فَاعَلَ) و(أَفْعَلَ) و(فَعَّلَ)...، وكلها تختص بدلالات متفاوتة ضبطت لها صرفيا.

ومن أمثلة ذلك في الخطاب القرآني نذكر:

أَنْزَلَ ونَزَّلَ :

يعدّ الفعلان (أنزل) و(نزّل) من أكثر الأفعال ذكرا في القرآن الكريم، كما أن كلاهما ينفرد بدلالة خاصة في البناء والسياق، فصيغة (أفعل) لها دلالات كثيرة كـ"التعريض والتعدية والصيرورة والسلب والتمكين" ، وقد ذكر لها "أبو حيان التوحيدي" في (البحر المحيط) أكثر من عشرين معنى"[1]. أما صيغة (فَعَّلَ) فمعظم معاني أبنيتها تصب في باب الكثرة والشدة والتعدية غالبا "[2]، كما ذكروا أنها تشارك صيغة (أَفْعَل) في معنيين: "أولهما (التعدية)، تقول: قوّمت زيدا وقعّدته، والآخر (الإزالة)، تقول: جرّبت البعير، وقشّرت الفاكهة، أي: أزلت جرب البعير، وأزلت قشرة الفاكهة"[3].

وأجمل دلالات (أنزل) و(نزّل) نستأنس بها داخل سياق واحد، في قوله تعالى:" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن

[1]– يوسف الهنداوي ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ص 121–122.

[2]– (أنظر): عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ص 38.

[3]– (أنظر): الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ص 50.

قَبْلُ "[1]، وفي قوله أيضا: "الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣"[2]. فورود كل من الصيغتين يدل على وجود فروق دلالية بينهما، وإلا توجّب ذكرهما ببناء واحد.

إن الملاحظ من الآيتين الكريمتين أنه خصّ الفعل (نزّل) في حديثه عن القرآن الكريم، والفعل (أنزل) في الحديث عن التوراة والإنجيل، وذلك إثبات لقوة هذا الكتاب التي ترى في كل جانب منه ..، من ذلك مناسبة نزوله منجّما على فترة زمنية امتدت ثلاثة وعشرين سنة، بخلاف التوراة والإنجيل الذين أنزلا دفعة واحدة "[3].

جاء في (التحرير والتنوير) أن "العذول عن التعدية بالهمز إلى التعدية بالتضعيف لقصد ما عهد في التضعيف من تقوية معنى الفعل، فيكون قوله "نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ"، أهم من قوله: "وأنزل التوراة" للدلالة على عظم شأن نزول القرآن "[4].

ومن خلال السياقات المتنوعة لصيغة (نزّل) نجد أن قوّتها وشدّتها لم تختص بالكتاب العزيز فحسب؛ بل اقترن ذكرها بأشياء أخرى تومئ بأنها :

* جاءت لتعبر على كل ما هو أقوى وأشد من (أنزل) .

* أنها تدل غالبا على ما هو معنوي ، خلافا لـ(أفعل) التي ارتبطت بالمحسوس في مواضع عدة.

---

[1]– سورة النساء الآية 136.

[2]– سورة آل عمران الآية 1–2–3.

[3]– (أسامة عبد العزيز جاب الله)، جمالية التلوين الصوتي / عالم الكتب الحديث (الأردن) / الطبعة الأولى سنة 2013 / ص 182.

[4]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 147–148.

فمن دلالة المحسوس نذكر قوله تعالى:" وَقَالُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْه مَلَكُ"[1] أي: ملك نشاهده ويخبرنا بصدقه"[2]، وإن كان ذلك طلبا للتعنث والمعاندة، أوظنّا منهم بتعجيزه "صلى الله عليه وسلّم"، والله أعلم بما تخفي صدورهم .

ونبقى مع دلالات (أنزل) بذكر ما جاء في قوله تعالى: "فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ "[3]، وفي قوله أيضا: وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ"[4]، أي: أوجدناها لكم وأنتم ترونها"[5]، وفي سورة الأعراف مثلا:" قَالُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْه مَلَكُ". ولما استحال عليهم ذلك قالوا:" لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْه ءَايَةُ مّن رَبّه"[6]، وكذلك في آيات نزول المطر من السماء، وفي نزول العذاب على الكافرين..، فلا ريب أنها تدلّ على المحسوس.

أما الفعل (نزّل) فدلالة الشدة بيّنة في كل سياق، قال تعالى:" "قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ "[7]، وكذلك في قوله:"وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ "[8]، ففي كلا الموضعين كان فعل التنزيل معنويا.

---

[1]– سورة الأعراف الآية 9.

[2]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج7، ص 144.

[3]– سورة البقرة الآية 59.

[4]– سورة البقرة الآية 57.

[5]– (أنظر) عبد السلام هارون، معجم ألفاظ القرآن الكريم ص 1090.

[6]– سورة الأنعام الآية 38.

[7]– سورة البقرة الآية 97.

[8]– سورة محمد الآية 20.

أما الوقوف على دلالة التنزيل في قوله تعالى: "وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ "[1]، وفي قوله: "**وَأَنزَلَ منَ السَّمَآءِ مَآءً**"[2] يثبت بعضا مما نقول، فورود صيغة (نزّل) مصاحبة للغيث و(أنزل) مصاحبة لنزول الماء له دلالاته..، فلاشك أنّ القوة تكون مع الغيث الذي به النفع، فهو الحيا النّازل من السماء"[3]، الذي يحيي الأرض والخلق الذين يركبون ظهرها..، أمّا الماء فقد يكون غضبا كالطوفان الذي كان مع قوم سيدنا (نوح) عليه السلام، ومع سيدنا (موسى) عليه السلام وبني إسرائيل .

وتتميما لهذا نقول: إنّ صيغة (نَزَّلَ) جاءت لمعاني كثيرة أبرزها "التدرج والتكثير والاهتمام والمبالغة "[4]، أما صيغة (أَنْزَل) فدلّت على ما هو دون ذلك في "القوة والشدة" .

أنبأ ونبّأ:

ورد لفظ (نبأ) في الذكر الحكيم بأبنية مختلفة، وفي أزمنة متعددة، منها مجيئه مضاعف العين نحو:(نبّأ)، كما ورد في مواضع أخرى متعديا بالهمز نحو:(أنبأ). فلا شك أن في اختلاف البنائين دليل على اختلاف المعنى أيضا .

يقول (ابن فارس): "النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان..، ومن هذا القياس النّبأ: الخبر، لأنه يأتي من مكان إلى مكان.."[5].

وردت صيغة (أنبأ) في أربع مواطن، نذكر منها قوله تعالى:"قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ

---

[1]– سورة لقمان الآية 34.

[2]– سورة البقرة الآية 63.

[3]– ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ج4، ص 403.

[4]– فاضل السامرائي (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) /دار عماد للنشر والتوزيع (عمان) الطبعة الثامنة سنة 2013/ ص 68.

[5]– معجم مقاييس اللغة، ج5، ص 385.

أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ "[1].

أما صيغة (نبّأ) فذكرت في أكثر من موضع، منها قوله تعالى:"قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِ "[2]، وفي قوله أيضا: "قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ "[3].

قد لا تتجلى الفروق الدلالية بين الصيغتين ولا نرى سوى تعلقهما بالإخبار، فما إن تعمقنا أكثر إلا وتظهر بعض الخيوط الرفيعة المتميزة عن سبيقاتها والتي يمكن الإهتداء بها إلى هذه الحقيقة الدلالية، فمثلا ورود التعبير بالصيغتين في سورة التحريم يثبت تفرد كل منهما بدلالة خاصة أضحت فارقا بينهما. قال تعالى: "قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ "[4].

تحكي الآية الكريمة واقعة دارت بين النبي "صلى الله عليه وسلم" وزوجتيه "حفصة" و"عائشة" رضي الله عنهما، حين أسرّ إلى "حفصة" سرّا وأفشت به إلى "عائشة"، فعلم النبي "صلى الله عليه وسلم" بوحي من الله ما فعلت "حفصة" وما كان ذلك إلا لغرض جليل"[5].

وكون دلالة الفعلين أهم مطالبنا في هذه الآية الكريمة، فإنه لا يؤخذ بالمقصد والمبتغى إلا بالتمعن أكثر في السياق باعتباره الشفرة الهامة في ذلك، فالآية الكريمة سبّق فيها الفعل (أنبأ) عن

[1]– سورة البقرة الآية 33.

[2]– سورة يوسف الآية 37.

[3]– سورة التوبة الآية 94.

[4]– سورة التحريم الآية 3.

[5]–(أنظر): الطاهر بن عاشور، لتحرير والتنوير ج28، ص 351.

(نبّأ) ولم يسوّ بينهما في البناء؛ لأن كل متعلق خُصّ بما هو له أولى من الآخر، فلو عدنا إلى استفسار (حفصة) نجد أنها لم تقل (من نبّأك)، بل (من أنبأك) لأنه خطر ببالها أن تكون (عائشة) هي من أفشت له سرّ ما أخبرتها به، فكان السؤال ينطوي على الظن وعدم الثبوت"[1]، ثم ردّ "النبي صلى الله عليه وسلمّ بـ(نبّأني) دون (أنبأني)، لأن النبأ كان وحيا من لدن عليم خبير، ولو كان من عند بشر أو كما ظنّت لاقتضى السياق الجواب بـ(أنبأني) وإنما حمل السياق على الصيغتين حتى نميّز ونفرّق بين أنباء عالم الغيب وأنباء الخلق..، ومنه يمكن الإشارة إلى أنّ:

* الفعل (نبّأ) أفاد اليقين دون الشك أو الظن (اليقين القاطع) .

* دّل على عظم النبأ المخبر عنه، وأنه لا يستطيع أحد من البشر معرفته لتعلقه بالغيب .

* تعلّق (نبّأ) بالمولى عز وجل، وهو يصطفيه على من يشاء من عباده، فقد يكون (وحيا) كما كان مع النبي "صلى الله عليه وسلم"، أو (تأويلا) كالذي علمّه الله سيدنا (يوسف) عليه السلام، وقد يكون (علما) كالذي آتاه (الخضر) .

إنّ المتأمّل في سورة (يوسف) يجدها ممتلئة الجوانب بصيغة (نبّأ)، كقوله لصاحبيه في السجن: "لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ"[2]، وقال في موضع آخر أيضا: "وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ "[2]، ففي كلتا الآيتين وردت صيغة (نَبَّأَ) دالة على يقين الخبر (التأويل) لأنه من لدن عليم خبير، وقد صحّ ذلك على لسان سيدنا

[1]– (أنظر): منيع القيسي ، سر الإعجاز في تنوع الصيغ ص 115.

[2]– سورة يوسف الآية 36.

(يوسف) عليه السلام في قوله: "رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ "[1].

ومن هذا.. قصة سيدنا (موسى) مع (الخضر) حينما صاحبه وأخذ يكثر عليه السؤال، فقال له في منتهى أمرهما وفراقهما: " سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا [2]، ذلك أنّ كل ما قام به (الخضر) نبّأه به الله تعالى لينبّأ به هو الآخر سيّدنا (موسى) عليه السلام ممتحنا به صبره، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، فكيف لـ(الخضر) أن يعلم حكمة تلك المسائل الغيبية كلها .

تتميما لهذا..نقول إنّ صيغة (أنبأ) يختلف مضمونها عن مضمون صيغة (نبّأ) فدلالة الاول امتزجت بين الشك واليقين، أما دلالة الثانية فهي اليقين عينه، ولم يتعلق في القرآن إلا بالخالق سبحانه وتعالى، ولذلك فالعذول في بعض الخطابات من صيغة (أنبأ) إلى صيغة (نبّأ) يكون فيما "هو أبلغ تنبيها على تحقيقه وكونه من قبل الله "[3]، أي: يدل على ما هو أشد خبرا ومخبرا .

أنجى ونجّى:

ورد الفعل (نجى) في القرآن الكريم مزيدا ومضعّفا في أكثر موطن، وأصل علته الألف (نجأ) وزن (فَعَلَ)"[4]، وقد جاء رسم الفعل بألف المدّ في سورة (يوسف) من قوله تعالى: "وَقَالَ الذي نَجَا منْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُمْ بتَأْويله فَأَرْسلُون"[5].

---

[1]– سورة يوسف الآية 101.

[2]– سورة الكهف الآية 78.

[3]– (أنظر): منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ ص 116.

[4]– (أنظر): نجاة عبد العظيم ، أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، ص 25.

[5]– سورة يوسف الآية 45.

وبهذه الأبنية ورد الفعل في القرآن الكريم، فجاء مزيدا بالهمزة نحو قوله تعالى:"اذْكُرُواْ نعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ أَنجَاكُم مّنْ ءَال فرْعَوْنَ "[1]، كما جاء في سياقات أخرى مضعّف العين كقوله تعالى: "فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ "[2].

ذكر (الخطيب الإسكافي) في "ذرة التنزيل" أنّ (أفعل) هي أصل الباب، و(فَعَّلَ) فرع فيه مثل: فزع، فزّعته، وخاف وخوّفته، وأنّ أكثر الذي جاء في الخطاب القرآني كان (أنجى) على (أفعل)، وأنّ العذول منها إلى صيغة (فَعَّلَ) كان بسبب تكرار (أنجى)، وهذا أشبه بطريقة الفصحاء وعادة البلغاء"[3].

إن كانت صيغة (أفعل) هي أصل الباب كما ذكر (الإسكافي) فهذا يحتمل الصحة، أما كونه أكثر ذكرا من صيغة (نجّى) فهذا غير وارد، فصيغة (نجّى) فاقت (أنجى) بخمس عشرة مرة، كما أن كلامه في العذول عن تكرار (أفعل) وترجيح السياقات بصيغة (أنجى) تارة وبـ(نجّى) تارة أخرى لكثرة ورود الأولى قد لا يكون كذلك، وسنعرض بعد الفروق الدلالية التي تقبع وراء هذا التنوع، فاليقين كل اليقين أن المعنى هو من يحدد الألفاظ الدالة عليه.

جمع التعبير القرآني بين صيغة (أنجى) و(نجّى) في أكثر من سياق، وذلك كتأكيد على وجود تفاوت دلالي بينهما، فقال في سورة البقرة: "وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مّنْ ءَال فرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَاب

[1]– سورة إبراهيم الآية 6.

[2]– سورة العنكبوت الآية 65.

[3]– منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ ، ص118.

يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلآءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (50)"[1]، فالآية تحكي منّ الخالق وفضله الكبير على (بني إسرائيل) حينما نجّاهم من تذبيح أبناءهم واستحياء نساءهم على يد (آل فرعون)، فقابل الفعل (ذَبَّحَ) بـ(نجّى) لما فيهما من الشدة، في حين ذكر (أنجى) لما كان شكل العذاب مختلفا أو يقل عما كان في صفة التذبيح والتقتيل، "فجعل نجاتهم في البحر أمرا آخر غير سوء العذاب "[2] الذي عبّر عنه في بداية السياق.

يقول الدكتور (السامرائي): "فإنه لما كانت النجاة من البحر لم تستغرق وقتا طويلا ولا مكثا استعمل (أنجى)، بخلاف البقاء مع (آل فرعون) فإنه استغرق وقتا طويلا "[3]. فدلالة الإسراع التي جاء بها الفعل (أنجى) تبقى أحد مزاياه في سياقاته المتنوعة كقوله: "وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ "[4]. ولكون أكثر الظن في القرآن هو اليقين، حمل السياق التعبير بـ(أنجيتنا) لأنهم تيقنوا أنهم من المغرقين بعد أن اشتدت الريح وتعالت عليهم الأمواج من كل جانب، فكان طلبهم هو الإسراع في النجاة وإلا فالهلاك موعدهم .

---

[1]– سورة البقرة الآية 49– 50.

[2]– معاني القرآن (للفراء)، ج2، ص 68–69.

[3]– فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص 75.

[4]– سورة يونس الآية 22–23.

وما يجلب الانتباه أيضا أن الفعل (أنجى) ورد في سياق مفصل تتشابك فيه الأحداث كما رأينا في الآية السابقة، فقد ذكر السياق ركوبهم الفلك، ثم جاءتهم رياح كما يشتهونها، ثم انقلبت ريحا عاصفا تأتي عليهم بالأمواج من كلّ جانب، وحين شعورهم بالهلاك دعوا الله بإخلاص لينجيهم مما هم عليهم، لينتهي الأمر بنجاتهم كما ورد في آخر السياق .

أما في قوله تعالى :"فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾[1]، نجد أن المقام لم يكن مفصلا كالمقام السابق من سورة (يونس)، فالتعبير فيها ورد بصيغ المبالغة (نجّاهم) و(نجّاكم) للدلالة على رحمة الله لعباده وتصوير مدى شدة الكرب العظيم الذي كان سيصيبهم وليس في سرعة إغاثتهم منه، لأنّ النّجاة جاءت بعد هول شديد وفزع كبير، وبناء (فعّلهم) و(فعلّكم) لهما وقعهما الدلالي في وصف ذلك الجزع .

ويتضح من الآيات الكريمة أن حمل السياق على التعبير بـ(نجّى- نجّاكم-نجّاهم-نجّينا-نجيناه-نجّيناكم) كان نجاة من هلاك محقق أو عذاب شديد كالغرق أو التذبيح أو خصف الأرض..، أما ارتباط معانيه بـ(أنجى– أنجاكم- أنجاهم –أنجينا – أنجيناه –أنجيناكم) فلأنها مقامات ومواضع أكثر تفصيلا انتهت بسرعة إغاثتهم وإنجائهم كالذي حدث مع سيدنا (إبراهيم) عليه السلام حين رماه قومه في النار لما فعله بآلهتهم "فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ "[2]،.. فكأنهم لما بالغوا في تعذيبهم له اقتضى

[1]– سورة الإسراء الآية 67.

[2]– سورة العنكبوت الآية 24.

ذلك الإسراع في إنجاءه.

وجلي هذا المعنى في سياق قصة سيدنا (نوح) مع قومه حينما أصروا على ما هم عليه من الكفر والتكذيب، فقال الله عزّ وجلّ: (نجّني) ومن آمن معي، فكانت الاستجابة حينا ولم تطل، قال تعالى: "(فأنجيناه) ومن معه في الفلك " .

وانتهاءا بهذا.. نقول أن لكل فعل دلالة خاصة تلاءمت مع باقي ألفاظ السياق وشكّلت فيه جوّا بلاغيا دقيقا ، اختلف مدلول السرعة فيه عن مدلول الشدّة والقوة .

2-2- معاني صيغ الثلاثي المزيد بحرف فأكثر:

صيغ الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف:

لقد أشرنا سابقا إلى أهم صيغ الثلاثي المزيد بحرف وكيف يتم لها من زيادة المعاني بعد الزيادة في بناءها الأصلي، أما المزيد بحرفين فله خمسة أبنية ذُكرَ منها أربعة في محكم التنزيل، وهي: (إِنْفَعَل) نحو :انفجر، و(افْتَعَل) نحو :استبق ، و(تَفاعَلَ) نحو: تبارك، و(تَفَعَّل) نحو: تبرّأ "[1].

أما الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف فله في لغة العرب أربعة أوزان تبدأ جميعها بهمزة الوصل وهي:

*(استفعل) بزيادة الهمزة والسين والتاء مثل: (استغفر).

*(افعوعل) بزيادة الهمزة والواو وتضعيف العين مثل: (اغرورق).

*(افعوّل) بزيادة الهمزة والواو المضعفة مثل: (اجلوذّ).

[1]– (أنظر): نجاة عبد العظيم ، أبنية الأفعال (دراسة لغوية قرآنية) ص 27–28.

*(افعالّ) بزيادة الهمزة والألف وتضعيف اللام مثل: (اصفارّ)"[1].

أما الذكر الحكيم فلم ترد فيه إلا صيغة واحدة وهي (استفعل)، وذكر في سياقاته واحد وسبعون أصلا لغويا بهذا الوزن، كاستعجل، واستمسك، واستغشى، واستكثر، واسترهب، واستيقن وغيرها.

ومن الصيغ التي تنوعت أوجه الزيادة فيها بأكثر من حرف نذكر مثلا:

بَايَعَ وتَبَايَعَ :

يعود أصل الفعلين إلى الفعل الثلاثي المجرد المعتل (أجوف) (بَاعَ)، وفاعله (بائع)، ومصدره (البيع). يقول (ابن فارس): "الباء والياء والعين أصل واحد، وهو بيع الشيء، وربما سمي الشّري بيعا، والمعنى واحد: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :"لا يبيع أحدكم على بيع أخيه"، وقالوا: معناه لا يشتري على شري أخيه "[2].

ورد الفعل (بايع) في سياق وحيد، وذلك في قوله تعالى:" فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعۡتُم بِهِۦ"[3]. أمّا الفعل (تبايع) فلم يزد ذكره عن ذكر الفعل (بايع)، فقد ورد هو الآخر مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: "وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ"[4].

إن بناء (بايع) على (فاعل) في السياق الأول من قبيل البيع وليس المبايعة ، أي: بمعنى المشاركة

[1]– المصدر السابق ، ص 29 .

[2]– معجم مقاييس اللغة ج2، ص 328 / (أنظر) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ج2 ، ص 280.

[3]– سورة التوبة، الآية 111.

[4]– سورة البقرة الآية 282.

في البيع، وقد ورد بصفة أبلغ فيه، فالله اشترى من المؤمنين أنفسهم؛ بل وأموالهم..، وهو شراء غير معهود، فهل تشترى الأموال بالأموال ؟. إنه قمة التعبير البلاغي في آياته النيرة، فقد باع المؤمنون أنفسهم وأموالهم بثمن لا يقدّر، إنها الجنة التي تجري من تحتها الأنهار، ويطوف عليهم فيها الغلمان، فيها الفاكهة والأب، والعصف والحب، بل فيها كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.. فأي بيع هذا .؟!!

أما الفعل (تبايع) فجاء وزنه على (تفاعل) نحو تقاتل وتضارب وتجادل..، وأكثر الذي ذكروه أنه يدل على معنى التشارك أو المشاركة"[1]. وكذلك دلالة (فاعل) في (بايع) فهي تدل على المشاركة بين طرفي المفاعلة والفاعلية أيضا، غير أن الفرق في ذلك أنّ المشاركة في (فاعل) يكون أحد طرفيها فاعلا والآخر مفعولا، ونسبة الفعل إلى المفعول تكون ضمنية غالبا، أما المشاركة في (تفاعل) فالفعل فيها ينسب إلى أكثر من فاعل صريح.."[2].

ومن الجماليات الدلالية التي يصنعها كل لفظ نجد أن (بايع) جاءت تحمل معنى خاصا، ذلك لأن طرفي البيع فيها مختلفان، أحدهما بشر والثاني، هو الخالق سبحانه وتعالى، كما أنّ البيع فيها معنوي لا يقدر بثمن ولا يلمس فيه مقابل بعد تمام صفقة البيع حينا؛ بل دوّن في التبايع تأجيل الدفع إلى جنات الفردوس وذلك بعد تقدير ثمنها المستحق، لأنّ البضاعة التي اشتريت هي البائع نفسه (المؤمن) وما لديه (ماله) ، فأي مقابل سيكون له !!؟ .

أما صيغة (تبايع)، فعملية البيع فيها حقيقية بين البشر في كل ما يتعاملون به بينهم في حياتهم

[1]– (أنظر): سليمان فياض، الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية / دار المريخ للنشر والتوزيع (الرياض) / سنة الطبع 1990/ ص 91.
[2]– خليل الزروق ، الخلاصة في الرسم والصرف ص 51.

بالمقابل، خلافا للفعل (بايع) الذي لا يمكن الموازنة بين طرفيه كما لا يمكن تقدير المقابل المادّي الذي سيلقاه البائع، وهذا ما يرجّح القول أنّ (بايع) دلالته أقوى من (تبايع)، لأنّ فيها لغزا مشوقا لا يعرف في هذه الحياة، فبشرى لمن باع نفسه الله تعالى، ونعم البيع هذا .

أَشْهَدَ واسْتَشْهَد:

يتفرع الفعلين عن أصل لغوي واحد هو (شَهدَ) وزن (فعِلَ) -بكسر العين- كمَرِض وفَرِح وبَطِر..، كما يكون لازما ومتعديا "[1]. ومنه قوله تعالى: "شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ "[2].

يقول (ابن فارس): "الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرنا من ذلك الشهادة..، يقال: شهد يشهد شهادة، والمشهد: محضر الناس"[3]، ويقال للمرأة التي يحضرها زوجها مُشهِد، وجمع مَشهد: مَشاهد، ومنه مشاهد الحج، وهي مواطنه "[4] .

وردت صيغة الأمر في الفعل (أَشْهَدَ) في ثلاثة مواطن، في حين ورد ذكره في الفعل (اسْتَشْهَد) في موطنين، كما أن لهما نفس المدلول الأولي ولكن بصفة جزئية، لأن لكل منهما دلالة خاصة تزيد في احدهما عن الآخر .

ولتقريب الصورة الدلالية للفظين نذكر ورودهما معا في سياق آية المداينة في سورة البقرة ، قال

---

[1]- (أنظر): محفوظ الشنقيطي، وشاح الحرة بإبراز اللامية وتوشيحها ص 16 (ذكر في اللازم "فرح"، والمتعدي "شَرِبَه").

[2]- سورة فصلت الآية 20.

[3]- معجم مقاييس اللغة، ج3، ص 221.

[4]- الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ج3، ص 350.

المولى عزّ وجلّ :"وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ "[1]، ثم أتبع الخطاب في ذات السياق بقوله: "وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ "[2].

وما نظن أن القول بتماثل معنى الصيغتين صحيح، وذلك لورودهما في موضعين مختلفين من سياقها، ولو كانتا بنفس المعنى لكان كافيا التعبير بأحدهما، فهذا لا يعدّ من قبيل التنويع اللفظي وإنما كان امتثالا لدلالات معينة تقف وراء التعبير بهما على هذا النحو.

يقول(الصابوني) في صيغة (اسْتَشْهِدُواْ) أي:" أطلبوا مع الكتابة أن بشهد لكم شاهدان من المسلمين زيادة في التوثقة "[3].

وقال في (أَشْهِدُوا) أي :" أشهدوا على حقكم مطلقا سواء كان البيع ناجزا أو بالدين، لأنه أبعد عن النزاع والاختلاف "[4].

إن التعبير بلفظ (اسْتَشْهِدُواْ) في آية المداينة لما في بناءها من زيادة المعنى، والألف والسين والتاء دليل طلب القيام بها، فالمقام الذي ذكرت فيه مقام إشهاد على الدين بقوله: (إِذا تَدَايَنْتُم بِدِينٍ) فكان واجبا كتابته وتوثيقه وإحضار شهيدين حتى يكون حجة كاملة وقائمة على المدين والدائن، فاستعمل هذا البناء تنبيها على زيادة الحذر والإحتياط ليكون الاكتتاب والإشهاد حماية لهما (الدائن والمدين) من أي عارض، كوقوع خلاف بينهما أو إنكار أحدهما على الآخر أو موته .

---

[1]– سورة البقرة الآية 282.

[2]– سورة البقرة الآية 282.

[3]– صفوة التفاسير، ج1، ص 178.

[4]– نفس المرجع، ج1، ص 178.

أما لفظ (أَشْهِدُوا) فهو صورة للمبايعة الحاضرة بين الناس في غير ما يديرونه بينهم من تجارة، "كبيع العقار والعروض في غير التّجْر، فهي بيع بالتداين، أو آيل إليه كالبيع بدين، أو تناجز في تجارة "[1]. فلم يأت ذكر الشهود ولم يشترط لهم عددا كما في المداينة؛ بل قال: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ من باب الحيطة والندبة في حال ما وقع أمر ما، وقد يكتفي الشاهد بالسمع في شهادته خلافا للشهود في الآية الأولى، فهم جزء منها "[2].

أما كونها (المداينة) جاءت في سياق أكثر تفصيلا فلأنها تحتمل حكم عظيمة، فقد يكون التداين فيه نوع من المشقة على المدين، فأوجب فيها الكتابة والشهادة التامة بالاحتكام إلى كاتب عدل كما في السياق، أما (المبايعة) فسياقها يقل تفصيلا عن سابقه لكون ما فيها أقل خطرا منه، فهي غالبا ما تكون بالتراضي بين طرفيها، مع "وجوب الشهادة كما ذكر أبو "موسى الأشعري" و"ابن عمر" و"أبي سعيد الخدري" وغيرهم .."[3]، وذلك اعتدادا لأي أمر يحلّ بينهما .

وخلاصة هذا.. أنّ كل لفظ تعلق بسياق خاص جاء وفق مقتضى المعنى المقصود، فلمّا كانت المداينة أشد من المبايعة بنيت على الطلب لأنها أولى بطلب الشهادة الموثقة .

أَوْقَد واسْتَوْقَد:

يعود أصل الفعلين إلى جذر لغوي واحد؛ هو (وَقَدَ) أي: أشعل وأضرم. يقول (الفيروز آبادي): "وَقدتِ النار تقد وقدا ووُقوداً ووَقوداً بالفتح..، والوقاد بالكسر، والوقيد الحطب، واستوقدت النار:

[1]– (أنظر): الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج3، ص 116.
[2]– بتصرف– سر الإعجاز في تنوع الصيغ ص 82–83 .
[3]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج3 ، ص 116.

اتّقدت، واستوقدت النار أوقدتها..، ويقال: أوقدت النار اتّقدت وتَوقّدت"[1].

وردت صيغة (أوقد) في موضعين من الكتاب الحكيم، قال تعالى:" كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ "[2]، أما الموضع الثاني جاء بصيغة الأمر وهو في قوله تعالى: "فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا "[3].

أما صيغة (استوقد) فلم ترد إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: "مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ "[4].

ذكر الفعل (أوقد) متعديا بالهمزة على وزن (أفعل) للدلالة على (التعدية)، بجعل فاعل الفعل الثلاثي مفعولا لأفعل، فتقول: أجلست عليا، وأفهمته المسألة، وأريته الهلال طالعا "[5]. وتبقى التعدية أشهر معانيه .

أما لفظ (استوقد) على وزن (استفعل) فللدلالة على طلب الشيء غالبا. يقول (محفوظ الشنقيطي): "ينقل الثلاثي إلى بناء (استفعل) غالبا للدلالة على ثمانية معان أولها: الدلالة على (الطلب) لفظا نحو: استغفر ربه، أي: طلب منه المغفرة، أو تقديرا نحو:"استوقد نارا"، و"استخرجها من وعاء أخيه "[6].

---

[1]– الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ج5، ص 248.

[2]– سورة المائدة الآية 64.

[3]– سورة القصص الآية 38.

[4]– سورة البقرة الآية 17.

[5]– وشاح الحرة بإبراز اللامية وتوشيحها ص 54–55 / (أنظر): نجاة عبد العظيم، أبنية الأفعال ص 155.

[6]– نفس الرجع، ص 57.

وقال (الفراء): "استوقد بمعنى أوقد و يجوز أن يكون استوقدها من غيره، أي: طلبها من غيره"[1].

وانطلاقا من هذا فلابد أن يكون لكل صيغة معنى مقصود تطلّبه منها السياق، فما عساها تكون ؟.

يمكن إيجاد لمحات دالة ترمي بنا إلى اكتشاف بعض النواحي الجمالية التي تستظل تحتها الصيغتين، وأول هذه اللمحات هو حملهما على التشبيه والتمثيل، فقوله (أوقدوا نارا) تمثيل شبّه به حال التهيؤ للحرب والاستعداد لها والحزامة في أمر ما، بحال من يوقد النار لحاجة بها فتنطفئ "[2]؛ أما كثرة الإطفاء فهو دليل على كثرة إيقادها دون وجه عارض أو صعوبة؛ بل أن صاحبها قد لا يستغرق زمنا في إيقادها، فهو يسعّرها في كل زمان ومكان .

أما سياق (استوقد) حملت معانيه على التشبيه التمثيلي (كمثل)، وقد استوقف الدكتور (بَدَوِي طَبانة) على هذه الصورة البلاغية فقال:" كلمة (استوقد ناراً) يتبين فيها حال رجل قد أحاطت به حلكة الظلام وهو يطلب جاهدا نارا تضيء له مسالك السبيل، والسين والتاء يدلان على هذا البحث القوي والطلب الجاد "[3].

وفي تقصّي دلالة لفظ (استوقد) أكثر نلمس تخصيص الكلام بالمنافقين"[4]، الذين تتقلب وتتعدّد وجوههم، فتارة مؤمنين وتارة على أصلهم مع شياطينهم، فضرب الله بهم المثل بذاك الرجل الذي سخّر جهده ليوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله وفرح بها أخذ الله بنورها، وهنالك كان أسفه

---

[1]– معاني القرآن، ج1، ص 101.

[2]– الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ج6، ص 251.

[3]– أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية ص 250.

[4]– (أنظر): الزجّاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج1، ص 49.

كبير على تلك المشقة، وما أصبح عليه من ظلمات فتلك مشقة كبرى..، ولنا أن نتصوّر حال المنافق الذي يفرح لأمر يجهد فيه نفسه فيضيع منه فجأة، ليعلم أن ذلك لم يزده إلا عناء وخسارا لم يجد لهما مخلصا .

ويمكن للفارق الدلالي أن يتضح أكثر بوضع أحد الصيغتين مكان الأخرى، فقولنا مثلا: (أوقد ناراً) لا نجد المعنى فيها دلّ على الصعوبة أو المشقة بقدر ما يدلّ على السهولة في الأمر، وكذلك قولنا: (استوقدوا ناراً)؛ فالمعنى فيها يدل على تباطئهم وصعوبتهم في إيقادها، وهو ما يتنافى مع حقيقة (اليهود) كما جاء في أصل الآية (أَوْقَدُوا نَاراً)، فهم الأسرع في إيقادها من غيرهم لتعلّقهم بها أيّما تعلق، فهي إن صحّ القول جزء من وجودهم .

وبهذا نختم القول أن كل زيادة في المبنى هي لزيادة المعنى .

المبحث الثالث

الرباعي المجرد بين تصوير المعنى وتضعيف الحركة

- التضعيف وأثره في مضاعفة المعنى
- أثر تضعيف المبنى في تصوير الحركة

3- الرباعي المجرد بين تضعيف الحركة وتصوير المعنى:

ورد الفعل الرباعي المجرد في كتب التصريف بثوب مقاسه واحد وهو (فَعْلَلَ)، نحو: دحرج، وطمأن، وزقزق..، أما الزيادة فله منها أبنية كثيرة أبرزها (تَفَعْلَلَ) نحو: تدحرج، و(افْعَنَلَلَ) نحو: احرنجم، و(افعللّ) نحو: اقشعّر وغيرها.."[1].

أمّا القرآن الكريم فلا تصح المقارنة فيه بين الثلاثي المجرد ونظيره الرباعي، فهذا الأخير ذكر له ثمانية أفعال فقط، وهي: "زَحْزَحَ، وحَصْحَصَ، وكَبْكَبَ، ووَسْوَسَ، وعَسْعَسَ، ودَمْدَمَ، وزَلْزَلَ، وبَعْثِر "[2]. وكلها مضاعفة ومكررة بمقطعين متماثلين إلا في صيغة (بَعْثَرَ) .

ذكر علماء اللغة أن ورود الأفعال الرباعية على هذا البناء في النص القرآني إنما هو لمضاعفة أثرها الدلالي داخل السياق، وذلك بتصوير المعنى المقصود حتى يرى وكأنه صورة مرئية يعبّر عنها باللفظ والإيقاع ، وهو ما أطلق عليه مصطلح "البلاغة الصوتية"[3]

وقد عقد "ابن جني" (ت392هـ) لهذه الظاهرة بابا أسماه "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" قال فيه: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع"[4] ، وذلك أن التعبير الصوتي للألفاظ هو جانب آخر مقصود لتقصّي المعنى فيه بأوجه إضافية، فتجليات هذه الظاهرة في القرآن الكريم فتحت كل السبل لتصوير معانيه وتقريبها إلى المحسوس، وهذا أوسع مما ذكره (ابن جني) بكثير .

---

[1]- (أنظر): ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف ص 22.

[2]- نجاة عبد العظيم، أبنية الأفعال، ص 14.

[3]- (محمّد إبراهيم شادي)، البلاغة الصوتية / مؤسسة الرسالة (مصر)/ الطبعة الأولى سنة 1988/ ص09

[4]-(أبو الفتح عثمان بن جني)/ الخصائص / ج2، ص 153.

1-3- أثر تضعيف المبنى في تصوير الحركة :

سبقت الإشارة أنّ من دلالات الرباعي المجرد مضاعفة المعنى بتكرار الحركة، ومن أمثلة ذلك نذكـر:

كُبْكبُوا:

الكاف والباء في فعل (الكبكبة) أصل صحيح يدل على جمع وتجمّع "[1]، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة (فعلل) مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:" فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ"[2]، كما ذكر في سياق آخر بصيغة (كبّ)–بتشديد الباء–وذلك في قوله سبحانه:"فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ "[3].

يمكن القول أن التعبير بأصل واحد وعلى بناءين مختلفين له سرّ دلالي خاص، فإذا كان التشديد في لفظ (كُبَّ) يوحي بالعذاب الذي سيمسّ أشرف مكان في جسد الكافر وهو الوجه؛ فإن لفظ (كُبْكِبُوا) لابد أن تكون له معان أخرى تستظل تحته، فلا يعتقد أن يكون المقصد من هذا البناء هو تكرار المقطع وتضعيفه فحسب؛ بل لوجود دلالة أخرى وهي دلالة المبالغة في شدة الفعل"[4]، وهو ما ذكر (ابن الأثير) قائلا: "فإنّ معنى كُبْكبُوا الكبّ وهو القلب، إلاّ أنه مكرّر المعنى، وإنما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب ؛ لأنه موضع يقتضي ذلك"[5].

---

[1]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج5، ص 124.

[2]– سورة الشعراء الآية 94.

[3]– سورة النمل الآية 90.

4–مشرف الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، ص472 .

5– المثل السائر، ج2، ص 57.

إن اللفظ يوحي بتلك الحركة القوية والعنيفة التي ستطال المجرمين وهم ينكبون على وجوههم أو مناخرهم حتى يستووون في قعرها"[1]، وصياغته على هذا البناء أنسب لتصوير تلك الحركة من جانبها المعنوي والصوتي، فهو يحمل صورة بلاغية وفنية معبّرة لا يمكن التعبير بغيرها فلو قلنا مثلا: (فكبّوا فيها) فإننا لا نرى صورة ذلك السقوط المتوالي ولا الحركة الشديدة العنيفة المتتابعة التي قاربت ملامسة الأعين، وإنما هو تعبير عن معنى العذاب بصورة بلاغية مغايرة مختلفة الدلالة عن اللفظ الأصلي .

أما الجانب الآخر للفظ فهو "محاكاة الصوت للمعنى"، وهو دلالة أخرى استمدها من ذلك القالب الصرفي الذي يلتقي فيه الجرس والإيقاع مع معجم الفعل عن تعمّد وحسن اختيار، وقد أشار الدكتور (عبد الله دراز) في هذا المنحى قائلا :"إن أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره"[2]، وهذا التطابق هو الجمالية الإضافية التي يتلقّاها السامع أو القارئ فتخرج به من حالة التعبير اللفظي إلى حالة التصور الذهني للمعنى .

وإلى جانب هذا نجد أن السياق الذي وردت فيه صيغة (كُبْكِبُوا) جاء مفصّلا في وصف أصحاب جهنم وطريقة حشرهم إليها، وهو ما جعل اللفظ ملائما لتصوير تلك اللوحة الفنية التي امتزج فيها الصوت والحركة والصورة مع الجو العام للسياق، في حين أنه لما كان السياق لا يراد به تلك الحركة عبّر عنه بـ(كُبَّتْ) في سورة النمل، كما أنه لم يكن مقام تفصيل كما في الآية السابقة ؛ بل أنه

[1]– أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية، ص 161.

[2]– (محمد عبد الله دراز)، النبأ العظيم/ دار القلم (الكويت)/ الطبعة السادسة، سنة 1984/ ص 101.

اكتفى بإبراز إهانتهم بطريقة معينة، وهي إسناد الكبّ لأشرف جزء في الإنسان وهو الوجه "[1].

وما يمكن قوله أنّ كل فعل ملائم لغرضه ومواز لمعناه ،وموافق لسياقه "[2]، فالفعل (كَبَّ) مبالغة العذاب جلية فيه، أما في (كُبْكِبُوا) فبلاغته التعبيرية مسّت كل الجوانب لتصوير حركته، وتقريبها إلى ذهن المتلقي أكثر لفظا وصوتا .

زَلْـــزَلَ :

ورد الفعل (زلزل) في القرآن الكريم ثلاث مرات نذكر منها قوله تعالى: "إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا "[3].

وصيغة (زَلْزَلَ) مأخوذة من الفعل (زَلَّ) بمعنى زلق، ومنه قولنا: زللت يا فلان -بالفتح- تزلّ زليلا، وذلك إذا زلّ في منطق أو طين"[4]، ومن ذلك (الزلزلة) وهي "الحركة العنيفة والاضطراب الشديد"[5]. يقول (الزّجاج): "(زلزال الأرض) يعبّر عن حالها إذا حرّكت حركة شديدة "[6]

ورد الفعل لتصوير جوّ رهيب من الشدة الممزوجة بقوة الحركة العنيفة التي تختلط فيها الجبال بالأراضي، والبحار بالسماوات لتصبح كومة واحدة تحت إمرة القادر المقتدر سبحانه، وقد نتصور عظيم هذا الهول من وقع هذا التكرار، فصوت الزاي واللام المتكررين داخل هذا البناء يعطيان وقعا على النفوس والأسماع التي يخترقها فتزيد دقات القلوب، وتتضاعف بتضاعف تلك الزلزلة التي تتصدّع

---

[1]- (محمد إبراهيم شادي)، البلاغة الصوتية ص32.

[2]- نفس المرجع، ص 32.

[3]- سورة الزلزلة الآية 01.

[4]- (إسماعيل بن حماد الجوهري)، تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، ص 405، مادة (زلّ).

[5]- (عائشة عبد الرحمن)، التفسير البياني للقرآن الكريم / دار المعارف (القاهرة)/ الطبعة السادسة (لا توجد السنة)/ ج1، ص 81.

[6]- (أنظر) الزجاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج5، ص 334.

لها طبقات الأرض قبل طبقات الأذن .

إنّ المعنى الأول لصيغة (زلزل) هو لتمام الحركة الرهيبة المساعدة على تصوير عظمة ذلك اليوم، ولو كان التعبير بـ(إِذَا زُلَّتِ الأَرْضُ) فإننا لا نرى تصويرا لتلك لحركة كما في (زلزل)، فهذا الأخير جاء معناه مفعم بها، دالا على قوة وشدة التصدع والارتجاف العظيم الذي يخرجها أثقالها، وهو ما يوحيه التكرار في (زَلْ/زَلَ) الذي جعل من دلالته اللغوية والصوتية صورة فنية تبدوا وكأننا نشاهدها ونحسّها، وكلّ هذا ملائم لمقام الترهيب والتخويف والتحذير من أمر الساعة، لحثّ النفس على مراجعة موازينها.

والملاحظ من هذا أنه لما كان أمر الشدة والقوة والذعر البالغ جزء من معاني اللفظ خرج به الخطاب القرآني من التعبير عن الحسيات إلى التعبير عن كل أمر عظيم يصيب الإنسان، من ذلك قوله:" هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا"[1]؛ ففي الأرض أوحى أنه زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال"[2]، أما في ابتلاء المؤمنين فدلّ على عظيم الأمر الذي أصابهم وهزّ أعماقهم. يقول (الزجاج): "أي في تلك الحال أختبر المؤمنون، ومعنى (وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدًا) أزعجوا إزعاجا شديدا وحُرّكوا "[3].

وقد استعير ذلك الفعل للتعبير عن الشدة التي أصابتهم في غزوة الأحزاب، "وما لقوه يومها من جوع وبرد، ليزيد ابتلائهم وتزيغ أبصارهم وتبلغ قلوبهم الحناجر حينما رأوا جنود المشركين يلتفون بهم

[1]– سورة الأحزاب الآية 11.

[2]– عائشة عبد الرحمان ، التفسير البياني للقرآن الكريم ج1، ص 82.

[3]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج4، ص 164.

من كل جانب، من فوقهم ومن أسفلهم منهم، فظنوا أن الأمر واقع بهم لشدة هذا البلاء وطول مدته. يقول (بن عاشور): "وهنا استعارة لاختلال الحال اختلالا شديدا بحيث تخيّل مضطربة اضطرابا شديدا كاضطراب الأرض..، والمراد بزلزلة المؤمنين شدة الانزعاج والذعر، لأن أحزاب العدو تفوقهم عددا وعدة "[1].

وليس ما هو أقوى من الإعتراف بقمة التعبير القرآني الذي يصور للقارئ والسامع صورا متراكبة "فيردها شاخصة حاضرة في ذهنه"[3]، أو يصير وكأنه جزء من المشهد .

دَمْدَمَ:

يعد الفعل (دَمْدَمَ) من الأفعال التي دل بناءها على تكرار الحركة وازدواجية المعنى فيه صوتا ولفظا، وقد ورد في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى"**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا** ﴿١٤﴾ "[2].

يقول (ابن فارس):"الدال والميم أصل واحد يدل على غشيان الشيء أما الدمدمة فالإهلاك..؛ والدمّاء: حجر اليربوع لأنه يدمه دمّا، أي: يسوّيه تسوية ، ويقال: دمّم عليه القبر، إذا أطبقه"[3]، ومن ذلك قوله تعالى: "(دَمْدَمَ عَلَيْهِمْ) ، أي: أرجف الأرض بهم "[4].

نلاحظ أنه تم إيصال دلالة اللفظ (دمدم) مزدوجة، "إحداهما لغوية وهي الأصلية، أو كما يسميها المعاصرون: (مركزية) أو أساس، والدلالة الأخرى إيحائية، وهي لون من الدلالة الثانوية أحدثها

---

[1]– التحرير والتنوير، ج21، ص 283.

[2]– سورة الشمس الآية 14.

[3]– معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 260.

[4]– ثعلب الكوفي، معاني القرآن، ص 231.

إيقاع اللفظة "[1].

ورد بناء الفعل بمقطعين متماثلين هما (دمْ/دَمَ) وذلك لإشعار المتلقي بالقصف المدوي الذي أصاب قرية ثمود، وبتصوير مدى قوته وشدته ودماره، وكل هذه الدلالات التي صاحبت المعنى اللغوي للفعل "صعّدت استشعار الشدة والغضب في تصوير هذه العقوبة الإلهية العادلة بمن لم يرع الله حرمته"[2].

من الواضح أن التكرار الصوتي للفعل لم يرد به تعبيرا شكليا، وإنما لأبعاد دلالية معمّقة، وقد نستبدل صيغة (دمدم) بـ(دمّ) لرؤية ذلك الفرق الدلالي، فنرى أن المعنى فيهما واحد، غير أن التكرار في (دَمْدَمَ) له جمالية إضافية تكمن في قوة تصويره لمشهد العذاب ممزوجا بصوت ذلك القصف الذي سوّى منازلهم ، وكل هذه الدلالات يفتقدها التعبير بـ(دمّ) .

ويبقى هذا من جديد لغة القرآن التي "أبرزت مدى ارتباط المبنى بالمعنى قوة وضعفا، جمالا وقبحا "[3]، وأنها لم تعد مجرد ألفاظ مركبة كالتي تعارفت عليها العرب؛ وإنما وظفت "بمدلولات خاصة ومعاني معينة"[4] تستجيب لها المسامع قبل أن تسيقنها القلوب، فنرى الواحد منا تارة ينبسط وتارة ينقبض، ومرة ينبهج ومرة ينزعج، وحينها نعلم لم كانت تصفه ألسنة الكفر بأن له حلاوة وعليه طلاوة.

---

[1]– (محمد داوود) الإعجاز البياني في القرآن الكريم / دار جياد للنشر والتوزيع ،(الجزائر) / الطبعة الأولى سنة 2013 / ص 62.

[2]– نفس المرجع، ص 62.

[3]– عبد الله دراز، النبأ العظيم ص 131.

[4]– محمّد سالم مكرم، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني ص 05.

2-3- التضعيف في المبنى و أثره في مضاعفة المعنى:

بعد تطرّقنا للأفعال الدالة على تصوير الحركة، نذكر قسما آخر من الأفعال الدالة على مضاعفة المعنى، أو زيادة معنى آخر إلى جانب المعنى الأول نحو:

حَصْحَصَ:

يعد الفعل (حصحص) من الأفعال قليلة الذكر في تعابير القرآن الكريم، وقد جاء ورد في سياق واحد، وذلك في قوله تعالى: " قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ "[1].

(حصحص) هو مضاعف (حصّ) يقال: "رجل أحصّ" بَيِّنُ الحصص، أي قليل شعر الرأس..، وأحصصت الرجل: أعطيته نصيبه، وحصحص الشيء بان وظهر، ومنه الحصحصة: وهي تحريك في الشيء حتى يستمكن ويستقر فيه.."[2]، ومن ذلك قولهم حصحص الرجل: إذا بالغ في أمره"[3]، ومنه قوله تعالى في الآية السابقة :"(الآن حَصْحَصَ الحَقُّ)، أي: اتضح الحق فيها وتبين"[4].

أفرد هذا الفعل في سياق خاص من قصة سيدنا (يوسف) عليه السلام ، حاملا لنا معه أنواع البلاء وضروب المحن والشدائد التي لقيها في قصر عزيز مصر من زوجته، ومن تآمر النسوة عليه، وفي سجنه لسنوات..، إلى أن نجّاه الله من ذلك الضيق وبرّئه من كل ما نسب إليه، وكل هذا نلمسه من ذلك الاستسلام الذي أعلنته امرأة العزيز وأقرّت فيه ضعفها، إنها صورة نرى فيها الوجه شاحبا،

---

[1]- سورة يوسف الآية 51.

[2]- ابن دريد ، تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، ص 1032-1033 مادة (حَصَصَ).

[3]- (ثعلب الكوفي)، معاني القرآن ص 104.

[4]- (أنظر): أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، ص 314.

والجسد ضعيفا وقد أعيته تلك المكائد التي كانت تكيدها، إنها حقائق طالت لسنوات وحانت ساعة الإعتراف أمام الملإ أنه (حصحص الحق) ولم يعد هناك طعم في كتمه، وأنها في كل أمر مضى كذبت، وهو من الصادقين .

إن الصورة التي رسمها لفظ (حَصْحَصَ) مع الجو العام للسياق تبقى وليدة التضعيف فيه لفظا وصوتا، فهي تبرز صورة اعتراف المذنب في جسد بدا عليه الضعف من كل جانب وهو يدلي بحقائق كثيرة متوالية ومتتابعة لتظهر في نهايتها بأبلغ تعبير يجسّد شخصية المعترف بذنبه في أضعف حالاته البدنية والنفسية .

والخطاب القرآني في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد وأمسها رحمة بالمعنى المراد"[1]، وهو ما لا يمكن تجاهله في هذا السياق، فمن غير الصدفة التعبير بـ(حصحص) بدل (حصّ)، فهذا الأخير دلالته الصوتية الناتجة عن التشديد كافية لإبراز معنى المبالغة فيه، لكنه لم يكن ليلاءم مقام اعتراف المذنب بذنبه باللفظ والصورة، وهذا لكون التشديد ذا قوة صوتية إضافية تزيد من نبرته (المعترف)، وهنا يكون أقرب لدرء التهم عن نفسه لا على الإعتراف بها.

عَسْعَس:

ذكر الفعل المضاعف (عَسْعَسَ) مرة واحدة في الخطاب القرآني، وذلك في قوله تعالى: "وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ"[2].

يقول (الفراء): "اجتمع المفسرون على أنّ معنى (عَسْعَسَ) أدبر، وكان بعض أصحابنا يزعم أنّ

[1]– محمّد عبد الله درّاز، النبأ العظيم ص 92.

[2]– سورة التكوير الآية 17.

(عَسْعَسَ) دنا من أوله وأظلم "[1].

إن ما أوردته كتب التفسير عن لفظ (عَسْعَسَ) لا يستقرّ عند معناه عند حدّ واحد، فهولا يثبت على إدبار الليل كما ذكر (الفراء)، فقد روى (مجاهد) عن (ابن عباس) أنه بمعنى أقبل بظلامه ، كما روي منه عن (ابن عباس) أيضا أنه أدبر ظلامه. وقال (ابن عطية):" قال (المبّرد) أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معاً، وهو قول (الخليل) أيضا "[2].

ولم يختلف حال اللغويين عن حال المفسرين في وقوفهم على معنى ثابت للفظ (عَسْعَسَ)، وهذا لكون ضبط معاني مفردات اللغة المنطلق الأول لفهم وتفسير آيات الكتاب المنير. فنجد (ابن فارس) يردّ ذلك أن اللفظ يعود معناه إلى أصلين قائلا :"العين والسين أصلان متقاربان، أحدهما الدنوّ من الشيء والثاني خفة في الشيء، فالأول العسّ بالليل كأن فيه بعض الطلب..، ويقال: عسَّ يَعُسّ عسّاً، وبه سمي العسعس الذي يطوف للسلطان بالليل، والعسّاس الذئب، وذلك بأنه يعسّ بالليل، وأما الأصل الآخر فيقال إنّ العسّ خفة في الطعام، يقال: عسعست أصحابي إذا أطعمتهم طعاما خفيفا.."[3].

ومهما بلغ اختلاف العلماء في وقوف على حدّ المعنى الواحد، إلا أن الجانب الآخر لصيغة (عسعس) في تركيبتها اللغوية والصوتية يوحي بمعنى بليغ تطفوا عليه صبغة دلالية أكثر قوة، فكون اللفظ مثلا دالا على إقبال الليل فإننا نرى فيه ذلك الانتشار السريع الذي تصنعه ظلمة الليل في كل

---

[1]– الفرّاء ، معاني القرآن ، ج3، ص 242.

[2]– (أنظر): الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص 154.

[3]– معجم مقاييس اللغة، ج4، ص 43.

مكان، ليخلق بعدها جوا من الهدوء والانسياب التام الذي لا يرى فيه غير السواد، وكأنه رجل يهمس بخطاه حول أهله وقد تغشاهم النوم، فيشغل حواسه خوفا عليهم من الأذى .

وكذلك التقطيع الصوتي في (عَسْ/عَسْ)، فجرسه يوحي بذلك الهدوء الذي نستشف نعومته في تكرار همس السين الذي تستريح لخفته الأسماع وترتخي له الأجساد. يقول (السيد قطب): "فإذا تأملنا مثلا لفظة (عَسْعَسَ) بمقطعيها (عَسْ/ عَسْ) وجدنا جرسها وإيقاعها يوحي بحركية الليل وهو يعسّ في الظلام والخفاء كما يعسّ الماشي ويطوف في الليل تارة بيده وأخرى برجله "[1].

إنّ الرائع الدلالي الذي يوحيه ذلك الجرس والإيقاع المهموس العجيب "لا تجده في العبارة المؤدية للمعنى أقبل بظلامه، وكل ما ورد في القرآن من وصف الليل بهذا المعنى يتسم بالموسيقية الرقيقة المناسبة لهدوئه وانتشاره واشتماله على المحسات آنا بعد آن "[2].

وكون الفعل المضعف (عسّ) أقرب لعسعس، بيد أنه لا يؤدي معه نفس المعنى سوى المعنى اللغوي الذي ضبط له دون المعاني الثانوية التي تساعد على تقريب معناه بصورة أكثر جمالية، يعقلها السامع قبل العارف بخبايا اللغة .

وما يمكن الخلاص به أنّ أفعال الرباعي المضاعف سيقت في القرآن الكريم بدلالة ثنائية، أحدها لغوي والآخر صوتي، وفي تركيبهما رسم لصورة أكثر حركية تبدوا أقرب للرؤيا، "فحين يستقل لفظ واحد بهذه الصور كلها يكون ذلك فنا من التناسق الرفيع "[3]، لأن ألفاظ القرآن " الكريم تمّ فيها من الإعجاز ما لا يتم للفنان من الإبداع بالريشة والألوان "[4].

---

[1]– (السيد قطب)، في ظلال القرآن / ج30، ص 66.

[2]– (كاصد ياسر حسين)، الجرس الإيقاع في تعبير القرآن /مركز تحقيقات كاستور للعلوم الإسلامية/ (بدون سنة الطبع) / ص 337

[3]– السيد قطب، التصوير الفني، ص 93

[4]– (أنظر): محمّد داوود ، الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص 42.

الفصل الثالث

تعدد الألوان الصرفية والدلالية في الأصل اللغوي الواحد

- التنوع الدلالي بالزيادة والحذف
- الإبدال وأثره الدلالي

المبحث الأول

التنوع الدلالي بالزيادة والحذف

تعدد الألوان الصرفية والدلالية في الأصل اللغوي الواحد:

لقد فجّر القرآن بسحر بلاغته وروعة بيانه كل طاقات اللغة العربية، واعتلى بعلومها قلل الجبال الشاهقات، فجعلها غضة طرية تتلاءم وتتداخل بينها كأنها ألوان الطيف وسط زرقة السماء..، و"علم الصرف" أحد هذه الألوان المتناسقة؛ فبه ضبطت مقاصد بعض الألفاظ وتبيّنت أولى ملامحها الدلالية داخل السياق الذي وظفت فيه .

ولا يخفى أن اللفظ في القرآن الكريم ينفرد بدلالة خاصة، وذلك لتعدّد أشكاله وأبنيته وتنوّع طرق الأداء في خطاباته؛ ومنتهى ذلك أنه أمدّ اللسان العربي بصيغ لم تعهدها من قبل كالزيادة والحذف في بعض الأبنية نحو: اسطاعوا واستطاعوا، ويصرخون ويصطرخون، وتدارك وادّارك، أو في تغيير ترتيب الصوامت نحو: متشابه ومشتبه، أو بتتابع التضعيف في المفردة نحو: يصّعّد، ويخّصّمون، ومطّهّرين. فكل ما يصيب هذه الأبنية من اختلافات لاشك أن أول دوافعها هو المعنى، لأن الزيادة في الألفاظ توجب زيادة المعنى ضرورة كما ذكر (ابن الأثير)"[1]، بل هي دليلها في كشف المعاني داخل الأبنية المتقاربة .

يقال: "أنّ الألفاظ أوعية للمباني، فإذا اتسع الوعاء دلّ على زيادة المعنى، فالمادة بحروفها الأصل المعيّنة ذات العدد المعيّن والترتيب المعيّن تفيد المعنى، فإذا ما أضيف إلى هذه الأصول حروف أخرى فإنها تفيد معنى زائدا على المعنى المستفاد من الأصول"[2]، وكل هذا له شأن عجيب في مفردات القرآن الكريم، فهو يفتح باب الاجتهاد والتدبر أكثر لانتقاء ما يقف وراءها من دلالات،

[1]– (أنظر): المثل السائر، ج2، ص 56.

[2]– (محمد شملول)، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة / دار السلام للنشر والتوزيع / الطبعة الأولى سنة 2006 / ص 61.

فلاشك أنّ الإدغام في هذه المفردة يختلف فيه المعنى عند فكه في مفردة أخرى، كما أن حذف بعض الحروف فيها قد يدل على نقص زمن الحدث، وبالتالي سرعته أو عجلته "[1].

يقول الدكتور (السامرائي): "إنّ القرآن يحذف من الكلمة لغرض ولا يفعل ذلك إلا لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال: أنه يحذف من الفعل للدلالة على أنّ الحدث أقل مما لم يحذف منه وأنّ زمنه أقصر ، ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث ، أو يحذف منه في مقام الإيجاز و الاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل"[2].

1- التنوع الدلالي بالزيادة والحذف:

إن موضوع الزيادة والحذف في القرآن الكريم موضوع واسع متعدد..، والزيادة المقصودة هنا هي بخلاف الزيادة التي تطرقنا إليها سابقا والتي تشمل أحد الأحرف العشرة المضبوطة له"[3]، وإنما الكلام عن الزيادة هنا هو من زاوية أخرى خارجة عن الاستعمال المألوف، فقد تكون بحروف أخرى غير هذه الحروف نحو: (اصبر) و(اصطبر)، فبناءهما الصرفي اختلف بزيادة (الطاء)، وهي من غير حروف الزيادة المعروفة، وإن كان بعضهم يراها أقرب للتاء "[4].

أما الحذف فلا يقصد به حذف أحد أحرف الأصول للمفردة، وإنما يكون الحذف لتلك اللواحق التي تصيبها نحو: (اسطاعوا) و(استطاعوا)، فالحذف كان في حرف التاء لكن الأصل باق

---

[1]- (أنظر): المرجع السابق ، ص 61.

[2]- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 13.

[3]- هي الحروف التي جمعت في لفظ (سألتمونيها) .

[4]- (أنظر): الزجّاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج3 ، ص 239.

على حاله وهو (سطع)، ولكن لفظ (اسطاعوا) لم تأت به العرب كثيرا في كلامها، فميزانها الصرفي المعتمد عندهم كان (استطاعوا) بوزن (استفعلوا). يقول (السامرائي): "قد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو (استطاعوا) و(اسطاعوا)، و(تتنزّل) و(تنزّل)، و(تتوفّاهم) و(توفّاهم)، و(لم يكن) و(لم يكُ)، وما إلى ذلك..، وكل ذلك لغرض وليس اعتباطا، فالتعبير القرآني تعبير فني مقصود في كل كلمة؛ بل كل حرف إنما وضع لقصد"[1].

ومن أمثلة ذلك في الخطاب القرآني نجـد:

يَسْتَصْرِخ ويَصْطَرِخ:

تعود الصيغتان إلى أصل لغوي واحد هو (صَرَخَ)، أما مجيئهما في النص القرآني فكان على نحو مختلف، فما هي دلالة ذلك في سياقيهما ؟.

ورد لفظ (يستصرخ) في الذكر الحكيم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:"فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ"[2].

أما لفظ (يَصْطَرِخ) فقد ورد مرة واحدة بصيغة الجمع المذكر في قوله تعالى: "وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ "[3].

يظهر من خلال خطاباتنا أن لفظ (يستصرخ) مادة كثيرة الإستعمال في قاموسنا اللغوي، وبناءها على (استفعل) في الآية السابقة كان لمعنى (الطلب)، أي: "طلب النجدة في فزع، ومحاولة

[1]– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 13.

[2]– سورة القصص الآية 18.

[3]– سورة فاطر الآية 37.

للإنقاذ في رهب، والاستعانة على العدو بما يردعه عن الإيقاع به، وما ذلك إلا نتيجة خوف نازل، وفزع متواصل، وتشبث بالخلاص"[1].

أما صيغة (يصطرخ) بنيت على (يفتعل)، وفي (الافتعال) تكلف يدل على جهد أكبر وتعب أشد من طول الصراخ، وهذا ما أدركه (أبو السّعود) في قوله: " والاصطراخ افتعال من الصراخ، استعمل في الاستعانة لجهد المستغيث صوته"[4]. أما (السيد قطب) فذكر عمق تأثير اللفظة على النفوس، وتقريب دويّها المفزع أكثر إلى الملامسة والمعايشة فيقول: "فيخيل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة..، فتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون "[2].

ولعله من الصعب إيجاد الفروق الدلالية بين لفظي (الصّراخ) و(الاصطراخ)، فكلاهما للاستغاثة بصوت مرتفع"[3]، بيد أن ذلك الصوت له دلالات كبرى في النص القرآني حملت على زيادة الطاء في صيغة وحذفها من الأخرى..، ولكون المفردة لها دلالة ناقصة في اقتطاعها عن سابقها ولاحقها يتوجب ردّها إلى السياق العام الذي وظفت فيه استدراجا للمعنى، فلفظ (يستصرخه) ورد في قصة سيدنا (موسى) عليه السلام مع رجل من بني إسرائيل، وجاء اللفظ دالا على طلب هذا الأخير الإستنجاد من (موسى) عليه السلام، وذلك.. لأنه رآه كيف وكز رجلا من قبل فأرداه قتيلا، فكان صراخه تعبيرا واضحا عن خوفه أن يلقى ذات المصير على يد (موسى) عليه السلام ، وكل هذا لما في

[1]– محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي ص 167.4

2 – السيد قطب، التصوير الفني، ص92

3– البلاغة الصوتية، ص 31.

الاستفعال من دلالة على (الطلب)كما ذكر آنفا.

أما لفظ (يصطرخون) فسياقه يصوّر حال الكفار والمجرمين في النار وهم يصيحون فيها بشدة لما نابهم من العذاب، فكلما اشتدّ عليهم وقعه رفعوا أصواتهم جهد ما يستطيعون لإظهار ما هم عليه من فزع وتنكيل..، ومن وراء هذا اللفظ نتصوّر تلك الأصوات المختلطة بالنواح والعويل، التي كلما ازداد حجمها دلّ على استمرار العذاب بشدة أكبر، وبصورة أبشع وأفزع .

جليّ أن شدة العذاب صاحبتها شدة الصراخ، وذلك حتى نفرق بين عذاب الآخرة وما يصيب الإنسان من ضرّ في الدنيا، فكل له ألفاظ تعبر عن معانيه بالوجه المستحق الذي هو له أنسب، ولهذا زيدت (الطاء) في (يصطرخون)..فهي تضم ستّ صفات قوية"[1]، أشدها صفة الانفجار، لانغلاق الهواء فيه انغلاقا تاما وانفجاره عند النطق به"[2]، وهو ما لا نجده في صفة التاء، ولو جاء التعبير بصيغة (يصرخون) لما دلّ على تلك الأصوات البشعة المنكرة والشديدة المتعالية التي تتوالى من حناجر المجرمين في نار جهنّم .

وخلاصة الكلام أن القرآن الكريم أعطى المفردة القرآنية دلالات خاصة تشع وتشرق من حروفها، والتي توصل في تركيبها المعنى إلى المتلقي بكل الأشكال، وهو الملاحظ في صيغتي (صرخ) و(اصطرخ)، فهذ الأخير كان وقعه أثقل على السمع وأشدّ إيحاءا على طلب الاستنجاد لخروجه عن حدّ الاعتياد "[3].

[1]– (أنظر): أحمد ياسوف، جمالية المفردة القرآنية ص 236.

[2]– (أنظر): إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية ص 31.

[3]– محمّد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص 54.

إِصْبِر واصْطَبِر:

ورد لفظ (اصبر) بصيغة الأمر جمعا ومفردا في ست وعشرين موطنا منها قوله تعالى: "وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ"[1]، ونحو قوله أيضا: "قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْ "[2].

كما وردت صيغة (اصطبر) في ثلاثة مواطن، منها قوله عز وجل: "رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾"[3]، وقال في سياق آخر: "وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ "[4]

ذكر فعل الأمر (اصبر) بمعان شاملة ومتعددة في كتابه العزيز، كالصبر على البلاء والمصائب، والصبر على أذى الغير، والصبر على أقوال الكفار وافتراءاتهم..، كما أنه كثير الإستعمال في تعبيراتنا أيضا، أما الكلام عن (اصطبر) فهذا يختلف. يقول (الزمخشري) في قوله (واصطبر عليها): "فإن قلت: هلا عدي (اصطبر) بـ"على" التي هي صلته كقوله تعالى: (واصطبر عليها) ؟ قلت لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك أي: اثبت له بما يورد عليك من شداته، أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق، فاثبت لها ولا تهن "[5].

يقول (الطاهر بن عاشور): "وأمر الله ورسوله بما هو أعظم مما يأمره به أهله وهو أن يصطبر على الصلاة. والاصطبار: الانحباس ، مطاوع صبره إذا حبسه ، وهو مستعمل مجازا في إكثاره من الصلاة

---

[1]– سورة يونس الآية 109.

[2]– سورة الأعراف الآية 128.

[3]– سورة مريم الآية 65.

[4]– سورة طه الآية 132.

[5]– (أنظر): منيع القيسي، سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ ص 84.

النوافل "[1].

والحقيقة في ذلك أنّ لفظ (اصطبر) جاء في سياقاته الثلاث بمعنى خاص وبدرجة عالية من التحمل تفوق الصبر، فذكر في سياق سورة (مريم) الاصطبار على عبادة الله، وفي سورة طه خصه بالصلاة دون غيرها، وفي السياق الأخير من سورة القمر قال:"إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةً لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ "[2]، وذلك ليعلم (صالح) عليه السلام شدّة ما سيصيبه من الأذى والتمعّر لوجه الله سبحانه وتعالى..، ففي (الاصطبار) دلالة جامعة لذلك الصبر القوي والشديد الذي لا يعتريه ملل ولا ضجر لما سيلحقه من التكذيب واليأس وعقرهم الناقة، فكل هذه المحن الشديدة تتطلب أقوى وأقصى منافذ الصبر.

ولهذا نقول أن صيغة (اصطبر) جاء بناءها على (افتعل) للدلالة على التكلف الشديد في الصبر وذلك لبلوغه أعلى مراتبه، فهو يكتسب بالابتلاء منه عز وجل ومن أذى غيره، أي: هو صبر على المعصية والطاعة والبلاء "[3]. أما (الصبر) يعد نزلا يسيرا من الاصطبار؛ فهو مطلوب كل مسلم لإمساسه بالعقيدة. أما زيادة حرف الطاء فنقول: أنّ الشدة والقوة المأخوذة منه ناسبت الشدة المحمولة في الاصطبار وبما يتعلق به كالصلاة ، والثبات على الحق، والصبر على البلاء وأذى الغير، فكل هذه الأمور تتوجب اصطبارا وليس صبرا عاديا .

---

[1]– التحرير والتنوير، ج16، ص 342.

[2]– سورة القمر الآية 27.

[3]– (أنظر): الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج3، ص 381.

اسْطَاعُوا واسْتَطَاعُو:

وردت صيغة (اسطاعوا) مرة واحدة، كما وردت صيغة (استطاعوا) أربع مرات، ونذكر من ذلك مجيئهما في سياق واحد في سورة الكهف، يقول تعالى:" قَالَ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ "[1].

لعل ورود الصيغتين في سياق واحد، وبحذف التاء في إحداهما وزيادتها في الأخرى يستدعي تعليلا قويا وتحليلا موافقا لهذا الاختلاف، فكيف يكون ذلك ؟.

يقول (الصابوني): "أي فما استطاع المفسدون أن يعلوه ويتسوّروه لعلوّه وملاسته. (وما استطاعوا له نقبا) أي: وما استطاعوا نقبه من أسف لصلابته وثخانته "[2].

جاء في كتاب معاني القرآن (للزجاج) أن "الزيادة في المباني تفيد الزيادة في المعاني، وذلك أن قوله تعالى: (فما استطاعوا أن يّظهروه)، أي: فما قدروا على السدّ، والتسلق عليه أهون من نقبه، فجاء لفظ (وما استطاعوا له نقبا) لأن خرق السد ونقبه أصعب من تسلقه والظهور عليه، فأتى اللفظ بزيادة التاء "[3].

من الأجمل أن نرى كيف تم للقرآن الكريم بمخالفته لمقتضى الظاهر، فقد أثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة المعنى، كما أنه لم يسوّ بين الصيغتين ليس من باب كراهية إعادة الكلمة أو

[1]– سورة الكهف الآية 96–97.

[2]– صفوة التفاسير، ج2، ص 206.

[3]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج3، ص 238 (الحاشية).

التفنن وإنما لخصائص قوية تعانق دلالة كل مفردة، ولهذا نراه ابتدأ بما هو أخف ثم ذكر ما هو أزيد منه في المبنى، وذلك لأن إمكانية الظهور على السد أخف من الصيغة الدالة على إمكانية النقب"[1]، فأصبح عائق قوم يأجوج ومأجوج هو الظهور على السد، لكن ذلك يتوجب خرق الحديد والمعادن المنصهرة فيه وهذا أشد..، ولهذا قال (وما استطاعوا له نقبا) ولم يجعلها في الأولى نحو: (وما استطاعوا أن يظهروه)، وذلك لأنهم سيظهرون عليه مستقبلا، ولهذا لم يعبّر بصيغة (استطاعوا)، فكان حذف التاء دليلا على إمكانية ظهورهم عليه لاحقا، وهو ما سيكون كما جاء في أشراط الساعة .

ومما يلفت الانتباه أكثر في دقة التعبير بهاتين الصيغتين هو زمن الحدوث الخاص بهما، فلما كان الفعل يدل على حدث خفيف أعطاه لفظا أيسر وقصّر منه (حذف) ليتجانس مع زمن حدوثه، في حين لما كان الفعل شاقا وطويلا لم يحذف منه "[2]؛ بل أعطاه أطول صيغة للدلالة على مدة نطقه الطويل وبُعد مدة وقوعه. يقول الدكتور (محمد شملول): "وقد استخدم القرآن الكريم كلمة (اسطاعوا) ناقصة حرف التاء في الظهور على السد ليوحي بعجلتهم في صعود السد والقفز من فوقه، خاصة وأن بناء السد من الحديد والنحاس، أي: أنهم عرضة للانزلاق، الأمر الذي يتطلب سرعة في التسلق ..، أما في حالة نقب السد فإن الأمر يستلزم زمنا وتراخي في الوقت؛ لذا فقد تم "استخدام كلمة (استطاعوا) عادية بدون أي نقص في حروفها وذلك ليكون مبنى الكلمة موحيا ومبينا للمعنى المطلوب"[3].

---

[1]– (أنظر): منيع القيس، سر الإعجاز في تنوع الصيغ، ص 99.

[2]– (أنظر): فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 14.

[3]– إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة ص 131–132.

تَفَرَّقُوا وتَتَفَرَّقُوا:

وردت صيغة (تفرّقوا) في القرآن الكريم مرتين، وذلك في قوله تعالى: "وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ "[1]، وفي قوله أيضا: "وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ "[2].

أمّا صيغة (تتفرّقوا) –بتاءين متتابعتين– فلم ترد سوى مرة واحدة. قال تعالى:" شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ "[3].

إذا.. ما هي الدلالة المقصودة بزيادة التاء وحذفها من نفس الصيغة، والتعبير بهما في سياقين متماثلين ؟.

يقول (الطبري) في الصيغتين تواليا: "(ولا تفرّقوا) أي: ولا تتفرقوا عن دينه وعن الائتلاف والاجتماع على طاعته "[4].

ويقول في آية الشورى (ولا تتفرّقوا) "..وهي إقامة الدين الحق، وعدم التفرق والاختلاف كما اختلف الأحزاب من قبلكم "[5].

قد يسهل ملاحظة فوارق التناظر بين قوله (لا تفرقوا) وبين قوله (لا تتفرقوا) ، فكلاهما مسبوق

---

[1]– سورة آل عمران الآية 103.

[2]– سورة آل عمران الآية 105.

[3]– سورة الشورى الآية 13.

[4]– جامع البيان، ج1، ص 116.

[5]– نفس المرجع، ج2، ص 316.

بنهي مفاده التمسك بدين الحق فقال: (واعتصموا بحبل الله ولا تفرّقوا) في خطاب موجه لأمة (محمّد) "صلى الله عليه وسلم"، في حين جعل قوله : (أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه) لما حكى عن شرعة دينه الحنيف الذي وصّى بها أمما كثيرة غابرة من زمن (نوح) عليه السلام إلى زمن الشريعة المحمدية، مرورا بشرعة (إبراهيم) و(موسى) و(عيسى) عليهم السلام كما جاء في الآية، لهذا لم يحذف من الصيغة بل أوردها على أصلها كدليل بأن الشرعة التي أمر بها المولى سبحانه وتعالى رسله باقية على حالها ولم يتغيّر جوهرها، وهذا بدليل قوله: "إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ "[1].

ولو عدنا إلى قوله تعالى: (ولا تفرّقوا) نجد أن النهي عن التفرقة خصّ بها الأمة الإسلامية مهما كان دافعه والسبب من ورائه، فاقتطع من الفعل للدلالة على النهي عن أي شيء من التفرق مهما قلّ أو ضؤل"[2].

ومن الملفت أيضا أن السياق الذي وردت فيه صيغة (تفرقوا) جاء الخطاب فيه آمرا وناهيا ومحذّرا، وكأن هذه التفرقة التي اقتُطعَ من بناءها ستحل بهم؛ بل هو حالها اليوم، فالتفرقة التي نُهيَ عنها المسلمون هي بخلاف ما نهى به الأمم السابقة التي طلب منها المولى إقامة الدين، وهذا بدليل قوله: "أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ" وذلك لما كانت عليه هذه الأمم من الشرك والكفر وفساد في المعتقد، أما الأمة المحمدية فطلب منها الاعتصام بحبله جميعا، لأنها أظهرت إسلامها وتفرقت في القيام به على نهجه المطلوب .

---

[1]– سورة آل عمران الآية 19.

[2]– (أنظر): فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 17.

كما توحي دلالة (التفعل) في لفظ (تفرّق) بعظم التكلف الذي سيشق على المسلمين دون غيرهم من الأمم، والذي ما إن استمسكوا بحبله وجدوا فيه النجاة، لأنه أقوى ما يدافعون به وكله موجود في الذكر الحكيم لا ينقص منه ولا يزيد عنه في شيء، ولهذا قال: "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات" فلفظ (تفرّقوا) خُصّ لمعاني التفرقة عن علم ويقين، وهو في كل شيء منصوص عليه في الكتاب المجيد.

وتتميما لما ذكرت فإن سياق (تتفرقوا) يحكي طول المدة التي جاء عليها الدّين من زمن (نوح) عليه السلام إلى زمن الرسالة المحمدية، والتي لم ينقص من جوهرها ولم يزد فيه (توحيده)، فجاء اللفظ كما هو دون الاقتطاع منه. أما (تفرّقوا) خصّها بآخر أمة تحمل هذه الرسالة السماوية المتواترة، وهي الأمة المحمدية، فدعاها ناهيا ومحذرا من التفرقة فيها من بعدما جاءها من العلم، فاقتطع حرف (التاء) للدلالة على خفة وسرعة وقوعهم فيما نهاهم عنه – والله أعلم –

تَوَلَّوا وتَتَوَلَّوا:

وردت صيغة (تَوَلَّوا) بتاء واحدة وبمعنى (تتولوا) أربع مرات، منها قوله تعالى: "**قُلۡ** أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا وَعَلَيۡكُمۡ مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ "[1]. وفي قوله أيضا:" ٱلَّذِينَ يَٰٓأَيُّهَا ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ "[2].

في حين وردت صيغة (تتولّوا) –بتاءين متتاليين– بنفس عدد مرات الصيغة السابقة، منها قوله

[1]– سورة النور الآية 54.

[2]– سورة الأنفال الآية 20.

تعالى:" وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ "[1].

فإن كان المعنى المحمول في لفظ (تولّوا) هو ذاته في (تتولّوا) فلماذا ورد التعبير بالصيغتين ولم يكتف بإحداهما فقط ؟.

إنّ أكثر ما ذكر عن الصيغتين في كتب معاني القرآني وكتب التفسير لا يكاد يختلف مضمونه، فلا نجدهم يتطرقون إلى فارق البناءين، بل تجدهم يظهرون المعنى أنه ذاته، فـ(الفرّاء) يقول: "وقوله (فإن تولّوا) واجه القوم ومعناه فإن تتولّوا"[2]. أما (النحاس) فيأخذ بالعلة أن الفعل جيء به لزمن المضارع، ولذلك حذفت تاءه، ولو كان مخصّصا للزمن الماضي لجاء اللفظ (تتولوا)، فالمعنى فـ(إن تتولّوا) ثم حذف منه"[3].

أمّا (بن عاشور) فقد التفت إلى هذا الاختلاف، فذكر أن قوله تعالى: (فإن تولّوا) "يجوز أن يكون تفريعا على فعل (أطيعوا)، أي من جملة ما أمر به النبي ويكون فعلا مضارعا بتاءين، وإنما حذفت إحداهما للتخفيف وهي هنا تاء الخطاب، كما قد يكون تفريعا على فعل (قل) وهنا يكون الفعل ماضيا ولا يحتاج لتاءين، وبهذين الوجهين تكون الآية قد أفادت معنيين: أحدهما تعلق خطابه عز وجل بهم وهو بصيغة التهديد والوعيد، والآخر في كونه موعظة من النبي "صلّى الله عليه وسلّم"، ثم ختم قائلا: أنّ هذين الاعتبارين لا يأتيان في المواضع التي يقع فيها الفعل المضارع المفتتح بتاءين في

[1]– سورة هود الآية 52.

[2]– معاني القرآن (الفرّاء)، ج2، ص 258.

[3]– معاني القرآن (النّحاس)، ج4، ص 549 (الحاشية).

سياق النهي نحو قوله تعالى: (ولا تتبدّلوا)، وقوله (ولا تيمّموا)، وقوله (ولا تولّوا عنه)، أما الذي جاء في سورة القتال (محمد) في قوله: "وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ "[1] فثبتت فيه التاءان لأن الكلام وُجّهَ للمؤمنين، وهو ما لم يقتض نسج نظمه بذات المعنى المراد والمذكور في سورتي آل عمران والنور"[2].

إنّ وجهة الخطاب هي إحدى الضوابط الأساسية لمعرفة أسباب تلك الزيادة أو الحذف، فلفظ (تَوَلَّوا) ذكر في كل السياقات بصيغة النهي والتحذير من معصية الله أو الكفر به بعد اليقين، كحال من سمعوا آيات ثم أعرضوا، أوكحال قوم (هود) في تولّيهم عن عبادة الخالق وكفرهم بكل ما آتاهم به وهم يعلمون أنه الحق، فقال لهم نبيّهم :"فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ"[3]. وفي سورة النور أمر بطاعة الله ورسوله وأنّ من تولّى فعليه ما حمّل، لأنه رأى الحق وأبى أن اتّباعه؛ فما يؤخذ من حذف (التاء) أنها دلالة على عدم تريث الكفار أو غيرهم في تولّيهم للكفر والمعاصي تجبّرا وتسلّطا وتعنّتا منهم، فبقدر ما عرفوا الحقيقة أبَوْا وصدّوا عنها .

أمّا الإلتفات إلى لفظ (تتولوا) نجده مدرج في خطابات موجّهة للمؤمنين في ثلاث مواطن، وكلها في مقامات التهديد والتحذير والتقريع، كما أنه لم يكن موجّها لغيرهم ممن أشركوا إلا في سياق واحد..، أما (التاء) فلم تحذف لأنها دلالة الخطاب الموجه لهم وهي صالحة لكل الأزمنة كما ذكر

[1]– سورة محمد الآية 38.

[2]– بتصرف– التحرير والتنوير، ج18، ص 280–281.

[3]– سورة هود الآية 57.

(بن عاشور)، وهو ما يشير إلى فرضية تولّي بعض المؤمنين لما قد حذروا منه، ولكن قد يستغرق ذلك الحدوث زمنا طويلا "[1].

وانتهاءا بما ذكرت.. فإنّ لفظ (تولّوا) اقتطع منه حرف التاء لوقوعه دون تريث وفي زمن قصير، وهو مختص بالكفّار والمشركين غالبا؛ أما لفظ (تتولّوا) فخصّه بالمؤمنين لأنه قائم يخاطبهم ويحذّرهم بوقوعه لكن بمدة تطول وتزيد، وهو المأخوذ من دلالة تاء الخطاب فيه، ومن بناءه الذي زيد على بناء (تولّوا) –والله أعلم–

يُشَاقِّ ويُشَاقِق:

تستظل الصيغتان تحت أصل لغوي واحد هو (شَقَقَ) وزن (فعَلَ)، ويدل معناه اللغوي على "انصداع في شيء، ثم حمل على معنى الاستعارة كالشُقَّة، والشقاق، والمشقة وغيرها.."[2].

كما لم يتفاوت ذكرهما في الخطاب القرآني، فقد ذكر لفظ (يشاقّ) بقاف واحدة في سياق وحيد، وذلك في قوله تعالى: "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ "[3].

أما لفظ (يشاقق) فذكر في موضعين، منهما قوله تعالى: "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ "[4]

---

[1]– (أنظر): فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 19.

[2]– (أنظر): ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج3، ص 170–171.

[3]– سورة الحشر الآية 4.

[4]– سورة الأنفال الآية 13.

إن الملاحظ على الصيغتين هو تشابه سياقيهما إلى حد كبير، فكلاهما خصّ بمشاقّة بالله ورسوله، إلا أن ورود أحدهما بلفظ (يشاق) بقاف واحدة وفي الآخر بقافين مكسورتين تتابعا لابدّ أن يكون ذلك مضبوطا بدلالة معينة وإلا لما كان هذا الاختلاف في البناءين .

يقول (االطبري) في (يشاقّ) الله): "ومن يخالف الله في أمره ونهيه فإنّ الله شديد العقاب"[1].

ويقول (الصابوني) في (يشاقق الله ورسوله): "أي: ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله بالكفر والعناد فإن عذاب الله شديد له "[2].

فما جاء في كتب معاني القرآن والتفسير لاتكاد تختلف فيه شروح الآيتين السابقتين، كما لم تحدّد الاختلافات الصيغية فيها بشكل دقيق عند الكثير منهم، أما (الزجّاج) فقد التفت إلى هذا التنوع فقال: "إن (يشاقق) و(يشاقّ) لغتهما واحدة إلا أن إظهار الحرف في (يشاقق) بعد فك الإدغام يسقط لالتقاء الساكنين، ومجيئه في سياق جملة شرط جازمة، وهذا البناء لم يأت به إلا أهل الحجاز"[3]، أما إدغام (القافين) في (يشاق) فلالتقاء الساكنين بعد الألف، ولكونهما في سياق الجزم (ومن يشاقّ) فأدغمتا مع الكسر كقولنا: ومن يشاقّ زيدا أهنه، فتختار الكسر بعد اللام وجواز الإدغام، وهذه لغة بقية العرب "[4].

وفي تحليل التركيبة السياقية التي ورد فيها كل لفظ نجد أن (يشاقق) ذكر بعدها لفظ الجلالة (الله) ولفظ (رسوله)، فكأن تكرار القاف تومئ أن المشاقة جاءت بصيغة التحذير والوعيد لمن عاند

---

[1]– جامع البيان ، ج2، ص 438.

[2]– صفوة التفاسير، ج1، ص 496.

[3]– (أنظر): التحرير والتنوير، ج28، ص 75.

[4]– بتصرف – تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص 317.

وعصى في اتّباع ما أنزل الله على رسوله وفي ما أمره به..، فلعله نوع خاص من الدلالة تعلّق بوجود قافين دون إدغامهما رغم سبقه بأداة الجزم (من). أما الذي يشاقق الله ورسوله فلابد أن يكون كافرا بهما، لأنه لا يوجد من يؤمن بالرسول ويكفر بالله.

ويلحظ أن فك الإدغام في (يشاقق) تعلق بلفظي (الله ورسوله) في جملة الشرط من سياق سورة الأنفال، أما في سياق سورة الحشر فقال: (يشآقّ الله) ولم يذكر (رسوله)، فأدغمت القافين مع التشديد موحية بعظم مشاقة الله، وكأن ذلك خصّ بما أمر به جميع أصناف العقائد وبما هو واجب عليهم في الإيمان به دون مجادلة أو مُشاقّة في الأمر، وأكثر من ورد منهم هذا الفعل هم (اليهود)"[1]، وقد ذكروا في أول سياق سورة الحشر في قوله تعالى:"هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ "[2]، والمقصود بهم يهود (بني النّضير)، وكان أكثرهم يعلمون حقيقة ما جاءهم به النبي، غير أنهم أرادوا الغلوّ والمشاقّة بشدة وحزم فكانوا كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا، فهو يحس بحمولة على ظهره ولا يعلم إن كانت حطبا أو ذهبا، وأيّها كان فهو لا ينتفع بها ولا يعلم لما يحملها، وكذلك هم .

وعلى بساطة هذا الرأي.. ننهي القول أن مشاقّة الله ورسوله تحدث من كل أصناف العقائد كما كان في زمن النبي "صلى الله عليه وسلم"، من يهود وكفار ومشركين ومنافقين، فجاء البناء مزيدا فيه (يشاقق) لكثرة مشاقاتهم، أما كونها مثنّاة القاف فهذا لأنهم شاقّوا الله ورسوله الكريم وأكثرهم

[1]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص 65.

[2]– سورة الحشر الآية 02.

يعلم سرّما أتى به من قبل أن يوحى إليه. أما صيغة (يشاقّ) مدغمة القاف خصها بلفظ الجلالة فقط (الله) وهي متعلّقة باليهود كما وردت في كتب التفسير"[1]، فمشاقة لأمر الله لم تكن في زمن النبي "صلى الله عليه وسلم" فحسب؛ بل هي ممتدة من زمن الشريعة الموسوية ولهذا فأكثر ما شاقّوا فيه كان مع الله سبحانه وتعالى قبل رسوله، ومجيء الصيغة بقاف واحدة ليست إلا إحدى قمم الرائع الدلالي في الخطاب القرآني، وإن كان التعليل المقدم لا يوفي بالغرض.

تتنزّل وتنزّل:

ذكرت صيغة (تتنزّل) –بتاءين متتابعين– في موطن واحد، وذلك في قوله تعالى:"إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾"[2].

أما صيغة (تنزّل) –بحذف التاء– فقد وردت ثلاث مرات منها قوله تعالى:"لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ "[3].

إذا.. أي مقصد يقف وراء التعبير بـ(تنزّل) دون التعبير بالأصل (تتنزل) ؟.

يقول (ابن كثير) في (تتنزّل): "وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدا، وهكذا جاء في حديث (البراء): (إنّ الملائكة تقول لروح المؤمن عند الاحتضار أخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد

---

[1]– (أنظر): الزجاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج5، ص 140 / تفسير الجلالين لـ(جلال الدين محمد بن أحمد المجلي ت 864 هـ) و(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) / الطبري، جامع البيان ج2، ص 438 (الهامش).

[2]– سورة فصلت الآية 30.

[3]– سورة القدر الآية 3–4.

الطيب الذي كنت تعمرينه، أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان"[1].

ويقول (بن عاشور) في (تنزّل): "وأصل (تنزّل) تتنزّل فحذفت إحدى التاءين اختصارا، وظاهر أن تنزل الملائكة إلى الأرض، ونزول الملائكة إلى الأرض لأجل البركات التي تحفّهم..، وهذا التنزل كرامة أكرم الله بها المسلمين بأن أنزل لهم في تلك الليلة جماعات من ملائكته.."[2].

إذا.. خصّ فعل (التنزيل) في السياقين بنزول الملائكة إلى الأرض، لكن بمعان متفاوتة في الشدة، وهذا دليل على أن السبب يختلف، وقد استقرأت من كل سياق أن ورود صيغة (تتنزّل) بتاءين مفتوحتين تتابعا عبّر بها عن حال نزول الملائكة عند قبض الأرواح الطيبة مبشرة إياها بالجنّة"[3]، فهي تتنزل وتنشط بكثرة دون شدة، فتتسابق إلى تلك الروح وهي تقول ما وجدنا روحا أطيب من هذه ، وذلك لأنها تخرج كأطيب ريح المسك"[4]، وكل هذا ناسب قوله (تتنزّل) لما في المعنى من سكينة وطمأنينة ولين تصاحب نزول الملائكة لقبض هذه الروح الطاهرة الزكية.

أما صيغة (تنزّل) –بحذف التاء– وردت في سياق مغاير لم ينسب إلى قبض الأرواح، بل بليلة مباركة وهي "ليلة القدر"، فنزول الملائكة فيها يكون امتثالا لأوامره سبحانه وتعالى، وقد جاء اللفظ موحيا بسرعة وخفة الإمتثال لتلك الأوامر بقوة وهو أنسب لصفات الملائكة. ولبركة وعظمة ذلك اليوم يكون نزولها فيه إلى الأرض بالكثرة والقوة معا لشدة ما فيه من أسرار..، أما كونه "حاصل مرة في السنة فقد اقتطع منه لكونه أقل حدوثا، خلافا لصيغة (تتنزّل) التي يحدث أمرها باستمرار على من

---

[1]– النحاس ، معاني القرآن، ج6 ، ص 267 (الهامش).

[2]– التحرير والتنوير، ج30، ص 463.

[3]– (أنظر): معاني القرآن (الفراء) ج3، ص 18.

[4]– (أنظر): الزجّاج ، :تهذيب معاني القرآن وإعرابه ، ج5، ص 261 (الهامش).

يحضره الموت"[1].

وانتهاء بالقول.. فإنّ صيغة (تتنزّل) أكثر دلالة على الاستمرارية لتعلقها بسنّة مستمرة في الحياة، وهي أخف وقعا وانسيابا مع دافع التنزيل، أما صيغة (تنزل) فهي أكثر دلالة على القوة والشدة في نزول الملائكة امتثالا وطاعة لله سبحانه دون تريث تعظيما لما في ذلك اليوم، وإن صح القول فهي قد جمعت بين السرعة في تلبية الأمر، وبين قوة وعظمة وسرّ ذلك الأمر-والله أعلم-

[1]- بتصرف- فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 15.

المبحث الثاني

الإبدال وأثره الدلالي

2- الإبدال وأثره الدلالي في الخطاب القرآني:

إن التغييرات التي تصيب المفردة القرآنية مهما كانت فلها أسبابها ومقاصدها المرتبطة بالمعنى، وواضح مما سبق ذكره أن العلاقة الحميمية التي تربط اللفظ بالمعنى هي زيادة المبنى في الأول، لكن ذلك ليس منتهى هذه التنوعات ولا آخر ما تحمل عليه اختلافات معاني هذه الأبنية...

ولعلنا نلتفت بالحديث هنا إلى "الإبدال"، فهو وجه آخر تتنوع به المعاني، وقد تجلّى بصورة كبيرة في القرآن الكريم، ذلك ما جعله أهم الروافد التي تعين على فقه دلالة ألفاظه وتساعد على فهم دقة المعنى المراد به دون غيره .

والإبدال هو "جعل مطلقُ لحرف مكان آخر"[1]، بأن يجعل حرف مبدل مكان حرف آخر يكون مبدلا منه، كإبدال التاء طاء في (اضترب) فتصبح (اضطرب)، ونحو: (اطترد) و(اطّرد)، أو إبدال التاء دالا نحو: (ازتجر) فتصبح (ازدجر)، أو إبدال التاء دالا نحو:(اتذكر) فتصبح (ادّكر).."[2]،

وقد نهج الإبدال نهجا عجيبا في الذكر الحكيم نحو: (ادّاراءتم)، و(ادّاركوا)، و(مطّهّرين)، و(مطّوّعين) وغيرها..، فلا ريب أنّه أخرج المفردة التي تعلق بها من معنى إلى آخر، ومن أمثلة ذلك نذكر:

المُتَطَهِّرِين والمُطَّهِّرِين:

وردت كل لفظ مرة واحدة في الذكر الحكيم ، فقال سبحانه وتعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ

[1]- الحملاوي ، شذا العرف في فنّ الصرف ص 160

[2]-(أنظر): عبده الراجحي، التطبيق الصرفي ص 150-151.

وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ "[1]، وذكر لفظ (مطّهّرين) في قوله أيضا: "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ "[2].

فما يمكن الجزم به أنّ كلتا الصيغتان لهما دلالة خاصة تقف وراء اختلافهما فما هي ؟.

إنّ أكثر ما ذكر في قوله:(متطهّرين) أي: "المتنزهين عن الأقذار والأذى وما نهو عنه من إتيان الحائض"[3]، أو كما ذكر (الزجّاج) "أنهم أولئك المبالغين في الطهارة الظاهرة والباطنة "[4]، أي: من طهرت قلوبهم وأبدانهم وثيابهم معا. أما (الطبري) فقال أنّ (المتطهّرين)"هم المنسبين إليهم بطهارتهم من الجنابة والحدث"[5] أي: "الغسل والوضوء بالماء، وهذا هو الأغلب من معانيه "[6].

واضح مما تقدم أنّ بين الصيغتين فرق في المعنى، فقد ذكروا أن صيغة (متطهّرين) معناها الطهارة البدنية المحمولة على اجتناب المحرمات والأقذار، أما صيغة (مطّهّرين) جعلها لمن كانت طهارتهم البدنية ظاهرة في وضوءهم وغسلهم، وذلك كناية عن تمسكهم بإقامة شعائرهم المفروضة وعلى رأسها الصلاة..، وهو المقصود بالطهارة الباطنة، لأن طهارتهم الظاهرة (الماء) لكن مقصدها الأول الطهارة من الذنوب والخطايا، وإنما جُمعَت لهم هذه المحامد في صفة (مطّهّرين) كدليل على شدة نقائهم وطهارتهم المبالغ فيها، وأولئك المؤمنون حقا .

---

[1]– سورة البقرة الآية 222.

[2]– سورة التوبة الآية 108.

[3]– (أنظر):النحاس ، معاني القرآن، ج1، ص 184 (الهامش) / علي الصابوني، صفوة التفاسير ج1 ، ص 142 / أحمد مجلي والسيوطي، تفسير الجلالين ص 35 .

[4]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص 374 .

[5]– جامع البيان، ج1، ص 70 / (أنظر): معاني القرآن (ثعلب الكوفي) ص 39 .

[6]– النحاس، معاني القرآن ج1، ص 184 (الهامش) .

ولابد من الرجوع إلى سياق كل صيغة لضبط دلالتيهما أكثر، ففي سورة البقرة ذكر لفظ (المتطهرين) لما كان التطهر أمر بدني للرجال والنساء وهو (الحيض)، فينبغي للرجل أن يعتزل امرأته لما في ذلك الأمر من أذى، وباعتزالها يكون أطهر عند الله. أما لفظ (المطّهّرين) ففيه منظور للتطهر القلبي والبدني كما ذكر (الزجاج)، لأن الآية نزلت في المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا للتفريق بين المؤمنين، وهذا من باب فساد الباطن لا من باب طاعة الله ورسوله الكريم، فكان أمر الله رسوله بترك هذا المسجد وجمعه لصحبه في أول مسجد أسّس على تقوى الله وهو مسجد (قُباء)، ففيه رجال طُهّار القلوب والسرائر، ولا دنس عليها"[1]، غايتهم التطهر من ذنوبهم وفي أبدانهم دون تباطؤ أو تثاقل نتيجة حبهم لذلك"[2].

ولنعد إلى صيغة (متطهّرين)، فبناءها جاء على الفعلية بوزن (تطهّر)، وقد سبق الذكر أن الفعل مفاده التجدد لا الثبوت، وبهذا المعنى وردت صيغة (متطهّرين) أي: أنّ الفعل يحدث منهم آنا بعد آن، أما صيغة (مطّهرين) جاء بناءها على الاسمية لثبوت الصفة في أصحابها، أي: أن الأمر أصبح سجيّة فيهم، وذلك ما أثنى به الله تعالى على رجال مسجد (قباء)، فقد روي عن النبي "صلى الله عليه وسلم" أنه قال لهم: "يا معشر الأنصار إنّ الله قد أثنى عليكم في الطّهور، فما طهوركم ؟ فقالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء "[3]، فكل هذه الطهارات التي يقومون بها ثابتة فيهم لكثرتها وتكرارها دون انقطاع ، حتى "صارت خُلُقا فيهم، ولولم تجب عليهم لفعلوها من تلقاء

[1]– بتصرف– بلاغة الكلمة في التعبيرالقرآني، ص 54–55.

[2]– (أنظر): محمّد شملول، إعجاز رسم القرآن، ص 135.

[3]– (أنظر): تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص 378 (الهامش).

أنفسهم"[1].

وبهذا ننهي القول أن صيغة (مطّهّرين) أشدّ من (متطهّرين)، فالأولى في كلّ شيء، وهي أبلغ وأمدح، أما الأخرى ففي طهارة الأبدان وهي جزء من صفة (المطّهّرين) لأنهم أكمل الناس طهارة ظاهرا وباطنا .

المتصدّقين والمصّدّقين:

وردت صيغة (متصدّقين) في موضعين من كتابه الحكيم، من ذلك ما جاء في قصة سيدنا (يوسف) وإخوته. قال تعالى: "فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ "[2].

أمّا صيغة (مصّدّقين)-بإدغام التاء في الصاد- فذكرت مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ "[3].

إن المعنى المراد من الصيغتين تختلف منافذه، فلفظ (متصدّقين) كثير الدوران في الكلام ومعناه مضبوط إلى حد كبير، وإنما الكلام هنا عن صيغة (مصّدّقين) -بإدغام التاء في الصاد- فإن كان هذا الإبدال جائز لغة، فلماذا ورد في صيغة دون الأخرى ؟.

عند التدبر والتمعن أكثر في سياق كل صيغة نجد أن لفظ (متصدّقين) جاء من باب كسب

[1]- التحرير والتنوير، ج11، ص 33.
[2]- سورة يوسف الآية 88.
[3]- سورة الحديد الآية 18.

عاطفة سيدنا (يوسف) عليه السلام ليتصدّق عليهم (إخوته) فقالوا له: "مسّنا وأهلنا الضُرُّ" وذلك حتى يستشف حالهم أكثر، ثمّ أنهوا قائلين: "إنّ الله يجزي المتصدّقين" تعليلا لاستدعائه التصدق عليهم"[1] بعد أن علموا أنه خير من نزلوا عنده، وقد أنسوا منه ذلك لما وفدوا إليه في أول مرّة فأحسن كرمهم وضيافتهم..، فجاء التعبير بصيغة (المتصدّقين) دون أن يبالغوا في الوصف نحو: (مصّدّقين) لأنهم لم يطلبوا أن يبالغ في التصديق عليهم، وإنما أن يسدّ طلبهم ويكف حاجتهم.

أمّا سبب تقريب (متصدّقين) للفعلية فلأن الفعل متجدد وغير ثابت في صاحبه، أما كون الصيغة سبقت بالفعل (يجزي) فذلك لشمولية الجزاء على كل متصدّق، ولو قيل: (يجزي المصّدّقين) بتشديد الصاد والدال لكان الجزاء محصورا على فئة خاصة وهم المبالغين في الصّدقات"[2]، ومثل هذا لا يكون في الخطاب القرآني، لأن المولى سبحانه وتعالى قال: "وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ "[3]..فالجهد المبذول في سبيل الله صدقة ممن لم يجدوا مالا، وأولئك لهم جزاءهم بمثل ما أنفق غيرهم، فالله يجازي عن القليل والكثير، وكل له مكياله .

أما صيغة (مصّدّقين) ذكرت في سورة الحديد مخصوصة للمبالغين في الصدقات"[4] من الرجال والنساء، لكثرة ما ينفقون ويزكون ويتصدقون به، كما أنه لم يعبر بـ(يجزي) بل قال (يضاعف) لأنها تربوا عنده أضعافا مضاعفة، أما في بناءها على الاسمية فنقول: أن كثير الصدقة لابد أن تكون تلك صفة ملازمة له وإلا ما كان كثير الصدقة.

---

[1]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ج13، ص 47.

[2]– بتصرف– فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 48.

[3]– سورة التوبة الآية 79.

[4]– فاضل السامرائي، نفس المرجع، ص 48.

وبهذا يبدوا أن لكل صيغة دلالة تميزها عن شبيهتها وتجعلها تتجاوب مع السياق الذي وظفت فيه تجاوبا واضحا ودقيقا قد يحمل على جزيئات لغوية صغيرة.

يختصمون ويخصّمون:

وردت صيغة (يختصمون) في أربع مواطن منها قوله تعالى:"وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ "[1].

في حين ذكرت صيغة (يخصّمون) في سياق واحد، وذلك في قوله تعالى:"مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ "[2].

يقول (الفراء) في الأولى (يختصمون): "ومعنى (يختصمون) مختلفون: مؤمن ومكذب"[3].

وقال (الزجاج) فيها أيضا: "أي: فإذا قوم صالح فريقان مؤمن وكافر، فيقول كل فريق منهم أن الحق معي"[4].

ويقول (الزمخشري) في الثانية (يخصّمون): "ويخصّمون من خصمه والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها، لا يخطرونها ببالهم، مشتغلين بخصوماتهم، في متاجرهم ومعاملاتهم، وسائر ما يختصمون فيه ويتشاجرون، ومعنى (يخصّمون) يخصم بعضهم بعضا، وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم

---

[1]– سورة النمل الآية 45.

[2]– سورة يس الآية 49–50.

[3]– معاني القرآن، ج2 ، ص 295.

[4]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص 90.

يختصمون في الحجّة في أنهم لا يبعثون"[1].

إن الأصل في (يخصّمون) هو (يختصمون)، "وما وقع فيها من إدغام بين التاء والصاد جاء على غير المعهود في قواعد الإدغام، وذلك لعدم تقارب الحرف المبدل والمبدل منه في مخرجيهما "[2]. أما التضعيف في الصيغة فيوحي بشدة وقوة وكثرة خصوماتهم في الدنيا كفرا ولهوا، أي: مبالغتهم في "الإختصام"، وهي حالهم التي سيؤخذون عليها وهم منهمكون ومنشغلون في دنياهم، قبل أن يتبدل خصامهم سكونا وصمتا حين حلول الصيحة بهم"[3].

وما يلحظ من كل سياق أن صيغة (يختصمون) وردت في الآية المذكورة لما كان المقام مقام خصومة وتكذيب لما جاء به (صالح) عليه السلام قومه حين طلبهم ترك الأوثان وعبادة من هو أحق بذلك، فإذا هم فريقان يختصمون، فريق من المستكبرين وفريق من المستضعفين وهم أتباع (صالح) عليه السلام، لذا فوجه التخاصم كان حقيقيا ولم يكن جدالا فقط لأنه مسّ عقيدتهم التي تجذّروا عليها، ولاشك أن تأخذهم حميتهم وأنفتهم وتعصّبهم على ميراث أجدادهم وآبائهم العقائدي بأن يعتدوا لأجله.

أما صيغة (يخصّمون) فقد وردت في سياق أكثر دلالة على شدة تخاصم الكفار مع المؤمنين ، ومع دنياهم بالركض وراء ملذاتها وشهواتها وطلب زينتها، وإن كان خصامهم مع المؤمنين هو الآخر لتعلقهم بما هم عليه من عبث دنيوي، وقد سُبق سياق (يخصّمون) بآيات تثبت هذا، فكانوا إذا

---

[1]– (أنظر): منيع القيسي، سرّ الإعجاز في تنوع الصيغ، ص 68.

[2]– (أنظر): نفس المرجع، ص 69.

[3]– بتصرف– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 58–59.

جاءتهم آية أعرضوا وصدّوا عنها، وإذا قيل لهم أنفقوا ممّا رزقكم الله قالوا:"أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ"[1]، كما أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل راحوا يسخرون من يومهم الذي وعدوا به فقالوا: "مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ"[2] وذلك استهزاءا بالمؤمنين .

وهذا مجمل خصومتهم مع المؤمنين في كل نهي وتحذير حذّروا به، إلا أنهم رضوا بالحياة الدنيا وملذاتها، حتى أصبحوا يختصمون بينهم في أسواقهم وتجاراتهم، ولذا ناسب التعبير عنه بلفظ (يخصّمون) لكثرة وقوع الفعل منهم بشدة في كل أمر ديني ودنيوي .

إذا.. ما يمكن قوله أن من تعنت في دينه ودنياه فعلا وقولا فذلك لأنه أشد طلبا للخصومة، وقد ينعرج إلى المشاقة والكفر غالبا كالذي كان مع قوم (صالح) عليه السلام، أما ما كان اختلافا في أمر به دافع، كأن يرى كل واحد أنه على حق فذلك أقل درجة في معنى الخصومة دون وجه المبالغة فيـها.

يتضرعون ويضرّعون:

وردت صيغة (يتضرّعون) في موطنين ، منهما قوله تعالى: "وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ "[3].

كما جاء ذكر صيغة (يضرّعون) –بإدغام التاء في الضاد– في سياق واحد ، وكان ذلك في قوله

[1]– سورة يس الآية 47.

[2]– سورة يس الآية 48.

[3]– سورة الأنعام الآية 42.

تعالى:"وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ"[1].

مجيء الصيغتين في سياق متقارب ومخصوص بصنف واحد من الناس (الكفار)، يفتح استفسارا كبيرا لمعرفة ما يقف وراء هذا التنوع من مقصد دلالي .

يقول (ابن فارس): "الضاد والراء والعين أصل صحيح يدل على لين في شيء، من ذلك ضرع الرجل ضراعة، إذا ذلّ، ورجل ضَرِع: ضعيف.."[2].

ذكر (الطبري) في تفسير قوله: (لعلّهم يتضرّعون) أي: "ليتضرّعوا إلى الله ويخلصوا له العبادة بالذلة والاستكانة "[3].

وذكر (أبو حيان التوحيدي) في تفسير قوله: (لعلهم يضرّعون)" أي: لو رأى أحد ما ما أحل بهم، لرجا تضرّعهم وابتهالهم إلى الله في كشفه "[4].

ويقول (الفخر الرازي) في تفسير ذات الصيغة: "بيّن الله أنه يفعل ذلك لكي يضرّعوا، معناه: يتضرّعوا، والتضرّع هو الخضوع والانقياد لله تعالى، ولما علمت أن قوله (لعلهم) لا يمكن حمله على الشك في حق الله وجب حمله على أنّ المراد أنه تعالى فعل هذا لكي يتضرّعوا"[5].

فمن خلال ما جاء في تفسيرهم للآيتين يتضح أنهم لم يتطرّقوا إلى التعمّق أكثر في كشف فارق البناءين بين الصيغتين، فكان أكثر الذي ذكروه أنّ (يضّرّعون) أصلها (يتضرّعون)، دون تلميح

---

[1]– سورة الأعراف الآية 94.

[2]– معجم مقاييس اللغة، ج3، ص 395.

[3]– جامع البيان، ج1، ص 229.

[4]– (أنظر): معاني القرآن (النحاس)، ج 3 ، ص 56 (الهامش).

[5]– منيع القيسي، سر الإعجاز في تنوع الصيغ، ص 88 / الزجاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج2 ، ص 279.

إلى سبب إدغام التاء في الضاد. أما الحديث عن سياق كل صيغة فله دلالته في ذلك دون شك، فإذا أخذنا بالحديث عن لفظ (يتضرّعون) نجد أن القيام به لم يتعلق بقوم أو قرية واحدة؛ بل جاء عاما لكل الأمم، أي: أنه واقع منهم بالإجماع دون تخصيص ولا استثناء لأي قوم منهم، وزيادة على ذلك فمقامها لم يكن مقام تفصيل وإنما هو كلام عما أصاب الأمم الغابرة من بأساء وضرّاء على وجه العموم فقال: (يتضرّعون). يقول (فاضل السامرائي): "والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلما طال الحدث واستمرّ جاء بما هو أطول بناء فقال (يتضرّعون)"[1].

في حين وردت صيغة (يضّرّعون) مقتطعة التاء لما كان الحديث يصوّر حالة التضرّع الشديدة الحاصلة من كل قرية وليس من كل الأمم كما في السياق الماضي..، وإذ ما تعمقنا أكثر في سياق الآية نجد أنها سبقت بذكر خمسة أقوام وهم: "قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ومدين"، وكل خصّها بذكر مفصل من دعوة رسلهم إلى ما مسّهم من بأساء وضراء، وهذا أنسب أن يقال عنهم (يضّرّعون)، فشكل العذاب إذ ما سُلّط على واحد يكون أشدّ منه على جماعة لاقتسامها شكل العذاب، وهنا يسقط من شدته وهوله نوعا ما .

أما إدغام التاء في الضاد وتتابع التشديد مع حرف الراء فهو دلالة على شدة ما أصاب هذه الأقوام من عذاب كما جاء في سورة الأعراف، وقوله مثلا: (في قرية) يقتضي مكوث (بقاء) الأنبياء معهم لدعوتهم..، وهذا لكون (في) تفيد الظرفية المكانية "[2]، فلما زاد مكوثهم في دعوتهم زاد تسلّط

[1]– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص46.

[2]– (أنظر): نفس المرجع، ص 47.

هذه الأقوام، فاللفظ من زاوية أخرى يعبّر عن شدّة ما يستحقّون وإلا ما كان منهم هذا التضرّع الشديد، فلاشك أن الشدة في (يضرّعون) هي من شدة البأساء والضراء، وهذا أبلغ .

فمما يبدوا أن صيغة (يضرّعون) أشد وأبلغ من (يتضرّعون) بيد أن كل وافق مقامه وتلاءم مع الجو العام الذي سيق فيه تلاءما دقيقا .

يَصْعَـدُ ويَصَّعَّدُ:

وردت الصيغتان مرة واحدة في محكم التنزيل، فذكرت (يَصْعَد)-مخففة الصاد والعين- في قوله تعالى: "إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ "[1]. أما (يَصَّعَّد) فذكرت بتشديد التاء والصاد في قوله تعالى:"وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ"[2].

إذا.. فلماذا وردت صيغة (يَصْعَد) مخففة في سياق ومشددة في سياق آخر ؟.

يقول (الطبري) في الأولى أي:" إلى الله يصعد الذكر والثناء ويرفعه العمل الصالح، وهو العمل بطاعة الله وأداء فرائضه "[3].

ويقول (الفراء) في الثانية: "وقوله: (كأنما يصّعّد إلى السماء): ضاق عليه المذهب فلم يجد إلا أن يصعد في السماء وليس يقدر "[4].

وقال (الزجاج) في لفظ (يصّعّدُ) أيضا: "ومعنى (كأنما يصّعّد في السماء) -والله أعلم- كأنه قد

---

[1]- سورة فاطر الآية 10.

[2]- سورة الأنعام الآية 125.

[3]- جامع البيان، ج2، ص 230.

[4]- معاني القرآن، ج1، ص 354.

كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه، ويجوز أن يكون–والله أعلم– كأنّ قلبه يصعد في السماء نبوا على الإسلام واستماع الحكمة"[1].

لعلّ معنى (يَصْعَد) بيّن، وإنّما الكلام هنا عن (يصّعّد) وأصلها يتصاعد أو يتصّعّد، فالتاء أدغمت في الصاد لقربها منه، فجاء التشديد يوحي بشيء فيه من الشدة البالغة ما تطلب هذا البناء. وهنا نشير إلى معنيين أو دلالتين من خلال السياقين وهما:

أن صيغة (يَصْعَد) جاءت مخففة ليعانق معناها السياق الذي وردت فيه وهو الكلم الطيب، المتمثل في الذكر والثناء الحسن الذي يطيب سماعه عند ربّ العزة والملائكة الكَتَبَة، فلاءم معناها الهادئ الخفيف على النفس مجيئها على هذا البناء دون تكلف أو مشقة، فنقول: أنه قد تزاوج اللفظ والمعنى في إيصال المقصود صوتا ولفظا .

أما دلالة الشدة في (يصّعّد) فقد ربطت في سياقها بالضالّ الذي يضيق صدره بشدة حتى يبدوا وكأن ما في صدره من هواء قد أفرغ لسرعة زفيره وشهيقه..، وتلك هي حال الكافر الذي لا يهتدي للحق. أما قمة الدلالة في صيغة (يصّعّد) فقد ارتبطت بحقيقة علمية"[2]. وهي خاصة بروّاد الفضاء، وقد ذكرها الدكتور (محمد زغلول النجار) في قوله: "إن الإنسان إذا ما ارتفع عن ثماني كيلومترات فوق مستوى سطح البحر تعرّض لصعوبة في التنفس، وذلك لنقص الأوكسجين وتناقص ضغط الهواء فـ(يضيق صدره)..، ثم إذا بلغ مسافة أعلى بكثير تزداد شدة التنفس وتأخذ منعرجا أخطر قد يصل إلى درجة حرجة سببها الضغوط الشديدة على الرئتين والقلب، وهنا عبّر في الآية

[1]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص 218.

[2]– الطبري، جامع البيان، ج1، ص 247 (حاشية الصفحة).

بـ(حرَجًا) لكونها أخطر من الأولى (ضيّقا)، لأنه يحّس فيها بحشرجة الموت؛ بل قد تكون نهايته فيها"[1]. ومنه أخذ مصطلح (حالة حرجة) للمرضى الذين يسارعون الموت بحالات خطرة، ونسبة نجاتهم منه ضئيلة .

وفي الأخير.. تبقى هذه إحدى دلالات المفردة القرآنية التي تخاطب الأجيال، فما عجز عنه فطاحلة اللغة قديما أتى به علماء اليوم، وذلك لتغيّر المتعلقات بكل زمن، فاجتهادات أهل القرآن اليوم اعتكفت على "الإعجاز العلمي" فيه بصورة أكبر، وذلك لأنّا نعايش عصره وزمنه، فلابد أن تكون فيه من الحقائق المبهرة ما تزيد من تعلقهم به كما تعلقوا بسحر بيانه وقوة بلاغته وروعة فصاحته قديما.

يَتَذَكَّر ويَذَّكّر:

وردت صيغة (يتذكر) في ثمانية مواطن منها قوله تعالى:" أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ "[2]

أما صيغة (يذّكّر)—بإدغام التاء في الذال–وردت ست مرات منها قوله تعالى:"هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ "[3].

فمما يلحظ على الصيغتين أنهما خصصتا لصنف واحد من الناس وهم (أولوا الألباب)، لكن

[1]– (أنظر): الزجّاج ، تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج2، ص 219– 220 (الحواشي). والكلام من إضافة محقّق الكتاب .

[2]– سورة الرعد الآية 19.

[3]– سورة إبراهيم الآية 52.

ما هو السرّ في التعبير تارة بـ(يتذكّر) وتارة بـ(يذّكّر) والمتعلق بهما واحد ؟.

يقول (الصابوني) في (يتذكّر) "أي: إنما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذوو العقول السليمة "[1].

ويقول (بن عاشور) في الثانية (يذّكّر) –بحذف التاء– "والمعنى: وليعلموا مما ذكر فيه من الأدلة ما الله إلا إله واحد أي: مقصور على الإلهية الموحدة..، والتذكر: النظر في أدلة صدق الرسول "عليه الصلاة والسلام" ووجوب إتباعه، ولذلك خصّ بذوي الألباب تنزيلا لغيرهم منزلة من لا عقول لهم (إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هَمَ أَضَلُّ سَبِيلاً) "[2].

إن كل ما يدور في الذهن من تساءل فهو عن الفرق بينهما في الاستعمال القرآني، فنقول أنّ ذلك مخصوص بدقته اللامتناهية، والتي بلغت ذروتها فيه. ولو أردنا الأخذ ببعض التعليلات أو ما رأيتها عللا فيما استقرأت فذلك الحظ موجود في السياق، ولو أمعنا النظر وأعملنا جزءا من عقولنا كما جاء في الآية نجد لذلك دلالات عظيمة لا تكاد تنتهي، فصيغة (يتذكّر) بوزن (يتفعّل) غالبا ما يؤتى بها للدلالة على كثرة الشيء، أي: للمبالغة، كما يؤتى بها للدلالة على التكلف والتدرج في الأمر، والتكلف أشقّ على طالب الشيء. يقول (سيبويه): "إذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف إليه ويصير من أهله فإنك تقول: (تفعّل)"[3]، أمّا (التدرّج) فحدوث الأمر شيئا فشيئا"[4]، وهو ما ناسب قوله (يتذكّر)، فالإنسان العاقل يبحث عن أسرار الوجود في الكون والخلق بالتدبر والتفكر والتأمل بالتدريج، فكل أمر يرى أو يقع إلا ولعقله منه نصيب وإن كان تكلفا على نفسه،

[1]– صفوة التفاسير، ج2 ، ص 80 / (أنظر): أبو عبيدة ، مجاز القرآن، ج1، ص 329 / (السيوطي)، تفسير الجلالين، ص 252.

[2]– التحرير والتنوير، ج13 ، ص 255.

[3]– د. عصام نور الدين، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص 218 / (عبده الراجحي)، التطبيق الصرفي، ص 42.

[4]– فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 45.

ولهذا وردت الصيغة على هذا البناء (يتذكر)، لأنها توحي بكثرة التذكر وبطول الزمن والتمهل فيه"[1] تدبّرا في كل شيء.

أما الحديث عن (يذّكّر) -باقتطاع التاء- وإدغامها في الذال، فلا شك أن شدّة التذكر أولى دلالاتها، وهو ما يبيّنه السياق ويجليه بصورة أكثر وضوحا، فأول ما يلحظ هو ذكرها مسبوقة بصفات رتبت ترتيبا عقليا بحسب حصولها المتعاقب، فابتدأ بالتبليغ وذكر مجمل ما فيه من حقائق داحضة، ثم بما هو أدقّ، فقد كان منه الحجة ثم التحذير بعدها، ثم ختم بنشأة العلم بوحدانيته وذلك بعد العمل بما جاء في بلاغه"[2]، وكل هذه الدلائل تزد أصحاب العقول علما على علمهم، ورغبة شديدة في معرفة كل صغيرة وكبيرة، فالمبالغة الشديدة للفظ هي لأمرين: قوة ما في البلاغ، وسعي أولي الألباب في طلبه ومعرفة مقاصده .

أما الجانب الدلالي الآخر في اندثار (التاء) بعد إدغامها نجده يحمل معاني الحسم والسرعة في القيام بالفعل"[3]، وصيغة (يفّعّل) دلت عليهما في آن واحد لتعلقها بما هو أشد وأحق بالتدبّر كما ذكر في سياق سورة (إبراهيم) ، فإن كان التشديد أو الإدغام دليل القوة والمبالغة في (فعّل) فأي دلالة يحملها في تتابعه داخل صيغة (يفَّعّلُ).

وما أقوله ختاما أنّ صيغة (يذّكّر) أبلغ وأشدّ من (يتذكّر)، كما أن في بناءها المحذوف من أصله دلالة على حذف زمن طويل من التريث لما فيه من قوة تتطلب الإسراع، فالذي (يتذكّر) ففي كل

[1]- المرجع السابق، ص 45.

[2]- بتصرف- الطاهربن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص 255.

[3]-(أنظر): محمّد شملول إعجاز رسم القرآن، ص 35.

شيء، أمّا من (يذّكّر) فهو في كل أمر يحق فيه (التذكّر) بزيادة أقوى وأشد، وذلك لما فيه من إيحاءات توجب التعبير عنها بهذه الصيغة –والله أعلم– .

يتزكّى ويزكّى:

ذكرت صيغة (يتزكّى) في موطنين من كتابه العزيز، منه قوله تعالى:"وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾"[1].

أمّا صيغة (يزّكّى) –بإدغام التاء في الزاي– فقد وردت مرتين وفي سورة واحدة، وذلك في قوله تعالى:"عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ "[2].

والاستفسار هنا.. لماذا ورد التعبير بصيغة (يتزكّى) إلى جانب التعبير بصيغة (يزكّى) إن كانتا تحملان نفس المعنى ؟ .

يقول (الزجاج) في (يتزّكّى) "أي: يطلب أن يكون زاكيا لا يطلب بذلك رياءا ولا سمعة "[3].

وقال (الطبري) في ذات اللفظ: أي "الذي يعطي ماله في الدنيا يتطهّر بذلك من الذنوب"[4].

وجاء في تفسير (الجلالين) عن قوله (يزّكّى)–بحذف التاء–:"يزكّى فيه في الأصل إدغام التاء في الزّاي، أي: يتطهّر من الذنوب بما يسمع منك"[5].

قد يكون ما أتى به المفسرون كاف لتوضيح الفرق بين المعنيين، أما استنباط الفروق بينهما من

---

[1]– سورة الليل، الآية 17–18.

[2]– سورة عبس، الآية 1–2–3.

[3]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج5 ، ص 318.

[4]– جامع البيان، ج2، ص 543.

[5]– السيوطي، تفسير الجلالين، ص 585.

خلال الإشارة إلى فارق البناءين فذلك ما لم تدوّنه أسفارهم إلى حدّ كبير، فما يمكن الإشارة إليه أنّ صيغة (يتزكّى) جاءت أطول زمنا في النطق من صيغة (يزكّى)، وقد وردت بمعنى إيتاء المال والصدقات، فهي مخصوصة بزكاة الأموال أي: تطهيرها، وذلك لقوله سبحانه:"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا "[1]، أما صيغة (يزّكّى) فبناءها يوحي بوجود دلالات أخرى تعبر عمّا هو أشدّ وأقوى دلالة من (يتزكىّ).

وكون إيتاء الأموال مستمر وغير ثابت على زمن عبّر عنه بما هو أطول بناءا للدلالة على الطول في الزمن"[2]، وهذا خلاف لقولنا: (يؤتى ماله يزّكّى)، وكأن هذا مخصوص بمن يبالغ في إيتاء الأموال دون غيره وهو ما لا يجوز التعبير به، فالمولى يقبل كل صدقة كانت خالصة لوجهه وبصورتها الواجبة مهما اختلف فيها الكيف والكم.

أما القول بشدة وقوة (يزّكّى)؛ فذلك لأنها دلت على أطيب زكاة وأحبها عنده سبحانه، وهي كلمة الإخلاص والإيمان الصادق، أو بمعنى أوضح: التوحيد والشهادة "[3]. وقد خصّها السياق المذكور آنفا بـ(ابن أمّ مكثوم) حين جاء يستأذن النبي "صلى الله عليه وسلّم" وهو يخاطب نفرا من مشركي قريش وكان يقاطعه لأمر يريده، فظهرت كراهية النبي لتلك المقاطعة، فنزل قوله تعالى: "وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى"، أي: وما يدريك أنه يريد تزكية زائدة على تزكية الإيمان بالتملي بفضائل شرائعه

[1]– سورة التوبة، الآية 103.

[2]– (أنظر): فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبيرالقرآني، ص 52.

[3]– الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ج03، ص 135.

ومكارم أخلاقه مما يفيضه هديك عليه.."[1]، كما أنّ صيغة (يزّكّى) اقترنت بالخشية والشدة في تزكية النفس مما هي عليه أو لزيادة تزكيتها بالسعي والذكر في الخير، فكما قال المولى: "قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩"[2].

وعلى هذا نقول أنّ الخطاب القرآني اتفقت مفرداته مع معانيه اتفاقا عجيبا، فقد رأينا أنه لما كان المقصود به هو زكاة الأموال جاء بما يناسب ذلك لفظا فقال: (يتزكّى) بالبناء الأصلي المتداول، لأنها لا تختلف (الزكاة) مهما كان حجمها إلا الثواب فيها فيختلف مكياله، ولما كان المعنى المقصود من الزكاة هو غيره من زكاة الأموال وأشده وأوجبه على الإنسان استعمل ما هو أشد فقال (يزّكّى)، بتشديد الزاي والكاف على غير المعهود من كلام العرب، هذا لأن معانيها أعظم عند الله من كنوز الدنيا كلها .

يَسْتَمِعُون ويَسَّمَّعُون:

وردت صيغة (يستمعون) في خمسة مواطن في الذكر الحكيم منها قوله تعالى:"ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٨"[3].

أمّا لفظ (يسّمّعون) فلم يرد سوى مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: "إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا

[1]– بتصرف – الطاهر بن عاشور ، التحرير و التنوير– ج30، ص 106.

[2]– سورة الشمس، الآية 09.

[3]– سورة الزمر، الآية 18.

بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨"[1].

إنّ البناء الغريب الذي انفردت به صيغة (يسّمّعون) بإدغام- التاء في السين- وتشديد الميم لابد أن يكون ذو دلالة خاصة ومقصد معين فما قد يكون ؟.

يقول (الزجاج) في لفظ (يستمعون): "وهذا فيه والله أعلم وجهان، أحدهما أن يكون يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وجائز أن يكونوا يستمعون جميع ما أمر الله به فيتّبعون أحسن ذلك نحو القصاص والعفو، فإن من عفا وترك ما يجب له أعظم ثوابا ممن اقتصّ "[2].

ويقول (بن عاشور) في (لا يسّمّعون):"تشديد السين وتشديد الميم مفتوحتين دليل على أنّ أصله:(لا يتسمّعون)، فقلبت التاء سينا توصّلا إلى الإدغام..، والتسمّع طلب السّمع وتكلفه، فالمراد التسمع المباشر وهو الذي يتهيأ له إذا بلغ المكان الذي تصل إليه أصوات الملأ الأعلى، أي: أنهم يدحرون قبل وصولهم المكان المطلوب"[3].

يصح أن يكون ما جاء في كتب معاني القرآن وكتب التفاسير قريبا إلى المعنى المقصود من اللفظتين، أما الذي استقرأت فكانت انطلاقته الأولى تفنّد قولهم أنّ القرآن لا يستعمل صيغتين لمعنى واحد، وهو ما يؤكده سياق كل منهما، فصيغة (يستمعون) ذكرت في الآية السابقة متعلقة بأولي الألباب الذين يتفكّرون في آيات الله، ويتدبّرون فيها بدءا بما يتلى على أسماعهم فيأخذون ما فيه دون

[1]- سورة الصافات الآية 6-7-8.

[2]- تهذيب معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص 267/ الوجه الثاني الذي جاء به الزجاج (العفو)، وهو ما يراه (ثعلب الكوفي)، (أنظر): معاني القرآن لثعلب الكوفي، ص 178.

[3]- التحرير والتنوير، ج23، ص 92.

زيادة أو نقص، ولاشك أو ريب، فلهم ما أمروا وعليهم ما نهوا. فكان قوله تعالى:(يستمعون) منسابا مع المعنى من حيث طول مدة قيامهم بالإستماع على تدرّج، فكلّما سمعوا قولا اتبعوا أحسنه ثم تبثوا عليه، وكل هذا جعل اللفظ يناسب نفوس المخاطبين دون تشديد؛ بل بلين ويسر كبيرين .

أمّا صيغة (يسّمّعون) فجاءت ولاشك للتعبير عمّا هو أشدّ من سابقتها، فقد وردت في سياق خصّ حديثه عن أحد الثقلين وهم (الجنّ)، وقد سبقت بالنفي (لا يسّمّعون)، فلو قلنا أنّ: "(يسّمّعون) هي شدة المبالغة في الاستماع لكل شيء، فالأمر ذاته في النفي أي: أنهم لا يسّمّعون شيئا، وهذا لإحكام السماء الدنيا بالحرس الشديد والشهب الراجمة من كل جانب، فمن قبل قالت الجن:" كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ"[1]، والمقاعد للكثرة أي: كانوا يسمعون بأقل تكلّف وهم قعود ثمّ يأخذون ما سمعوا إلى شركائهم في الأرض، أما اليوم فهم (لا يسّمّعون) شيئا لشدة إحكام السماء بالحرس وترصّدهم إن أرادوا ذلك، "فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا"[2]، فمن قبل كانوا (يسمعون) والآن يريدون أن (يستمعوا)، أي: صاروا يطلبون السماع..، فمن الواضح أنّها دالة على تكلف ومشقة كبيرة خلافا لـ(يستمعون) فهي تدل على أقل جهد للقيام به .

وآخر القول.. أنّ كل صيغة لها لونها الدلالي الخاص، فلفظ (يسّمّعون) بنيت دلالة التشديد فيه على وجهين، أوّلهما: شدة المتعلّق وحرصه على التنصت (الجن)، أما الآخر خلاف ذلك، فلمّا اشتد حرصهم على التنصت واستراق السمع قوبل بشدة الحرس والشهب الرّاصدة من الملإ الأعلى.أمّا لفظ

[1]– سورة الجن، الآية 09.

[2]– سورة الجن، الآية 09.

(يستمعون) بالتخفيف فالقصد من وراءه تصوّر المعنى والتفكّر فيه أمراكان أو نفيا"[1].

تَدَارَكَ وادَّارَك:

وردت صيغة (تدارك) داخل النص القرآني في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى:"لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُوم "[2].

أما صيغة (ادّارك) فذكرت في موضعين ، منهما قوله سبحانه وتعالى:"حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ "[3].

ومن هنا يمكن الاستفسار عن سبب عدول الخطاب القرآني من التعبير بصيغة (تدارك) وهي الصيغة الأصل، إلى صيغة (ادّارك) كبناء آخر لها ؟.

يقول (الزجاج) في الآية الأولى (تداركه): "والمعنى: أنه قد نبذ بالعراء وهو غير مذموم، ويدل ذلك على أن النعمة قد شملته "[4].

ويقول (أبو عبيدة) في الثانية (ادّاركوا): "أي اجتمعوا فيها، ويقال: تدارك لي عليه شيء، أي: اجتمع لي عنده شيء "[5].

ويقول الدكتور (محمد داوود) فيها أيضا: "أصل الفعل (تداركوا) وقلبت التاء دالا وأدغمت في الدال، فلما سكنت جيء بهمزة الوصل. والتشديد يوحي هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام؛

---

[1]– (أنظر) الفيروز آبادي ، بصائر ذوي التمييز ج03، ص 258.

[2]– سورة القلم الآية 49.

[3]– سورة الأعراف الآية 38.

[4]– تهذيب معاني القرآن وإعرابه ج5 ، ص 205.

[5]– مجاز القرآن ، ج1 ، ص 214.

بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضا قبل أن يتردّوا فيها، فكأنّ النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنق الزجاجة "[1].

إن الملفت للانتباه لا شك أن يكون صيغة (ادّاركوا)، فبناءه القليل جمع بين الشدة في الأمر وخفة وقوعه في آن واحد، أمّا صيغة (تدارك) التي سيقت في قصة صاحب الحوت (يونس) لا نجدها توحي بخفة إغاثته من بطن الحوت، وذلك لأن (التدارك) لم يقع إلا بعد أن آب إلى ربه بعد ما بدر منه حين ذهب مغاضبا من قومه، أي: كان مرهونا بدعائه واستغفاره وتسبيحه، قال تعالى: "**فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾**"[2]، وهذا ما جعل صيغة (تدارك) تنسجم مع المعنى دون مبالغة في الإنجاء، وقد يكون لأداة التمني (لو) دلالة على تلك الرحمة التي تزامنت مع ندائه لربه وهو في بطن الحوت .

وإنه من غير الصواب جعل صيغة (ادّاركوا) بذات المعنى مع الصيغة السابقة، فهي لم تكتفي بالتعبير عن معنى معين فحسب، وإنما جاءت أيضا لتصور حركة أصحاب جهنّم وهم يتزاحمون فيها ويكبكبون متتابعين كما تتابعوا على الكفر والشرك من قبل، "ليتجمعوا ويتلاحقوا كلهم في النار.."[3]، فكل هذا عبّر عنه بـ(ادّاركوا) لكون صفة الشدة تناسب أصحاب النار، فقد لا يلاءم التعبير عن أمر به قوة بلفظ فيه لين وإنما القوة للقوة واللين للين. أما إدغام (التاء) في (الدال) والقطع من زمن النطق فللدلالة على سرعة توالي هذه الأمم في النار دون انقطاع لكثرتها.

---

[1]– الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، ص 53.

[2]– سورة الصافات الآية 143–144.

[3]– علي الصابوني ، صفوة التفاسير ج1، ص 445.

وبهذا.. ننهي الكلام أن صيغة (تداركوا) أنسب للتعبير عن لحاق الشيء بما يريد دون شدة أو سرعة فيه، أمّا صيغة (ادّاركوا) فمعنى الشدة والقوة التي سيلقاها أصحاب النار في تزاحمهم وترادفهم على بعضهم البعض بادية فيها لكثرتهم -والله أعلم-

الخاتمة

الخـــــاتمة:

يبقى موضوع تنوع الأبنية الصرفية ودلالاتها في الخطاب القرآني قائما يخاطب من يطلبه، ليعينه في رسم معاني المفردات داخل السياق وضبط بعض مقاصدها المتعددة خاصة البلاغية منها، وكل هذه الخصوصيات الظليلة راجعة إلى إيحاءات الوزن وبعض الجوانب الصوتية لكل صيغة، وهذا الذي شغلت نفسي بالوقوف على بعضه في هذا البحث.

وقد حاولت جاهدا في هذا البحث إبراز ما في التنوعات الصرفية للأصول اللغوية الواحدة من دلالات مختلفة ومتفاوتة، فخلصت بمجموعة من النتائج وهي:

أن علم الصرف ساهم بقسط وافر في تقريب المعنى المراد من الصيغ المتشابهة، وهو حظ الدراسات الشرعية والإسلامية المختلفة، ولم يقتصر على اللغويين فقط.

إن موضوع "لا ترادف في القرآن الكريم" لا يقتصر على الأسماء دون الأفعال؛ بل فيها جميعا، فاللفظ الواحد ليس له إلا معنى واحد في كل زاوية يوظف فيها.

إذا كان موضوع تعدد الأبنية دليل تعدد المعاني والمقاصد في القرآن الكريم، فذلك لأن لكل بناء خصوصية معنى وخصوصية سياق، فإن كان معنى الصيغتين يتقارب عند اقتطاعهما عن السياق فهو بخلاف ذلك داخله، بل أنه يبرز تلك الفوارق بصورة أكثر.

قد نلحظ أن الصيغة الواحدة تقوم بتصوير المشهد عبر جوهر أصواتها وظلال معانيها الموحية لفظا، وهو قمة التصوير الفني في القرآن الكريم الذي يرمي بالمعنى صوتا ولفظا، فيأخذ به العارف

بخبايا اللغة والأمي الذي يكتفي بسماع أجراسها وهي تدق مسامعه فيفرق بين المهموس الحنين منها، وبين الشديد الرهيب، وبذلك يزيد تأثيره النفسي.

إن كل أدوات القالب الصرفي لها دلالات خاصة بها، فالحذف والزيادة والإبدال جانب منها، وهي كلها تحمل معان مختلفة بينها وبين غيرها؛ وإنما القول في ذلك أن لكل أداة أكثر من دلالة تتوزع على معاني أبنيتها، فتكون معاني الحذف أكثر من معاني الزيادة، ومعاني التضعيف والإدغام أزيد عند فكّه، أو العكس في ذلك كله..، فكل سياق يتطلب لفظا أكثر تصافيا مع المعاني المقصودة منه.

إن أكثر الأبنية قد نجد لها معان ثانوية مصاحبة لمعناها المقصود يصعب تأويلها وردها إلى معان ثابتة، إلا أنه يمكن جعلها بوابة للمضي قدما في طلبها والبحث في أعماق إرهاصاتها التي لم تكن اعتباطا ولا صدفة، أو على أقلها تبقى معان مساعدة تزيد لغة القرآن جمالية وروعة عند كل متدبر ومتفكر ومتأمل فيها.

ولعل الإشارة إلى من يرون بـ"الإعجاز العلمي" في القرآن الكريم، وأنه يحكي الكثير منها بطريقة أو أخرى فهذا صحيح، إلا أني أنهي الإجابة أن لكل باب مفاتحه، ومفاتح هذه الحقائق علوم اللغة كلها، فهي المعين الأول في حل شفرة هذه الحقائق المذهلة التي لا شيء يؤخذ منها دون إلمام بعلومها (اللغة)، ويبقى (علم الصرف) أحد مفاتحها، وقد رأينا ذلك في صيغة (يصّعد)..، فلعل الكثير منها ينتظر من يفجرها في قالب يخدم البشرية من جانبها العلمي، لأن آياته أحكمت وفصّلت من لدن حكيم خبير.

وختاما.. أحمد الله سبحانه وتعالى على فضله ومنّه وتوفيقه علي أن أتممت رسالتي بوسعي وطاقتي واجتهادي وعلمي المحدود، وأسأله أن يجعلني خادما لكتابه ما حييت.

"رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ".

قائمة المصادر و المراجع

قائمـة المصـادر والمـراجع

-القـــرآن الكـريـــم .

-ابن الأثير، أبي الفتح/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ المكتبة العصرية (بيروت)/ سنة الطبع 1431 هـ - 2010 م.

-ابن الحاجب/ الشافية في علم التصريف/ دراسة وتحقيق حسن أحمد العثمان/ دار البشائر الإسلامية (بيروت)/الطبعة الأولى سنة 1415 هـ - 1995 م.

-ابن جني أبو الفتح/ الخصائص/ الهيئة المصرية العامة للكتاب(القاهرة)/ سنة الطبع 1983م

-ابن خالويه/ ليس في كلام العرب/ نقحه وضبطه وشرحه الدكتور ديزيره سقال/ دار الفكر العربي/(لا توجد الطبعة ولا السنة) .

-ابن فارس أحمد/ معجم مقاييس اللغة/ تحقيق عبد السلام هارون/ دار الفكر للطباعة والنشر/ سنة الطبع 1399هـ-1979 م.

-ابن قتيبة مسلم/ أدب الكاتب/ تحقيق علي محمد زينو/ مؤسسة الريالة ناشرون الطبعة الأولى سنة 1433 هـ- 2012 م.

-ابن كثير / قصص القرآن/ دار الكتب العليمة (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 2007 م .

-ابن منظور/ لسان العرب/ (مصور عن طبعة بولاق)/ لا توجد سنة الطبع .

-ابن يعيش موفق الدين/ شرح المفصل/ إدارة الطباعة المنبرية (مصر)/ (لا توجد سنة الطباعة).

-أبو عبيدة بن المثنى/ مجاز القرآن/تعليق الدكتور محمد فؤاد سركين/ دار غريب للطباعة (القاهرة)/ لا توجد سنة الطبع.

-أبي إسحاق الزجاج/ تهذيب معاني القرآن وإعرابه/ تحقيق وتعليق عرفان بن سليم العشا/ المكتبة العصرية (بيروت)/الطبعة الأولى سنة 1427 هـ- 2006 م

-أبي البركات الأنباري/ أسرار العربية/ تحقيق محمد بهجت البيطار/ المجمع العلمي العربي (دمشق) / (لا توجد سنة الطبع).

-أبي هلال العسكري / الفروق اللغوية/ حققه محمد إبراهيم سليم/ دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة) / لا توجد سنة الطبع.

-أحمد عمر مختار/ أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة / عالم الكتب (القاهرة)/ الطبعة الأولى سنة 1417 هـ - 1997 م.

-أحمد عمر مختار/ علم الدلالة /عالم الكتب (القاهرة)/ الطبعة الخامسة سنة 1998 م.

-أحمد عمر مختار/الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم دراسة إحصائية/ عالم الكتب للنشر والتوزيع (القاهرة)/الطبعة الأولى سنة 1423 هـ- 2003م.

-أحمد ياسوف /جمالية المفردة القرآنية / دار المكتبي للنشر والتوزيع (دمشق)/ الطبعة الثانية سنة 1419 هـ - 1999م.

- الأخفش / معاني القرآن/ عالم الكتب (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1424 هـ-2003 م .

-تحسين فاضل عباس/ الانسجام الصوتي في النص القرآني/ عالم الكتب الحديث (عمّان)/ الطبعة الأولى سنة 2013 م.

-تفسير الجلالين / أحمد المحلي وعبد الرحمن السيوطي/ مكتبة الصفا/ الطبعة الأولى 1425 هـ 2004م.

-تمام حسان / اللغة العربية معناها ومبناها / دار الثقافة (المغرب)/ سنة الطبع 1994 م.

-ثعلب بن يحيى الكوفي/ معاني القرآن/ جمع وتحقيق الدكتور شاكر سبع نتيش/ مطبعة الناصرية للمطبوعات التجارية الناصرية (العراق) / الطبعة الأولى سنة 1431 هـ - 2010 م.

-الجرجاني عبد القاهر/ دلائل الإعجاز/دار المعرفة (بيروت)/سنة 1402 هـ- 1981 م/ لا يوجد عدد الطبعة.

-الجوهري إسماعيل بن حماد/ تاج اللغة وصحاح العربية/ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين (بيروت)/ الطبعة الرابعة سنة 1990م.

-الحملاوي أحمد / شذا العرف في فن الصرف/ المكتبة العصرية (بيروت) / 1433 هـ 2012 م/ (لا يوجد عدد الطبعة).

-د. محمد إبراهيم شادي/ البلاغة الصوتية/ الشركة الإسلامية للنشر والتوزيع (الرسالة)/ الطبعة الأولى سنة 1409 هـ 1988 م.

-د.عصام نور الدين/ أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب دراسة لسانية ولغوية / دار الفكر اللبناني (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1418 هـ - 1997 م.

-د.نجاة عبد العظيم/ أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية / دار الثقافة للنشر والتوزيع/ سنة الطبع 1409 هـ- 1989 م.

- ديزيره سقال/ الصرف وعلم الأصوات/ دار الصداقة العربية (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1992.

-الراغب الأصفاهي/ المفردات في تفسير غريب القرآن / مكتبة الإيمان (المنصورة) /سنة الطبع 2001.

-الزركشي محمد بن عبد الله/ البرهان في علوم القرآن/ دار المعرفة للطباعة والنشر(بيروت)/ الطبعة الثانية (بدون سنة).

-سليمان فياض/ الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية/ دار المريخ للنشر والتوزيع (الرياض) / سنة الطبع 1410 هـ - 1990م.

-سيبويه/ الكتاب/ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون/ مكتبة الخانجي (القاهرة)/ الطبعة الثالثة سنة 1408 هـ - 1988 م.

-السيد قطب / التصوير الفني في القرآن / دار الشروق (القاهرة) / الطبعة السابعة 1402 هـ -1982 م.

-السيد قطب / في ظلال القرآن/ دار الشروق (القاهرة) / الطبعة الثالثة 1988

-السيوطي جلال الدين/ الإتقان في علوم القرآن/ دار ابن حزم/ الطبعة الأولى سنة 1429 هـ 2008 م.

-الشنقيطي محمد محفوظ/ وشاح الحرة بإبراز اللامية وتوشيحها/ اتحاد الناشرين الموريتانيين/ الطبعة الأولى سنة 1424 هـ - 2003 م.

-الطاهر بن عاشور/ التحرير والتنوير/ الدار التونسية / سنة الطبع 1984 م.

-الطبري ابن جرير/جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني وصالح أحمد رضا / مكتبة رحاب/ الطبعة الثانية سنة 1408 هـ - 1987 م .

-عائشة عبد الرحمن/ التفسير البياني للقرآن الكريم/ دار المعارف/ الطبعة الرابعة/ (لا توجد سنة الطبع).

-عائشة محمد قشوع /الأبنية الصرفية في السور المدنية- دراسة لغوية دلالية/ رسالة ماجستير كلية النجاح (فلسطين).

-عباس محمود العقاد/ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب/ دار المعارف (القاهرة)/ الطبعة السادسة / توجد سنة الطبع.

-عبد الحميد أحمد يوسف/ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم/ المكتبة العصرية (بيروت)/ سنة الطبع 1429 هـ- 2008 م.

-عبد السلام محمد هارون والأستاذ مصطفى حجازي/ معجم ألفاظ القرآن الكريم/ مجمع اللغة العربية للإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث (مصر)/ سنة الطبع 1409 هـ - 1988 م.

-عبد العال سالم مكرم/ الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني/ مؤسسة الرسالة (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1417 هـ- 1996 م.

-عبد الفتاح لاشين/ من أسرار التعبير القرآني- الفاصلة القرآنية-/ دار المريخ للنشر (الرياض)/ سنة الطبع 1982.

-عبد القادر عبد الجليل/ علم الصرف الصوتي/ شركة الشرق الأوسط للطباعة (عمان)/ الطبعة الأولى 1998.

- عبده الراجحي/ التطبيق الصرفي/ دار الميسرة للنشر والتوزيع (عمان) /الطبعة الأولى سنة 1428 هـ 2008 م.

-علاء عبد الأمير/ الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن/ مؤسسة دار الصادق الثقافية(العراق)/ الطبعة الأولى سنة 1433 هـ- 2012 م.

-عمار بن خميسي / شرح نظم مثلث قطرب/ دار ابن حزم/ (لا توجد سنة الطبع).

-فاضل السامرائي / معاني الأبنية في العربية / جامعة بغداد / (لا توجد سنة الطبع).

-فاضل السامرائي/من أسرار البيان القرآني/ دار الفكر (عمّان)/ الطبعة الأولى سنة 1430 هـ - 2009 م.

-فاضل السامرائي /معاني النحو/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى سنة 1420 هـ- 2000م

-فاضل السامرائي بلاغة الكلمة في التعبير القرآني/ دار عماد للنشر والتوزيع/ الطبعة الثامنة سنة 1433 هـ - 2013 م.

-فخر الدين الرازي / نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز /تحقيق وتعليق الدكتور نصر الله حاجي/ دار صادر (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1424 هـ - 2004 م.

-الفراء/ معاني القرآن / عالم الكتب(بيروت)/ الطبعة الثالثة سنة 14032 هـ - 1983 م.

-الفيروز آبادي/ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ تحقيق محمد علي النجار والأستاذ عبد العليم الطحاوي/ المكتبة العلمية (بيروت)/ (لا توجد سنة الطبع).

-كاصد ياسر حسين/ الجرس والإيقاع في تعبير القرآن/ مركز تحقيقات كاستور للعلوم الإسلامية / (لا توجد سنة الطبع).

-محمد أبو زهرة/ المعجزة الكبرى/دار الفكر العربي (القاهرة)/ (لا توجد سنة الطبع ولا العدد).

-محمد بن صالح آل طياش/ سورة فصلت دراسة بيانية/ رسالة ماجستير/ جامعة أم القرى(المملكة العربية السعودية).

-محمد حسين علي الصغير/ الصوت اللغوي/ دار المؤرخ العربي (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1420 هـ- 2000م.

-محمد خليل الزورق/ الخلاصة في الرسم والصرف/ دار الساقية للنشر/ الطبعة الأولى سنة 1430 هـ - 2009م.

-محمد داوود/ الإعجاز البياني في القرآن الكريم/ مؤسسة العالمية للثقافة والعلوم/ الطبعة الأولى سنة 1434 هـ - 2013 م

-محمد شملول / إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة/ دار السلام للطباعة والنشر/ الطبعة الأولى سنة 1427 هـ - 2006 م.

-محمد عبد الله دراز/ النبأ العظيم/ دار القلم (الكويت)/ الطبعة السادسة سنة1984.

-محمد علي الصابوني/ صفوة التفاسير/ دار الفكر (بيروت) / (لا توجد سنة الطبع).

-محمد يوسف الكاند هلوي / حياة الصحابة/دار الكتب العلمية/ (لا توجد سنة الطبع).

-محيسن محمد سالم/ تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن/ دار الكتاب العربي (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1407 هـ- 1987 م.

-مشرف بن أحمد الزهراني /أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور/ مؤسسة الريان (بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1430 هـ - 2009 م.

-منقور عبد الجليل/علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي/ منشورات اتحاد الكتاب العرب (دمشق)/ سنة الطبع 2001.

-منيع القيسي/ سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد/ دار البشير للنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى سنة 1416 هـ - 1996 م.

-النحاس أبي جعفر/ معاني القرآن الكريم/ تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني مركز إحياء التراث الإسلامي (مكة المكرمة) /الطبعة الأولى سنة 1410 هـ- 1989 م.

-يوسف المرعشلي/ إعجاز القرآن والدلالات الصرفية/ دار ابن حزم(بيروت)/ الطبعة الأولى سنة 1423 هـ 2011 م.

الفهرس

فهـرس الموضوعـات

المقدمة..... أ

المـدخل 01

الأسماء والأفعال في الخطاب القرآني..... 16

الفصـل الأول: الأسماء وأثر تنوعاتها الصرفية في إنتاج الدلالة 21

المبحث1: التنوعات الدلالية للمصادر..... 23

- معاني صيغ المصادر 24
- معاني المصدر الميمي..... 40
- أثر الصائت في تعدد معاني البناء الواحد للمصادر 47

المبحث 2: معاني المشتقات **56**

- اسم الفاعل وصيغ المبالغة 57
- اسم المفعول 65
- الصفة المشبهة..... 72

المبحث3: دلالة الجموع في السياق القرآني..... **83**

- جموع التكسير 86
- جموع الصفات بين التكسير والسالم..... 93

الفصل الثاني: الأفعال بين تنوع الأبنية وتعدد الدلالات **103**

المبحث 1: معاني الثلاثي بين المجرد والمزيد بحرف 106

- الثلاثي المجرد والمزيد بحرف 107
- الثلاثي المجرد والمزيد بحرفين 113
- الثلاثي المجرد والمزيد بثلاثة أحرف 120

المبحث 2: معاني الثلاثي المزيد بحرف فأكثر 125

- الفعل الثلاثي المزيد بحرف 126
- الثلاثي المزيد بحرف فأكثر 136

المبحث 3: الرباعي المجرد بين تصوير المعنى وتضعيف الحركة 145

- أثر تضعيف المبنى في تصوير الحركة 147
- التضعيف وأثره في مضاعفة المعنى 153

الفصل الثالث: تعدد الألوان الصرفية والدلالية في الأصل اللغوي الواحد **157**

- **المبحث الأول : التنوع الدلالي بالزيادة والحذف** 159
- **المبحث الثاني : الإبدال وأثره الدلالي** 180
- **الخاتمة** 204
- **قائمة المصادر والمراجع** 208

ملخّـــص الرســـالة

العنوان: "أثر التنوعات الصرفية للقرآن الكريم في إنتاج الدلالة"

تناول الباحث في الرسالة ثلاثة فصول، وكان أولها خاصا بأبنية الأسماء في الخطاب القرآني، كالمصادر والمشتقات والجموع ، وقد أبرز فيه الإختلافات الصرفية التي تلعب دورا هاما في تنويع المعنى كالصوم والصيام في المصادر، والموتى والأموات في الجموع، ونحو: ساحر وسحّار في إسم المفعول، ونضيد ومنضود في إسم المفعول..، أما الفصل الثاني فقد خصه لأبنية الأفعال التي تجتمع في أصل واحد وتختلف معانيها عند الزيادة، وللتحديد أكثر قسم الفصل إلى مباحث فكان الأول خاصا بأبنية الفعل الثلاثي المجرد والمزيد بحرف نحو: نبّأ وأنبأ، وكذب وكذّب...، أما المبحث الثاني فكان بين الثلاثي المزيد بحرف فأكثر نحو: بايع وتبايع، وأشهد واستشهد.ثمّ ختم الفصل بصيغ الرباعي المضاعف نحو:كبكبوا، دمدم...، أما الفصل الأخير فيتناول فيه التنوعات الصرفية من زاوية الحذف والذكر نحو: اسطاعوا واستطاعوا، إلى جانب الإبدال كيتذكّر ويذّكّر.

الكلمات المفتاحية في الرسالة:

معاني الأبنية، الدلالة السياقية، الدلالة الصرفية، الثبوت والتجدّد، الإبدال، التكرار الصوتي، التضعيف، الذكر والحذف، الزيادة في المبنى للزيادة في المعنى، الإشتقاق.

ملخص

تناول الباحث في الرسالة ثلاثة فصول، وكان أولها خاصا بأبنية الأسماء في الخطاب القرآني، كالمصادر والمشتقات والجماع، وقد أبرز فيه الاختلافات الصرفية التي تلعب دورا هاما في تنوع المعنى كالصوم والصيام في المصادر، والموتى والأموات في الجموع، ونحو: ساحر وسحّار في إسم المفعول، ونضيد ومنضود في إسم المفعول..، أما الفصل الثاني فقد خصه لأبنية الأفعال التي تجتمع في أصل واحد وتختلف معانيها عند الزيادة، وللتحديد أكثر قسم الفصل إلى مباحث فكان الأول خاصا بأبنية الفعل الثلاثي المجرد والمزيد بحرف نحو: نبّأ وأنبأ، وكذب وكذّب ...، أما المبحث الثاني فكان بين الثلاثي المزيد بحرف فأكثر نحو: بايع وتبايع، وأشهد واستشهد. ثم ختم الفصل لصيغ الرباعي المضاعف نحو: كبكبوا، دمدم...، أما الفصل الأخير فيتناول فيه التنوعات الصرفية من زاوية الحذف والذكر نحو: اسطاعوا واستطاعوا، إلى جانب الإبدال كيتذكر ويذّكّر.

الكلمات المفتاحية:

معاني الأبنية؛ الدلالة السياقية ؛ الدلالة الصرفية ؛ الثبوت والتجدد ؛ الإبدال؛ التكرار الصوتي ؛ التضعيف؛ الذكر والحذف ؛ الزيادة في المبنى للزيادة في المعنى؛ الإشتقاق.

نوقشت يوم 24 جوان 2015